

الكتاب دينا



اسكندر ديماس

القصة العالمية للجميع



mersalli

www.alkottob.com

الكَارْدِيْنَال

مَازِرَاتُ

تَالِيفُ

اسكندر ووماس الكبير

المكتبة الحديثة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوليبي - صندوق ٢٤١٦٧

ملخص الفرسان الثلاثة

دارتانيان شاب في مقتبل العمر هو سليل أسرة عريقة فقيرة في بعض نواحي جاسكونيا - ذلك الإقليم الفرنسي الذي اشتهر أهله بالدكاء وحدة الطبع . وكان أبوه قد حارب في صفوف هنري الرابع ، ولما شب ولده عن الطوق علمه المبارزة بالسيف حتى برع فيها . ثم رغب الشاب في الهجرة إلى باريس لينشد فيها مستقبله ، فزوده أبوه بثلاث هدايا : هي حصان عجوز يرتقي اللون ، وقدر قليل من النقود ، وخطاب توصية منه إلى صديقه ومواطنه القديم الميودى تريفيل رئيس فرقة فرسان الملك

وفي طريقه إلى باريس تشاجر مع نبيل اسمه الكونت دي روشفور من رجال الكاردينال دي ريشيليو ، ولما هم دارتانيان بمبارزته اقتض عليه أتباع هذا النبيل وضربوه . ولما أفاق من إغمائه وجد أن خطاب التوصية قد سرق منه . ومع ذلك ذهب إلى الميودى تريفيل في باريس فوضعه هنا تحت حمايته . وقد صادف في بيته الفرسان الثلاثة : آتوس ، وأراميس ، وبورتوس ، الذين اشتهروا بشجاعتهم الفائقة وتفوقهم في المبارزة . ولم يكذبهم بمبارزتهم حتى اقتض عليهم حرس الكاردينال يريدون القبض عليهم لأن المبارزة محرمة قانوناً . وكان هناك تنافس خفي على السلطة بين الملك لويس الثالث عشر وبين وزيره الأول الكاردينال دي ريشيليو . وقد نشأ من هذا التنافس عداوة صريحة بين فرسان الملك وحراس الكاردينال يستمر أواره من حين إلى حين . وعندئذ انضم دارتانيان إلى الفرسان الثلاثة ، وبفضل شجاعته وبراعته في المبارزة تغلبوا على حراس الكاردينال ، ومنذ ذلك توطلدت الصداقة بينه وبين أولئك الفرسان ، وبدأ اسم دارتانيان يلمع في القصر الملكي

وتنقل بنا حوادث الرواية إلى الملكة آن النموية الأصل قرينة لويس الثالث عشر ، فإن الكاردينال دي ريشيليو يحقد عليها ويكيد لها ، منذ تودد إليها فردته خائباً... وقد علم من هيونيه الذين بثهم حولها ، أنها تحب دوق بكنجهام رئيس وزراء ملك الانجليز ، فاستدعاها إلى باريس بخطاب مزيف منسوب إليها لكي يوقع به وبها ، وجاء الدوق واستطاع أن يلتقي بالملكة خفية برغم أعين الرقباء . وفي ذلك اللقاء طلبت إليه أن يقطع صلته بها وأن ينساها ، وأعطته هدية تذكارية هي علبة بها اثنا عشر زراً ماسياً كان لويس الثالث عشر قد أهداها إليها . وقد علم الكاردينال بذلك فاحتال حتى أغرى لويس الثالث عشر بأن يقيم حفلة راقصة بدار

البلدية ويطلب إلى الملكة حضورها حاملة على ثوبها تلك الأزرار الماسية الاثنى عشر
وكان الكاردينال قد بعث اللادى دى ووتر- المرأة الحسناء المغامرة- إلى لندن حيث اتصلت
بالدوق بكنجهام ، ثم غافله وهي تراقصه فسرت زرين من تلك الأزرار ، وهكذا أراد
الكاردينال أن يثبت على الملكة صلتها بالدوق لعجزها عن الظهور في الحفلة وعليها الأزرار
كاملة العدد

وكان للملكة خادمة مخلصه أمينة هي خياطتها الخاصة مدام يونانسيه الحسناء، وهي التي
يسرت لقاءها الخفى بدوق بكنجهام . وكانت تلك الشابة متزوجة من شيخ شحيح يسكن تحت
مسكن دارتانيان وقد خلصها الأخير من رجال الكاردينال حين هموا بالقبض عليها في بيتها
ومنذ ذلك تبادل وإياها الحب . فاجأت إلى دارتانيان وطلبت إليه أن يسافر إلى لندن ليقابل
دوق بكنجهام ويقضى إليه بالمرج الذي أصبحت فيه الملكة آن ويستعيد منه الأزرار الاثنى عشر.
وعرض دارتانيان على أصحابه الفرسان الثلاثة أن يصحبوه في تلك الرحلة، ولكن كان أعوان
الكاردينال قد دبروا لهم من يوقهم في الطريق ، فترك دارتانيان كلا منهم مشغولاً بمبارزة ،
وواصل الرحلة مع خادمه بلائسيه حتى وصلا إلى لندن

ولما وجد دوق بكنجهام أن الأزرار الماسية قد تقصت زرين أمر بعمل بديل منهما بأسرع
وقت ، وهكذا عاد الشاب دارتانيان بالأزرار الماسية كاملة العدد وسلمها إلى حبيبته مدام
يونانسيه ، فأعطتها هذه إلى الملكة ، فظهرت بها في الحفلة ، وفشلت محاولة الكاردينال
للاتنقام منها

على أن أعوان الكاردينال لم يلبثوا حتى اختصفوا مدام دى يونانسيه بمعاونة زوجها
الشيخ الذى تقم عليها حبها لدارتانيان وأغراه عطاء الكاردينال أيضاً ... فكاد دارتانيان
يجن من الحزن عليها ، وعاد يبحث عن أصدقائه الفرسان الثلاثة الذين كان قد خلفهم في
طريقه إلى لندن ، ليساعده في البحث عنها



غادر دارتانيان باريس للبحث عن صديقه مدام يونانسيه خياطة الملكة بعد أن اختطفها
أعوان الكاردينال ريشيليو انتقاماً منها لافسادها خطتهم لفضح علاقة الملكة بدوق بكنجهام.
ولكن دارتانيان لم يثر على أثر لصديقه ، برغم المساعدات التي قدمها له زملاؤه : آتوس
وأراميس ، وبورتوس . ثم حدث أن تعرف إلى اللادى دى ووتر فأعجب بها برغم اعتقاده
أنها من أعوان الكاردينال ، وفي خلال زيارته المتعددة لها أغرمت به بوصفها الحسناء كيتي ،
وما لبثت قليلاً حتى كاشفته بحبها له ، وبأن اللادى لا تحبه بل تحب الكونت دى وارد ،
وتغرى هذا بقتله انتقاماً منه لأنه لم يقتل اللورد دى ووتر في مبارزته له ، فخرم ابنها بذلك
من ميراث كبير !

واستطاع دارتانيان بمساعدة كيتي أن يستولى على خطابات اللادى إلى السكوت . وأن
يرد عليها هو منتحلا شخصية السكوت ، ثم يقابلها باسم هذا في خلوة بفرقتها المنفصلة ويحصل
منها على خاتم تبين فيما بعد أنه كان لزميله آتوس ومنحه لامرأة أحبها فيما مضى . ثم قابلها
بعد ذلك باسمه الحقيقي وصرح لها بحقيقة ما حدث ، فكادت تجن من الفيض وقامت بينهما
معركة انتهت بوقوفه على سر خطير هو وجود وشم يمثل زهرة الزنبق على كتفها دلالة على
الحكم عليها في إحدى الجرائم ، وكادت تقتله بالخنجر لولا مسارعته إلى مغادرة غرفتها

وسافر دارتانيان بعد ذلك مع زملائه الفرسان إلى مدينة لاروشيل ، ضمن الجيش
الذى أرسله الكاردينال لحصارها والاستيلاء عليها ، وفي الوقت نفسه كان دوق بكنجهام
قد استولى على جزيرة « ريه » الفرنسية بأسطوله البريطانى ، فنشبت الحرب بين فرنسا
وانجلترا ، وأصيب الانجليز بخسائر فادحة اضطرتهم إلى إخلاء الجزيرة ، ففرغ الفرنسيون
لحصار لاروشيل ، وعهد الكاردينال ريشيليو إلى اللادى دى ووتر في التسلل إلى لندن
لتقابل دوق بكنجهام وتنذره بأن شرف الملكة التى يحبها بل حياتها أيضاً سيكونان في خطر
ان لم يعدل عن تنفيذ الخطط الحربية التى أعدها لغزو فرنسا ، كما تعهد الكاردينال للادى
باطلاق يدها في الانتقام من دارتانيان وصديقه مدام بونانسييه التى كانت قد زج بها في
السجن ثم نقلت معه بسمى الملكة إلى دير منزل

وفي أثناء الحصار تعرض الفرسان الثلاثة وزميلهم دارتانيان لآخطار عدة كادت تودى
بحياتهم بتدبير اللادى دى ووتر ، ثم اتفقوا على إرسال خطاب إلى اللورد دى ووتر كشفوا
فيه عن شخصيتها الوسومة بالاجرام وزيف ادعائهم الانتساب إلى أخيه بدافع الطمع في
ميراثه ، كما أرسلوا خطاباً إلى الملكة ضمنوه أن هناك مؤامرة لاغتيال دوق بكنجهام .
فكانت النتيجة أن قبض على اللادى عند وصولها إلى انجلترا بأمر اللورد دى ووتر حيث زج
بها في سجن إحدى القلاع هناك . ولكنها استطاعت الفرار من سجنها بواسطة ضابط
شاب ، كما أغرت هذا الضابط نفسه باغتيال دوق بكنجهام في الوقت الذى أبحرت فيه هي
إلى بور سموت لتعود إلى فرنسا من هناك ، وقد تمكن الضابط الشاب من اغتيال الدوق
بينما واصلت اللادى رحلتها حتى وصلت إلى « بيتون » بفرنسا حيث كانت مدام بونانسييه
في دير هذه البلدة ، فقابلتها هناك بوصفها صديقة لدارتانيان بعث بها لاقاذاها ، ثم قتلها
بالعم وغادرت الدير هاربة في الوقت الذى شعرت فيه بوصول دارتانيان وزملائه إلى الدير
فلم يدركوا المسكينة إلا جثة هامدة ، ولكنهم تمكنوا من القبض على اللادى حيث
اقتصوا منها باعدامها ضرباً بالسيف وألقوا جثتها في النهر

شخصيات الرواية

مازاران : وزير فرنسا الكردينال ، وزوج الملكة الوالدة بعقد سرى

الملكة آن : الملكة الوالدة ، أم لويس الرابع عشر العقل

دارتانيان : ملازم الفرسان بالقصر الملكي ، شجاع جداً

بورتوس : من الأعيان ، عملاق قوى البنية طيب القلب يحب المظاهر ، بطيء الفهم

آتوس : الكونت دى لافير ، سليل أسرة نبيلة ، مثال الأرسقراطية والنزاهة والألفة والشجاعة

راؤول : ريبه وابنه بالتبني ، فيكونت براجيلون ، وسيم وشجاع ونبيل

آراميس : شيفاليه ديربلاى . دخل سلك الرهبنة ، ولكنه شجاع ماكر ، مؤمن بالمبادئ التحررية المعارضة لسلطان القصر

الدوق اورليان : عم الملك لويس الرابع عشر وعميد الأسرة للمالكة الفرنسية

الدوقة دى لونجفيل : سيدة حسنة كانت عشيقة لأراميس وهو فى الدير

موردانت : انجليزى أمه فرنسية ، قتلها الفرسان الأربعة منذ عشرين سنة ، وهو يبحث عنهم ليقتلهم انتقاماً

الملكة هنرييت : عمة الملك ، وملكة انجلترا ، وزوجة شارل الأول

شارل الاول : ملك انجلترا الذى ثار عليه البرلمان بقيادة كرمويل وحوكم وأعدم

جرسلو : ضابط انجليزى عهدت إليه حراسة الملك الأسير

جريمو
موسكيتون
وبلانشييه } أتباع وخدم للفرسان

الكردينال مازاران

في حجرة فسيحة من قصر الكردينال - الذي تغير اسمه فيما بعد وصار القصر الملكي «باليه رويال» - جلس رجل معتمداً بوجهه على راحتيه ، ومن خلفه مدفأة كبيرة تتوهج فيها النيران ، وأمامه مائدة مثقلة بالأوراق الكثيرة.

ولان من يرى ما في تلك الحجرة من فرش وزخارف حمراء ، ومحس ذلك السكون المطبق الذي يحيط بها ، حرى أن يحسب نفسه في حضرة وزير فرنسا العظيم الكردينال ريشيليو. ولكن ليس الأمر كذلك وأسفاه ، فما هذا الجو وما هذا الرجل إلا ظل الكردينال ، وما شبعة إلا خليفته مازاران ، ذلك الايطالي البخيل الذي يكرهه الشعب الفرنسي ، وإنه في هذه اللحظة شاعر بما يكتنفه من كراهية ، لولا حظوته لدى الملكة الوصية على العرش حتى لقد عقدت زواجها منه سرأً واستوزرتة ، فجمع في عداة النبلاء ، ثم زاد على ذلك بتعدى كبار رجال القضاء والاعتداء على سلطاتهم ، أما الشعب فقد أثقل كاهله بالضرائب الباهظة

وقد جرت هذه السياسة الحمقاء التي جرى عليها مازاران أسوأ النتائج في موقف طبقات الأمة من العرش ، وهرع التجار متذمرين ذات يوم من يناير إلى دوق أورليان عم الملك الغلام واستصرخوه لالغاء ضريبة جديدة غير مشروعة فرضت عليهم . وبعد أربعة أيام كانت الملكة الوصية على العرش في طريقها إلى الصلاة في كنيسة نوتردام فتبعتها جموع النساء صائحات في طلب العدل ، فشمخت الملكة الوصية بأنفها ، وتحصنت بخيلائها ، ومضت في طريقها كأنها لا تحس هن وجوداً . وفي عصر ذلك اليوم اجتمع مجلس الوزراء وقرر وجوب المبادرة بتعزيز هيئة العرش ، ولهذا رأى دعوة البرلمان للاجتماع في صباح اليوم التالي

وفي مساء ذلك اليوم الذي بدأنا الكلام بتصويره ، خف الملك الذي لم يجاوز العاشرة من عمره - متمللاً بالتوجه إلى كنيسة نوتردام لصلاة الشكر لابلاله من الحصبة - فاتخذ لنفسه موكباً من الحرس السويسري والمشاة والفرسان ، وقد رتب هؤلاء جميعاً على المنافذ المحيطة بالقصر ثم دخل قاعة البرلمان وأملى بنفسه لاثبات الضرائب الأخيرة فغضب ، بل ستة قوانين أخرى تتنافس فيما بينها أيها أشد وطأة وأدعى للخراب والافلاس

النصي . فاذا بالمستشار بروسل ينهض في جراءة وشجاعة ويعلن الاحتجاج على تسخير الملك
العقل في الضغط على حرية أعضاء البرلمان

وخرج الملك المظفر من البرلمان إلى القصر فلم ترتفع من الجموع هتفة واحدة لهتهته
بالشفاء ، بل قوبل بوجود اجاعى لاشك في دلالة . ثم ارتفعت نجاة هتافات مدوية :
— ليقط مازاران ! ليحي بروسل !

لهذا صدرت الأوامر إلى رجال الحرس السويسرى وحرس الملك أن يظهروا الحزم
ويطوفوا بالشوارع في داوريات ..

وما بدأت هذه الداوريات العدائية حتى اتجه سر تجار باريس إلى الباليه رويال وأعلن
أنه ما لم تقف هذه المظاهرات العسكرية المثيرة ، فستكون باريس على بكرة أيها شاكية
السلاح دفاعاً عن حرية أهلها . .

وشرع أصحاب الشأن يتداولون في هذا الانذار ، وإذا بضابط من ضباط الحرس يدخل
القصر ممزق الثياب ، يسيل دمه على وجهه . فان الجماهير قد استثارتها رؤية رجال الحرس
انسليحين ، فقرعوا النواقيس ، وأقاموا المناريس . وقد تمكن ذلك الضابط من القبض على
واحد من أفراد الشعب الثائرين وأمر جنوده بشنقه حتى الموت في أعلى شجرة في الطريق .
وتم الجنود بتنفيذ ذلك الأمر لولا أن خرج عليهم جمع كثيف من سوقة باريس فرجموا
الجنود بوابل من الحجارة وانهاوا عليهم بالمصى الفليضة ، حتى أهدوا أسيرهم فنجاً بحياته ،
واختفى في بيت وتحصن ببابه ، فدهمه الجنود ، غير أنهم لم يمتروا لفريستهم على أثر . فرجع
الضابط وجنوده إلى القصر ليرفع تقريره عن الحادث إلى مقام الملكة ، وقد طاردهم الثوار
حتى مزقوا ثيابهم وأثخنوهم بالجراح

وبادر الكردينال مازاران إلى إذاعة بيان على الشعب فخواه أن الطواير لم يكن القصد
منها إلا أداء مراسم الاحتفال ، ثم يادر أيضاً بعد ذلك بسحب الجنود من الشوارع ، حتى
إذا كان المساء لم يكن لهم أثر إلا في المواقع المحيطة بالقصر

هذا هو الموقف في اللحظة التي فاجأنا فيها الكردينال غارقاً في حجرة مكتبه في الموموم
والأفكار . ونجاة رفع رأسه وقطب حاجبيه كمن اعترم أمراً ، وحدث في المزولة التي تبين
الوقت فتبين أن الساعة تقارب العاشرة ، فتناول صفارة أمامه ونفخ فيها مرتين ، فانفجرت
الستائر عن باب خفي انفتح وبرز منه رجل في بزة سوداء هو خادمه « برفوان » ، فقال له
الكردينال دون أن يلتفت إليه :

— من من ضباط حرس الفرسان هنا ؟

— الملازم دارتانيان

-- لميتى بزى حرس الفرسان وساعدنى على ارتدائه ..

وما مئى الا لحظة حتى كان الكاردينال قد لبس ذلك الزى ، فدعا اليه دارتانيان ، فاذا رجل يشارف الأربعين من عمره ، ربعة القوام ، متين التكوين ، حاد النظر ، له لحية سوداء وشعر أشهب دب اليه المشيب ، وتلوح عليه أمارات الذكاء . فرمقه الكردينال بنظرة فاحصة لم يطرف تحت وقعها ، وقال :

-- مستصحبى ياسيدى فى زيارتى لمواضع الجنود حول القصر ، فهل تحسب فى الأمر خطراً ؟ فالشعب فيما يقولون متمرّد

-- ان زى حرس الفرسان له من الهيبة والاحترام ما يحول دون وقوع أى حادث ، وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك ، ففى وسمى إذا كان مئى ثلاثة فرسان أن أركان مئات من الرعاع إلى الفرار

-- إذن هيا بنا ولنصحب معنا مئانية على سبيل الاحتياط

وما انقضت عشر دقائق حتى كانت الكوكبة قد خرجت من باب سرى إلى الشوارع المقفرة ، التى يعكر صمتها طلقات البنادق المتقطعة من بعيد ، فمروا للتفتيش بأكثر من موقع ، حتى وصلوا إلى موقع يشرف عليه ضابط مسن ، اسمه « جيتو » ، اختلى به « مازاران » وراح يسأله عن معلوماته بوصفه من أقدم رجال البلاط عن « دارتانيان » ومدى الاعتماد عليه ، فأجابه قائلاً :

-- إذا أردت الشجاعة ، فهو جندى متمرس بالحرب صعب الراس متفان فى أداء واجبه

-- ليست الشجاعة كافية ، نخبرنى عن مهارته وسعة حيلته

- ليس لى بهذا علم ، وإنما علمه عند السيد دى روشفور ، فهو الذى خبر دسائس البلاط فى عهد ريشيليو . وعنده ولاشك الخبر اليقين عن حقيقة الخدمات التى أداها دارتانيان للكردينال ، ولا ننس ان الكردينال كان مسخياً

فشكره مازاران وانصرف وقد فهم التعريض المقصود من تذكيره بكرم الكردينال ريشيليو . فلما لحق بدارتانيان تناول ورقة وقلماً فكتب كلمات ، ثم أعطاه إيها قائلاً :

-- احمل هذا الأمر الى سجن الباستيل ، ولميتى بالشخص الذى سيسلمونه اليك فى عربة مقلّة عليها حراسة شديدة جداً ، واحذر أن يفر السجين من بين يديك



وصل دارتانيان الى الباستيل فى منتصف الساعة التاسعة ، فأن علم مدير السجن انه موفد من قبل مازاران حتى يادر الى استقباله بكل حفاوة ، ودعاه الى تناول العشاء معه ، ولكن دارتانيان اعتذر عن ذلك وأشار الى كلمة « عاجل جداً » المكتوبة على المظروف ،

قام المدير من فوره وكلف أركان حربه بانزال السجين رقم ٢٥٦
وشمر دارتانيان برجفة تعتربه لسماع صوت المفاتيح الضخمة ، وتثبت بركاب جنوده
وهو يتطلع الى الأسوار الضخمة والقضبان الحديدية الخيفة . ثم رن صوت ناقوس ، فتركة
المدير قائلاً :

— لمنهم يدعوننى لتوقيع أمر خروج السجين . فالى اللقاء

وبعد لحظة قصيرة ظهر السجين على باب السجن ، فأأن رآه دارتانيان حتى استوت
عليه دهشة عظيمة ، أما السجين فأسرع بالصعود الى المركبة المغلقة دون أن يبدو عليه انه
عرف دارتانيان ، فصعد دارتانيان الى جواره فيها زيادة فى الاحتياط ، وأمر زملاءه وجنوده
أن يكونوا على حذر وهم يحيطون بالمركبة ، وأمر السائق بالاسراع الى الباليه روابال
جهد ما يستطيع

وما أن تحركت المركبة حتى انتهز دارتانيان فرصة الظلام السائد فيها وارتمى على عنق
السجين ، وهكذا تعارف الصديقان القديمان . وأخذ دارتانيان يسأل روشفور ، الذى كان
قد ظنه ميتاً وهو دفين فى الباستيل لايعرف له خبر ، أخذ يسأله عن السبب فى سجنه هذه
المدة الطويلة ، فأجابه :

— أتريد الحقيقة ؟

— طبعاً

— اعلم إذن أننى لا أعرف السبب

-- أتلتزم معي أنا جانب الحذر ياروشفور ؟

— ان السبب الرسمى الذى برروا به سجنى هو أننى سارق من قطاع الطريق الذين
يسطون على المارة تحت جنح الليل

— أنت بحق إذن ، فستجيب أن يكون هذا هو السبب الحقيقى فى اعتقالك . ولملك
ستعرف بعد قليل حقيقة ذلك السبب

— لقد ذكرتنى ما أوشكت فرحة اللقاء أن تنسينيه ، فالى أين أنت ذاهب بى الآن ؟

— الى الكردينال مازاران

— وماذا يريد منى ؟

— لا أدرى ، مادمت لم أعلم حين حضرت الى السجن اننى مكلف باحضارك أنت بالذات

— مستحيل أن تجهل ذلك وأنت ذو الحظوة !

— أنا ذو الحظوة ؟ كلا ياعزيزى السكونت . فانى أبعد عن الحظوة مما كنت حين
التقىنا فى «منج» منذ اثنتين وعشرين سنة والأسفاه !

— ولكنك كلفت بهذا الأمر ؟

— لأنني كنت موجوداً بالمصادفة المحضة في نوبة الحراسة بقساعة الانتظار ، فكلفني الكردينال بهذه المهمة كما يكلف أى انسان آخر . ولا زلت لى اليوم كما كنت منذ عشرين سنة تقريباً ملازماً فى حرس الفرسان

— احمد ربك انك لم تصب بمكروه ، فتلك وحدها نعمة جزيلة

— ولعلك يا عزيزى السكونت تذكرنى إذا عاد اليك سلطانك

— أجل وعهد آل روشفور . ولى عليك مثل ذلك

— اتفقنا ، وهاك يدي

— وبهذه المناسبة ، كيف حال أصدقائك ؟

— أى أصدقاء ؟

— آتوس ، وبورتوس ، وأراديس . هل نسبتهم ؟ كيف هم ؟

— لا أدرى !

— أحقاً ؟

— حقاً ! وكيف حال بلانشيه تابعك القديم يا كونت ؟

— لقد اتخذ محلا لبيع الحلوى فى شارع اللونبار

وأوقف دارتانيان المربة ، فمجب روشفور وسأله عن السبب فقال :

— لقد أوشكنا أن نصل ، ولا أحب أن يرانى أحد خارجا من عربتك ، لأنى أريد

ألا يعرفوا أن بيتنا أى تعارف

— معك حق ..

وركب دارتانيان جواده وتقدم كوكبة الفرسان المحيطة بالعربة ، وما مرت خمس دقائق

حتى وصلوا إلى فناء الباليه روابال ، فقاد دارتانيان أسيره صاعداً به السلم الكبير ومخترقا

قاعة الانتظار ، فلما علم مازاران بوصولها قال لحاجبه :

— أدخل السيد دى روشفور ، واطلب إلى السيد دارتانيان أن ينتظر ، فانى لم أفرغ

منه بعد

ووقع هذا الكلام وقوع القطار على أرض قعر حين بلغ مسامع دارتانيان ، فقد مضت

مدة طويلة لم يشمر فيها أن أحدا بحاجة اليه

ودخل روشفور على مازاران ، وأقلل دونهما الباب ، فوجد روشفور أن الكردينال

يفحصه بنظراته ، ويظهر أنه رأى كيف نالت سنوات السجن الخمس من هذا الشيخ الذى

كان من أقرب المقرين إلى ريشيليو ، فوقع فى وهمه أنه لا يصلح لشيء

وبعد لحظة سمعت قصيرة تناول مازاران خطاباً مفتوحاً فقدمه إلى روشفور وسأله :
— لقد عثرت بهذا الخطاب الذي تقدمت به طالباً لإطلاق سراحك ، فهل أنت تزيل
السجن يا كونت ؟

فانتفض روشفور لهذا السؤال ، وقال :

— ظننتك يا صاحب النيافة خير من يعلم هذا الأمر

— أنا ؟ مطلقاً ! ففي الباستيل عدد كبير من الناس لا أدرى حقيقة ذنبهم ، وهم فيه
من أيام الكردينال ريشيليو ، وأجهل معظم أسمائهم . فاعذرنى إذا جهلت موضوعك
— ولكن موضوعى له صفة خاصة يا صاحب النيافة ، فقد قبض على بأمر من نيافتكم

شخصياً ، وقلت أيضاً بأمر نيافتكم من سجن شانيليه إلى الباستيل

— لقد تذكرت الآن . ألسنت قد رفضت في زمن مضى أن تقوم برحلة معينة إلى
بروكسل بأمر الملكة ؟

— آه ! هذا إذن هو السبب الحقى ؟ لقد كنت رأسى في التنقيب عنه هذه السنوات
الخمس فاعترت له على أثر

— انى لم أقل لك إن هذا هو السبب في اعتقالك . ولكنى سألتك فقط إذا كنت
قد رفضت تلك الرحلة لأجل الملكة ، وقت بها من أجل انسيد دي ريشيليو ؟
— وبالضبط لأننى كنت في خدمة الكردينال ريشيليو ، لم يسمى أن أقوم بخدمة
الملكة !

— ان الملكة لم تفهم هذا التأويل ، وظننتك متعمداً تخديها ، فأسرتها لك حتى مات
الكردينال

— وما دمت قد حبست خطأ ...

— طبعاً طبعاً . كل هذا يمكن تسويته . ولا سيما أنك ذو دراية بأمر معينة . فأنا—
أو بالأصح الملكة — في حاجة إلى أصدقائك المخلصين الذين خدموا إلى جانبك الكردينال
ريشيليو

— ولكن الكردينال ريشيليو كان يعرف كيف يصطبع الأتباع المخلصين ، فقد
كان كريماً

— ولن تكون الملكة أقل كرماً من الكردينال ، فأين هؤلاء الأصدقاء ياسيدي
الكونت ؟

— ان أحدهم يبابك في هذه الساعة يا صاحب النيافة

— من هو ؟

— السيد دارتانيان

فأحسن مازاران تمثيل العهنة الشديدة وصاح باستنكار :

— هذا النسقونى ؟

— ان هذا النسقونى كما تسميه يا صاحب النيافة استطاع أن ينقذ ملكة ، وأن يبين

لريشليو أنه ليس إلا طفلاً فى السياسة واللباقة والحذق والكياسة

— حدثنى بشئ من ذلك ياسيدى العزيز

— ذلك عسير يا صاحب النيافة

— إذن سيحدثنى هو بطرف من ذلك التاريخ

— وهذا أيضاً أشك فيه يا صاحب النيافة . فالسر ليس سره ، بل كما قلت لك سر

ملكة عظيمة

— وهل قام بهذه الأعمال المحيطة منفرداً ؟

— بل كان معه أصدقاء ثلاثة ، وكان الأربعة كأنهم رجل واحد ، لهم رأس واحد

وقلب واحد

— لقد أثرت فضولى فهلا أشبعته ؟

— سأقص عليك حكاية كحكايات الأساطير : كانت فى زمن مضى ملكة عظيمة على

عرش دولة من أعظم الدول ، وكان الوزير يكرهها كثيراً . وجاء لى بلاطها يوماً سفير

شجاع غنى أنيق ، افتنت به جميع النساء ، وأحبته الملكة فأهدته قلادة مينة لا نظير لها من

جواهر التاج ، كان زوجها الملك قد أهداها إليها . فأوعز الوزير لى الملك أن يطلب

لى الملكة التزين بتلك القلادة فى حفلة راقصة كان فى النية إقامتها بعد أيام . وكان السفير

المشوق قد رحل بالقلادة لى بلاده البعيدة عبر البحر . فأيقنت الملكة بالهلاك واقضاح

أمرها . بيد أن أربعة رجال بوسائل استطاعوا اتقاؤها ، فرحلوا لاستعادة القلادة . وُعلم

الوزير نبأ سفرهم ، فرصد لهم فى طريقهم نفراً من رجاله ليجولوا دون وصولهم لى غايتهم ،

فسقط ثلاثة منهم جرحى ، وأفلت رابعهم فعب البحر بمسد أن قتل من أراد اعتراضه ،

واسترد القلادة وعاد بها لى الملكة فزينت بها فى اليوم الموعد ، وردت كيد الوزير لى

نجره . فما قولك يا صاحب النيافة ؟

— ياله من عمل مجيد !

— وانى أعرف على غراره عشرات من هذه الأعمال

— وهل كان دارتايان من هؤلاء الأربعة ؟

— لقد كان قائد العملية

— ومن الثلاثة الآخرون ؟

- استمع لي يا صاحب البسافة أن أترك مهمة ذكر أسمائهم للسيد دارتانيان . فلست أعرف إلا أسماءهم للاستعارة
- أعوذ مني ! اعلم أني بحاجة اليهم واليك
- لنبدأ بي أنا ، مادمت قد أحضرتني من سجنى فساذا تريد أن تصنع بي ، وفيه تريد أن تستخدمني ؟
- ستكون موضع الثقة . فتذهب إلى قانسين حيث سجن السيد دي بوفور . فتتولى حراسته والتحفظ عليه
- هذا مستحيل يا صاحب البسافة . فهو من أصدقائي ، أو بالحري أنا من أصدقائه . فهل نسبت أنه هو الذي ضمنى لدى الملكة ؟
- وبعبارة أوضح ، أنت من حزب بوفور
- ليس لي حزب . ولكن أرجوك أن تستخدمني في غير ذلك الأمر ، ولو كلفني ذلك التجوال والسفر المستمر
- أعجبك لا تزال في مبة الشباب ؟ انك في سن تحتاج فيها إلى الراحة قبل كل شيء
- وصفق مازاران فدخل حنجه ، فكتب سطرين على ورقة وأمره بتسليمها لبعض الخدم ، ثم أوما برأسه إلى روشفور باللام إيذانا بانتهاء الزيارة ، فانحنى روشفور باحترام وقال :
- أرى أنهم عائدون بي إلى الباستيل ؟
- يالك من ذك !
- واقف روشفور من اناب المرسى ، فلم يمر بقاعة الانتظار التي فيها دارتانيان ، ووجد العربة التي أحضرته من السجن في انتظاره ، فركبها وقد أزمع في نفسه أمرا



خاتم الملكة

بقى مازاران في الحجرة وحيداً مع حاجبه ، وظل صامتاً يفكر لحظة ، ثم أمر حاجبه أن يغير له الطريق لأنه يريد الذهاب لدى الملكة . فأضاء الحاجب « برتوان » شمعداناً وتقدمه عن طريق ممر سرى يوصل بين مكتب مازاران وجناح الملكة . فلما وصل الى باب مخدعها تكفلت الوصيفة بإعلان الملكة بحضوره ، وكانت الملكة في مصلاتها مع ابنتها الملك الغلام لويس الرابع عشر . فلما سمع الملك الغلام الوصيفة تعلن مقدم الوزير ، تجهم وجهه وسأل أمه :
— لماذا يحضر هكذا بغير موعد سابقة ؟

فاخرجت الملكة قليلاً وقالت :

— ينبغي في مثل الأوقات العصيبة التي نجتازها أن يكون الوزير الأول على اتصال دائم بالملكة ، بدون أن يشير حضوره الفضول في دوائر البلاط .
وفي هذه اللحظة دخل مازاران ، فتمس الملك الصبي وتناول كتابه فذهب الى المنضدة ووضعها فوقها ، ثم ظل واقفاً الى جوارها ، كي يضطر الوزير الى أن يظل واقفاً ، ولم يرد على تحية الوزير الا بإيماءة يسيرة

وحاولت الملكة أن تقرأ على وجه الوزير سبب هذه الزيارة ، وهو الذي تعود ألا يزورها في مخدعها إلا بعد أن يأوى جميع أهل القصر الى فراشه . وأشار الوزير للملكة من طرف خفي ، فقالت للوصيفة :

— لقد حان وقت نوم الملك

نخرج الملك دون أن يحجى الوزير ، وأغفل متعمداً أن يقبل والدته ، وراحت الملكة تعتذر للوزير عن هذه الجفوة الظاهرة ، مؤكدة له تقديرها وولاءها ، ثم سأله عما هناك ، فابتسم ابتسامة كالحة وقال :

— يظهر أننا سنضطر عما قريب الى الافتراق . اللهم إلا إذا بلغ بتعلقك بي أن تتبعيني

الى إيطاليا

— أتمرح ياسيدي ؟ !

— لست مازحاً وأأسفاه ! ألسنت أنت التي ابتسمت منذ بضعة أيام للدوق أورليان هم

الملك حين قال لك : « ان صاحبك مازاران هو حجر العترة في سبيل الوثام ، فأبعديه يستقم كل شيء . » ؟

— وماذا كان بوسمى أن أصنع إلا الابتسام ؟ ولسكنك تعرف أنني في أعماق هسى عدوة لأعدائك . فكم من شريف مثل بوفور اعتقلته لأنه جاهرك بالعداء
— لا يكتفى أن يكون أعدائي أعداءك . بل يجب أيضاً أن يكون أصدقاؤك أصدقاؤى
— ومن أين لي الأصدقاء وأسفاه ؟

— فتشى في أعماق ذا كرتك عمن خدموك وقت الشدة ، وضرورك على ريشيليو ،
ألا تذكرين دارتانيان ؟

فأوجت الملكة أن يكون دارتانيان قد باح بالسر ، فقالت :

— أذكر هذا الاسم . فهو ضابط في حرس الفرسان

— أهذا كل شيء ؟

— يبدو لي انك تستجوبني

— ان الوقت عصبب يا صاحبة الجلالة ، ولست أطلب شيئاً سوى أن تعينيني بأصدقائك
القدماء لاقاد الموقف

— لقد ظننت ان الخطر قد انتهى باعتقال بوفور

— كلا فهناك الأمير كونديه

— قاهر روكروي وبطل الحروب الظفر ؟!

— مهلا مهلا . وهناك بعد الامير كونديه الدوق أورليان

— عم الملك وعميد الأسرة المالكة ورأس النبلاء ؟!

— كلا ! بل المتآمر الحائن . ولست أكف جلالتك التدخل بل يكتفى أن تخبريني بأسماء

الشجعان الأربعة الذين أعادوا إليك قلادتك التي كانت في حوزة دوق باكنجهام

... فلو أن عفريتاً شق الأرض وبرز فجأة في فضاء الحجرة لما كان له الوقع الصاعق

الذى كان لهذه العبارة في نفس الملكة ، ولكنها كتمت شعورها وقالت :

— لقد نسيتهم . ولم أكفء دارتانيان الذى ذكرته الآن إلا بتقيل يدي وبهذا الحاتم

الماسى الذى تراه في يدي ، فقد باعه فيما أظن في لحظة ضيق مالى . وعلمت أن ذلك الضيق

كان سببه حاجته إلى إيفاد رسول يحذر الدوق باكنجهام من مؤامرة لاغتياله ، فاشترته

من المشتري ، وأرجو منك الآن أن تعيده اليه . وأوصيك باستخدامه ، فهو رجل مخلص

وقادر . هل تريد شيئاً آخر ؟

— كلا ياسيدتى



.. واستطاع الدوق أن يهبط سالماً بفضل مهارته وقوته البدنية كما

— إذن اتركني فإني بحاجة الى الوحدة والراحة

— ألا تأذنين أن أعود فيما بعد ؟

— غداً . فإني الليلة متعبة

فتناول مازاران يدها فقبلها برشاقة ثم انصرف



عاد الكردينال مازاران كما ذهب عن طريق المر السرى ، فلما صار في حجرة مكتبه
فتح الباب المنضى الى حجرة الانتظار فوجد دارتانيان قد استولى عليه النعاس فوق مقعد
هناك ، فأيقظه متلطفاً معه ثم صحبه الى حجرة المكتب ، وتلفت دارتانيان فلم يجد
لروشفور أثراً ، بيد أنه لم يجرؤ أن يسأل عن خبره . وخطبه مازاران قائلاً :

— لقد كان رأيي فيك على الدوام أنك رجل شهم بأسل

فقال دارتانيان في نفسه :

— ولكني أراك يا صاحبي قد أظرتني طويلاً قبل أن تكاشفني بهذا الرأي الجميل
ولكن ذلك الحاضر الساخر لم يحل بينه وبين اظهار الامتنان مما قاله الكردينال الماكر
الذى استطرد قائلاً :

— وقد حان الوقت للانتفاع بمواهبك ومزاياك

فلمعت عينا المحارب القديم سروراً ، وقال :

— مر يا صاحب النيافة تجدني طوعاً أم نيافتك

— لقد آتممت في عهد الملك السابق أعمالاً عظيمة ...

— انه لتلطف عظيم من نيافتكم أن تذكروا مساهمتي في حروب ذلك العصر ووقائمه

الحامية الوطيس

— لست أعني بلاءك في الحرب ، فهو على خطره أقل قيمة من أعمال أخرى أدل

على الشجاعة

— لست أفهم ماذا يعنى صاحب النيافة

— أعني المغامرة ، انت قائم طبعاً أى مغامرة أقصد

— كلا للأسف

— يالك من كتوم . وذلك خير . لقد أردت مغامرة الملكة التي اشتركت فيها مع

أصدفائك الثلاثة

وسبق لى ظن دارتانيان أن هذا فخ منصوب له لاستدراجه الى إفشاء السر ، فاعتمس
بالصمت في اصرار ، واستطرد الكردينال :

— أمستعد أنت أن تخدمنى بمثل ماخدمت الملكة ؟

— الملكة يا صاحب النيافة ؟ ماذا تعنى ؟

— ألم تفهم أننى بحاجة اليك وللى زملائك الثلاثة ؟

— أى زملاء ثلاثة يا صاحب النيافة ؟

— زملاء الزمن الحالى

— فى الزمن الحالى يا صاحب النيافة لم يكن لى أصدقاء ثلاثة . بل خمسون . فى سن

العشرين يحسب المرء كل انسان صديقا

— ان السكتمان مزية جميلة يا حضرة الضابط . أما اليوم فلا حرج عليك من التصريح

فالمملكة نفسها تحملك من يمينك . وآية ذلك أنها رخصت لى أن أريك هذا الخاتم الماسى

ولا شك أنك تعرفه جيداً

— صدقت يا صاحب النيافة ، فهذا خاتم الملكة

— اذن ، فلا تكتمنى شيئاً ، فقد دعاك لخدمتى داعى التراء العريض

— لىك ، فإأحوجنى لما تقول ، وقد أغفلت شأنى زماناً طويلاً

— لن يستغرق اصلاح شأنك أكثر من أسبوع باذن الله . ولكن أين أصحابك

الثلاثة ؟

— لا أدرى يا صاحب النيافة ، فقد افترقنا منذ سنوات وترك ثلاثهم الخدمة العاملة

— وكيف تهتدى اليهم ؟

— ذلك شأنى ، وسأبحث عنهم حيث يوجدون !

— هذا شأنك فعلاً ، فإشروطك ؟

— المال يا صاحب النيافة ، فذلك البحث يحتاج إلى نفقات

— يا للشيطان ! ألا حديث للناس غير النفوذ ؟ ولكن نق أنا سنكفيك هذا الجانب

من الموضوع . والمهم أن أربعتكم تكونون فى خدمتى . لقد اتفقنا على ذلك

— إذا وافق أصدقاؤى ...

— وإذا لم يوافقوا ، هل لى أن أعتد عليك ؟

— لم يسبق لى أن أبلت منفرداً بالعمل دونهم

— اذهب إذن وقتش عنهم

— وماذا أقول لهم ك يتبعونى بغير تردد ؟

— قل لهم اننى أطلب اليهم أن يخدمونى بالاخلاس نفسه الذى خدموا به الملكة

— يا صاحب النيافة ، إذا وثق المرء بنفر من الناس ، فلا أقل من أن يظلمهم على نواياه

أكثر مما تفعل نيافتكم

— سنحيطكم بالموضوع في الوقت المناسب ، أما الآن فاذهب وهاش عن أصحاب
وهاتهم لخدمتي

— ربما لم يكونوا في باريس ، فأرحل إلى الأقاليم للبحث عنهم ، وأنا رجل فقير والسفر
نفقات باهظة

— لا أريد أن يبدو عليك البذخ في سفرك

— مهما التزمت التقشف ، فإن يحتمل مرتبي المتجمد منذ ثلاثة أشهر نفقات الرحلة

— خذ إذن هذا الكيس لنفقات السفر

وتلقف دارتانيان الكيس فوضعه في جيبه بسرور ، واستمر الكردينال يقول :

— ولا تنس أن تكتب لي كل يوم بأبناء خطواتك . وبهذه المناسبة ما اسم أصدقائك
الثلاثة ؟

— الكونت دي لافير ، ولقبه المحي آتوس ، والشيفاليه دي فالون واسمه المحي بورتوس ،

والأب دربليه ، واسمه المحي اراميس

فابتسم الكردينال ، وودع دارتانيان بكلمات رقيقة ، تخرج دارتانيان بعد أن حصل
على اجازة رسمية بخط الوزير ، ثم وقف في فناء القصر تحت مصباح وأخرج الكيس من
جيبه ففتحه لينظر ما فيه ، فاذا هوود فضية ، فاغتناظ ، وتذكر أيام ريشليو التي كانت المعاملة
فيها بالذهب

وفي الوقت نفسه كان مازاران يفرك يديه مسروراً ، لأنه احتفظ لنفسه بالخاتم الماسي
الأمين الذي أعطته اياه الملكة ليوصله إلى دارتانيان ، وقام نخباً الخاتم في بعض خزائنه . وأوى
إلى فراشه ، في الوقت الذي أتجه فيه دارتانيان إلى خان العترة الصغيرة الذي يقيم فيه ، كي
يريح جسمه ويستعد لمشاق السفر



mersalli

دارتانيان في الاربعين

لقد مرت بدارتانيان في العشرين سنة الأخيرة فرص كثيرة لم يقصر في انتهازها ، ولكن الظروف هي التي خاتته . وقد اكتسب من أصدقائه الثلاثة بالمعاشرة معظم مزاياهم ، فأعطاه آتوس شيئاً من أبيته ، كما أعطاه بورتوس شيئاً من حبيته وتوقد قريحته ، أما أراميس فكان قدوته في الأناقة والقيافة . والحق أن دارتانيان كان من ذوى الطباع الطيبة السهلة الانطباع بالمعاشرة ، فلو أن أصحابه الثلاثة ظلوا بجانبه لكان حرياً أن يقدو رجلاً ممتازاً . ولكنهم غادروه لبسلك كل منهم طريقاً مستقلاً في الحياة . أما آتوس فأنصرف إلى ضيعته الصغيرة التي ورثها بالقرب من « بلوا » . وأما بورتوس فقد تزوج سيدة ذات حسب ولقب . وأما أراميس فترك الدنيا وانخرط في سلك الرهبان

ولما كان صاحبنا دارتانيان ليس ذا نسب عال فيسندة نسبه ويشفع له في تقلد المناصب ، وهو ليس كذلك من ذوى الثراء فيدفعه ثراؤه في مدارج الرقي ، لهذا ظل كما كان منذ عشرين سنة ملازماً في حرس الفرسان ، والمرتبات قليلاً ما تدفع بانتظام ، فما أكثر ما كان يستدين ولا يستطيع الوفاء بالدين ، ولذلك قد استقر منذ سنوات في فندق العنزة الصغيرة ، وهو فندق نظيف متواضع تديره سيدة هولندية هجرها زوجها بعد أن سرق حليها ، ووجد عندها ما يناسبه من فراش متواضع وغذاء جيد في حدود الفقر

وها هو دارتانيان يحمل كيس النقود الذي منحه إياه مازاران متجهاً إلى الفندق ، وإذا به يرى في الشارع زحاماً ولغطاً ، ولا سيما حول فندقه ، فقال في نفسه :

— أعمل فندق العنزة الصغيرة قد شبت فيه النيران ؟

فلما اقترب وجد الزحام غير مجتمع أمام فندقه المحبوب ، بل أمام المنزل المجاور ، ورأى للناس ضجة كبيرة ، وفي أيديهم المشاعل ، وتبين على ضوء تلك المشاعل أردية الجند ، فسأل عن جليلة الأمر فقيل له إن رجلاً من الأهالي قد هاجم على رأس عشرين من أنصاره بحربة مقفلة يحرسها جنود الكردينال ، واستطاع رجال الحرس أن يردوا الهجوم ففرق المعتدون ، وأما رئيسهم فاختنى في هذا البيت ، وهم الآن بصدد تفتيشه

وصعد دارتانيان حاملاً شمعه إلى غرفته في الطابق الرابع ، وكان أول همه حين دخل

الفرقة أن يضع الكيس في درج مكتبه العتيق ، ثم جىء له بعشائه فصرف الخادم وجلس
أياً كل . وبعد أن أكل بشهية استلقى على الفراش ليستغرق في النوم على عادته ، فهو ليس
بمن يؤمنون أن هدوء الليل يساعد على أعمال الفكر ، بل الليل عنده راحة ونعاس ، حتى
إذا بدت تباشير الصباح قفز من فراشه في نشاط وراح يتمشى في الفرقة مستحسناً ذاكرته
الكبيرة على استقصاء عناوين أصدقائه الثلاثة ، ولكن راحت جهوده في هذا السبيل
عَبَثاً ، فاشتد غيظه من نفسه لأنه لا يدري ما الوسيلة للبحث عن محال اقامتهم

وفي هذه اللحظة سمع صوت زجاج يتحطم في نافذة غرفته ، فأسرع إلى مكتبه من
حجرة الحمام فإذا رجل يدخل من النافذة ، فحسبه لصاً جاء يسطو على كيسه ، فهجم عليه
وسيفه في يده ، فصاح الرجل يستعطفه :

— لا تقتلني بحق السماء ياسيدي قبل أن تسمع مقالتي ، فليست لصاً . بل أنا على العكس
مواطن شريف وتاجر مستور واسمى ... واسكن رباه ! انت وربى السيد دارتانيان !
— وانت بلانشيه ! ولكن ماذا حدا بك أن تقفز على أسطح المنازل في الفجر ، وفي
شهر يناير أيها الرجل الشريف ؟

— قل لي يا سيدي عن مدى علاقتك بالسيد دي روشفور
— على أحسن ما يرام . بل هو الآن من أعز أصدقائي منذ الأمس . ولكن ما الصلة
بين روشفور ودخولك بهذا الشكل إلى حجرتي ؟

— المسألة أنني هاجت العربية العائدة به إلى الباستيل وأهذته فتمكن من الفرار في
أثناء اجتيازه للشارع أمام دكاني ، فقد أطال من العربية واستغاث معلناً اسمه ، ولولا أنه
تصادف مرور داورية انضمت للحراس لما استطاعوا تفريقنا . وقد اضطرت للهرب في
البيت المجاور حيث تطوعت سيدة مجوز في الطابق الخامس لاختفائي بين حشايا الفراش ،
ثم فكرت في الخروج عند الفجر فأوقعتني حسن الحظ بين يديك

— لا تخش شيئاً واجلس وسنتناول الآن معاً طعام الإفطار ثم ننظر في تأمينك ، لأنك
لو وقعت في يد الحكومة لكان جزاؤك الشنق في غير رحمة ولا شفقة
وأكل الاثنان بشهية عظيمة ولا سيما بلانشيه . فلما انتهى الأكل رأى دارتانيان
الفرصة مناسبة لسؤال بلانشيه عن عناوين أصدقائه ، فاذا به لا يدري عن هذا الأمر شيئاً ،
ولما رأى اكتباب دارتانيان لذلك الجهل قال له :

— ولكنني أعرف أين بازان خادم أحدهم ، فهو الآن من خدام كنيسة النوتردام
دي باري ، وهو ولا شك يعرف عنوان سيده
وتناول دارتانيان معطفه وسيفه ، ثم سلم بلانشيه الى صاحبة الفندق الهولندية وأوصاها

آن تزعم أنه أخوها الذى حضر لزيارتها من أمستردام ، مستغلا اجادة بلانشيه للغة الهولندية ، ثم سار هو نحو كنيسة النوردرام دى بارى



صعد دارتانيان درج الكنيسة ، ثم خاطب خادما كان يقوم بعملية الكنس ، فسأله عن بازان فقال له انه يقوم بخدمة القديس فى هذه اللحظة بمقصورة العذراء . ففرح دارتانيان كثيرا بذلك التوفيق ، ثقة منه بأن المفاوضات مع بازان ستكون أسهل مما يمكن ، ودخل مقصورة العذراء فركع أمام الهيكل مباشرة حتى لا تعيب فريسته عن نظره . وكان هذا القديس من النوع القصير الذى ينتهى بعد دقائق . وطاف الكاهن على المصلين ليباركهم بوضع الصليب فوق رؤوسهم ، ومن خلفه بازان وقد تعلقت عيناه بالسما . فلما صار قبالة دارتانيان جذبته من كفه فنظر اليه ثم انتفض كأنه رأى تعبانا ساما ، وأبدى لدارتانيان جفوة لأنه غير راقب فى أى شىء يعكر سلامه الراهن ويذكره بحياته القديمة . وحاول دارتانيان أن يتألف قلبه بادعاء التقوى والورع ، وأنه يبحث عن سيده أراميس الذى دخل الرهبنة ليجعله مرشده الأمين فى طريق الخلاص ، بيد أن بازان رفض أن يصدق هذا الزعم وصارحه بأنه إنما يسمى لاعادة مولاه إلى عالم الدنياويات بآثامه ومظالمه ، وأضاف إلى ذلك أنه يجهل مقر سيده القديم كل الجهل ، ثم ابتعد عنه بشكل يوحى بالتصميم والعزم

وظل دارتانيان راكعاً لم يفق من ذهوله من هذا الاخفاق ، وإذا بأحدهم يحس كتفه بأصبعه فالتفت نحوه ، فاذا به أمام الدوق روشفور ، وغرف الدوق منه أن الذى ألقاه فى الظلام هو بلانشيه . ثم سأله دارتانيان عن سر حضوره إلى الكنيسة فقال :

— جئت لأقدم فروض الشكر لك على نجائى

— ثم ماذا أيضاً ، فلا أظن أن هذا هو السبب الوحيد فى حضورك إلى الكنيسة ؟

— ثم لأننى أوامر نائب المظران ، والاتفاق معه على مايمكن عمله لازعاج مازاران وإعاطته . وربما خرجت من باريس للترهة والاستجمام فى أنحاء الريف

— وأنا كذلك أنوى الارتحال إلى الأرياف ، بحثاً عن أصدقاء الثلاثة ، فإى أجهل

عناويهم ولا أدرى كيف أهتدى اليهم

— اصبر ثمانية أيام وسيكون فى مقدورى أن أدلك عليهم

— ثمانية أيام ؟ هذا كثير ، فلا بد لى من الاهداء اليهم فى بحر ثلاثة أيام ابتداء

من اليوم

— هذا قليل ، سيما أن فرنسا واسعة الأرجاء مترامية الأطراف

— وداعاً إذن ، وأرجوك أن تبغ مازاران انه سيأتيه عنى من الأنباء بعد قليل مايدل على

أنى لم أبلغ من العمر عتياً
وانصرف روشفور ، ثم تسال دارتانيان خارجاً . فكمن عند الناصية حتى يتعقب بازان
حين خروجه من الكنيسة . وان مى إلا خمس دقائق حتى رأى بازان خارجاً يتأتمت حوله ،
ولسكنه لم ير دارتانيان لأنه كان مخبئاً في باب بيت ، ومشى بازان ودارتانيان يتبعه إلى أن
دخل بيتاً برىء المظهر ، فدخل دارتانيان مقصفاً ، واجها للبيت وطلب اعداد شراب معين
يستغرق تحضيره نصف ساعة ، وبهذا أتحت له الفرصة أن يرقب البيت دون أن يثير الشبهات
ولفت نظره في الفصف غلام في نحو الثانية عشرة تبدو عليه مخايل الذكاء والحيوية ، وتذكر
دارتانيان أنه رآه قبل عشرين دقيقة في ملابس المرتلين بالكنيسة ، فراح دارتانيان يجاذبه
الحديث حتى عرف منه أنه يقوم من السادسة إلى التاسعة صباحاً بعمل المرتل في مجموعة
الشماسة . ومن التاسعة إلى نصف الليل يعمل خادماً في هذه الحانة . وفي هذه اللحظة
شوهده بعضهم يقود جواداً إلى باب بيت بازان وقد أجم وأسرج ، ثم خرج بازان من البيت ،
فصاح الغلام :

— هاهو العريف على أهبة السفر

فسأله دارتانيان إذا كان يعرف غاية العريف من رحلته هذه ، فأجابه الشمس إنه
لايدرى ، فأخرج له دارتانيان نصف ريال ووعدته به إذا استطاع تسقط الحقيقة ، فطاراب
الشماس فرحاً ، وانطلق فلم يغب إلا خمس دقائق ثم عاد إلى دارتانيان متمللاً الوجه ،
ولكنه ظاهر الحذر فقال :

— لقد عرفت المطلوب

— أين هو ذاهب ؟

— أرني نصف الريال أولاً . ثم دعنى أنظر هل هو صحيح أم زائف ، ثم بعد ذلك
أسلك البضاعة

وتناول الغلام القطعة الفضية وقال لصاحب الحان :

— أعطنا فسكة للزيون يا معلم

فلما رأى المعلم يصرف له نصف الريال بغير تردد قال :

— لقد ذهب إلى نوازي

— وكيف عرفت ؟

— لم يكن الأمر عسيراً ، فانى أعرف الحصان وأعلم أنه ملك للجزار الذى يؤجره
لبازان بين الحين والحين . وأدركت أن القصاب لا يؤجر جواده من دون أن يعرف هذه

الرحلة . فسألت الفصاح صاحب الحصان فقال لي انه تعود السفر الى نوازي مرتين أو ثلاثاً
كل أسبوع

— وهل في نوازي دير للرهان ؟

— دير كبير لليسوعيين

فشكر دارتانيان الغلام وقيد اسمه وعنوان الحان في مفكرته ثم انصرف إلى فندقه مسرعاً



استقر عزم دارتانيان على ألا يصل الى نوازي والشمس في أفق السماء خشية أن ينكشف
أمره فاتسوى أن يتخذ الليل له ستاراً . ومعنى هذا أن أمامه فسحة من الوقت طويلة قبل
الرحيل ، فنوازي لا تبعد عن باريس الا بمقدار أربعة فراسخ على أكثر تقدير . لهذا
انصرف بكليته إلى الاهتمام بتناول وجبة غداء دسمة وافرة ، ثم بدل ثيابه حتى لا يفضحه
زيه الرسمي ، ثم تخير أطول وأصلب سيف من سيوفه الثلاثة . حتى إذا كانت الساعة الثانية
بعد الظهر أسرج جوادين وخرج من بوابة فييت يتبعه بلانشيه في هيئة الخدم ، ومرا على
هذه الصورة رجال الحكومة الذين يملأون الشارع

فلما صار على بعد فرسخ ونصف من باريس تبين دارتانيان أنه تعجل الرحلة لطفة منه على
المشور بصديقه فزل بخان على الطريق ليستريح ويريح الجوادين . فوجد الحان مزدحماً بجماعة
يبدو على وجوههم أنهم من شرار الأوفاد ، وخطر له أنهم ما اجتمعوا على هذه الصورة
إلا للقيام بهجمة ليلية في بقعة مجاورة

وفيما كان يحسنى قدح النبيذ سمع من ربة الحان اسماً معيناً لفت نظره ، هو اسم الدوقة
لونجفيل ، فهذه السيدة من كبريات المقاتل في المملكة ، ومن أجل نساء البلاط وهي شقيقة
الأمير كوندية ، ويشاع أن لها صلة بالأمير مارسياك الابن الأكبر للدوق روشفوكول
الشيخ . .

وفي هذه اللحظة مال بلانشيه على أذن سيده وقال له إنه لاحظ أثناء انزوائه في الاسطبل
المظلم أن رجلاً ملتفياً بمعطف فضفاض دخل الاسطبل ومعه رجلان من هذه العصابة ،
فلم يبصروه لأنه كان في أشد أركان الاسطبل ظلاماً ، وإذا أحد الرجلين يقول لدى المعطف :
— إنه إما أن يكون في نوازي أو يصلها في هذه الليلة ، فقد رأيت خادمه
فأجابه ذو المعطف :

— أمتاً كد أنت !

— أجل ياسمو الأمير . فهاذا تأمر إذا وجدناه هناك ؟ فهو ليس رجلاً سهل المنال ،
وربما عمد إلى سيفه

— تمردون إذن إلى سيوفكم ، وإن كنت أرى لو أصبتموه حيا . وهل معكم حبال
لتقيدها بها وكلمة لتسدوا فم ؟
— لدينا ذلك كله

— على بركة الله . وسأكون هناك لتوجيهكم
ولما انتهى بلانشيه من رواية هذا الحوار قال إن الرجال الثلاثة خرجوا على أثر ذلك
من الاسطيل ، فقال دارتانيان لبلانشيه :
— ومن يعنون بهذا الحديث ؟

— أو أائق أنت أننا لسنا المقصودين به ؟ إن في الحديث قرائن تم على خلاف ذلك . فأنا
الخادم ، وأنت الفارس المحشى بأسه
— على رسلك يا صاح ، فقد مضى الزمن الذي كان الأمراء فيه يتربصون بي ويعينهم
شأنى ويدبرون للإيقاع بي . فاهداً بالآ

وعلى أثر هذا استأنف دارتانيان وبلانشيه ركوبهما . فلما قطعاً فرسهما آخر اقترب
بلانشيه من دارتانيان وقال له :

— ألا يرى سيدي في هذه الناحية أشباحاً تتسلل مترملة بالظلام ؟ اصنع ! يخيل لي
أننى أسمع وقع حوافر خيل
— يخيل لي فعلاً أنى أرى أشباحاً . أما وقع حوافر الخيل فكيف نسمعه والأرض
مشبعة بقاء المطر ؟ وى ! هذا سهيل الخيل ولسكن ماشأتنا بهذا ؟ انهم رقيقة في سرى
مثل سرانا واكفف

واستأنفوا سيرهم حتى بلغوا مشارف نوازى ، فرأوا بناء كبيراً نثما عرف فيه دارتانيان
قصر الدوقة لو نجفيل . وقال بلانشيه :

— انى أعرف موقع الدير ، فهو في الطرف الآخر من المدينة

— أسرع أنت إلى هناك ريثما أعيد إحكام السرج ثم عد إلى بحجر الدير وهل ترى في
نوافذه نورا

وبعد خمس دقائق كان بلانشيه قد عاد ، فقال لدارتانيان :

— هناك نافذة واحدة مضيئة في الجهة التى تطل على الحقول

وأسرعا إلى هناك ، فإذا تلك النافذة الوحيدة وقد انطفأت أنوارها ، ثم سمما لفضا ،
وأقبلت سريتان من الفرسان ، عدة كل منهما عشرة فسدتا الطريق وقطعتا خط الرجعة على
دارتانيان وبلانشيه ، فامتشق دارتانيان حسامه وكن وراء جواده ، وقلده بلانشيه ، أما
الأعداء فجردوا سيوفهم وتصايحوا :

— ها هو ذا . لقد أدركناه
نقاطهم صوت عال أمر قائلا :
— لانفكوه

— كلا يا صاحب السمو . اطمئن !
وحيثذا بدا لدارتانيان أنه قد آن له أن يشترك في الحديث بصوت عال وبلهجة
غسقونية قح :

— ماذا تريدون أيها السادة ؟ ما مرادكم ؟

فنصائح الجنود في صوت واحد :

— ستعرف مرادنا عما قليل

فصاح بهم الصوت الأمر :

— كفوا عنه . ليس هذا صوته

وصاح دارتانيان :

— أترى أهل نوازي بهم سعار ؟ حذار إذن أن تقربوا مني ، فأولد من يدي مني
سيخترقه سيني ، وإن لي سيفاً طويلاً

واقرب منه فائدهم ذو الصوت الأمر ، فسأله في استعلاء :

— ماذا تصنع هنا ؟

— وأنت ، ماذا تصنع هنا ؟

— تأدب وإلا أدبتك ! فلئن رغبنا عن إعلان شخصنا إلا أننا نحرص على احترامنا كما

ينبغي لقامنا ومكانتنا

— أنت لا تريد أن تكشف عن شخصك لأنك تقود عصاة تسطو على الناس في

جوف الليل . أما أنا فلا يحول بيني وبين إعلان اسمي مثل ذلك السبب

— أقصر . ما اسمك ؟

— سأقول لك اسمي لا لأنك طلبته ، ولكن لتعرف أين تجدني يا صاحب السمو أو

صاحب السيادة أو صاحب المجد أو صاحب أي نعت تحب أن يناديك الناس به ، فإذا عرفت

أين أكون سهل عليك أن تطلب لقائي لفساء الأكفاء في أي زمان ومكان . هل تعرف

السيد دارتانيان الملازم في حرس فرسان الملك ؟

— أنت السيد دارتانيان ؟

— أجل ، ولا اخلاك إلا تعلم أن لدارتانيان قبضة من فولاذ وحساما كأنه لعاب

المنون !

— لقد جئت إذن للدفاع عنه ؟

— عنه ؟ عن من ؟

— من نبعت عنه

— يدولى أنني حين دخلت نوازي ألقيت بنفسي في بحر الألفاظ وتيه المعينات

والاحاجي

— تكلم . هل أنت تنتظره هنا تحت النوافذ ؟

— اني لا أنتظر أحداً ولا أعترم الدفاع عن أحد سوى نفسي

— هذا جميل . تفضل إذن من هنا وارك لنا هذا المكان !

— اترك هذا المكان ؟ ليس هذا يسيراً ، ولا سنياً أنني أكاد أسقط لإعياء ، وكذلك

جوادى ، اللهم إلا إذا كنت تتوى أن تدعوني للعشاء والمأوى في مكان قريب

— يالك من وغد !

— من لسانك يصنعك ، والا رددت بذائك في حلقك ملكا كنت أو أميراً أو

مركبياً أو ماشئت

فالتفت الرجل لرجاله وقال :

— هذا كلام لا يصدر إلا عن غسقوني متهور ، فالرجل ليس ضاللتنا المنشودة ، وقد

ضاعت ليلتنا في غير طائل ، فهيا بنا نتصرف

وانصرفوا فعلا تاركين دارتانيان وبلانشيه حيث هما تحت نوافذ الدير ، وقال

دارتانيان :

— ها أنت ترى أيها النبي أننا لم نكن المقصودين ، وما يعينني الآن قبل كل شيء هو

دخول هذا الدير ، فهيا نركب الى جهة الباب لنقرعه وليكن ما يكون ، فلن يأكلونا على

كل حال

وركبا جواديهما وهما أن يسيرا ، وإذا بثقل يسقط على عجيذة جواد بلانشيه حتى كاد يقع

على الأرض ، وصاح بلانشيه :

— لقد أردف رجل نفسه ورأى يا سيدي !

والتفت دارتانيان فرأى مصداق ذلك فامتشق حساهه وعم أن يهجم على ذلك الفضولي

وهو بصخب بالسباب ، فقال الغريب :

— رويدك يا عزيزي دارتانيان . هذا أنا أراميس . أسرعا بركبما الى أقصى المدينة

فلما بلغا الطرف الآخر من البلدة دار بلانشيه الى اليسار كما أمره أراميس ، ثم وقف

تحت نافذة مضيئة ، فنزل أراميس الى الأرض وصفق يديه ثلاثاً ، ففتحت النافذة وتدلى

منها سلم من الجبال ، فقال أراميس لدارتانيان :

— إذا أذنت بالصعود يا صديقي أسعدنى ذلك كثيراً

— وهل هذه هى وسيلة الدخول الوحيدة الى بيتك ؟

— متى تجاوزت الساعة التاسعة مساء لم يكن من ذلك بد ، فلوائح الدير غاية فى

الصرامة

— إذن تقدمنى حتى أصعد على هداك

وصعد أراميس على سلم الجبال ، ووراه دارتانيان ، فصاح بلانشيه معترضاً :

— قد يصلح هذا لسيدى أراميس ولك ، وربما لى أنا أيضاً ولكن هذان الجوادان

كيف يصعد بهما على سلم الجبال ؟

فقال أراميس مشيراً الى مظلة للبهائم فى الرحبة المقابلة :

— امض بهما الى هناك وستجد علفاً كثيراً وماء

— وأنا ؟

— اربط الجوادين وعد فصقى ثلاثاً فندلى اليك الطعام

ثم جذب أراميس الحبل وأغلق النافذة ، وراح دارتانيان بفحص الحجرة بنظره ، فاذا

أثاث فى غاية البساطة ولكنه مربع وبني بالفرض ، فقال له أراميس :

— إنها حجرة متواضعة . حجرة راهب يا عزيزى . ولكن عم تبحث وراء الأثاث ؟

— عن الشخص الذى دلى لك سلم الجبال

— إنه بازان ، فهو شاب ماهر وجيب ، إذا رأى معى ضيوفاً انسحب لى لا يقيد

حريتى . اجلس يا صديقي لتتحدث ، وستتعنى معاً طبعاً . أم لديك مانع ؟

— كلا على الاملاق . بل لى أقبل الدعوة بكل سرور ، فلا أكنمك أن السفر قد

فتق شهينى

— ولكننا فى الدير لا نزال إلا طعام ابرهاده ، وحضورك لم يكن متوقفاً . ولكن

سنرى ماذا يستطيع بازان أن يفعل . يا بازان

وانفتح الباب وأطل منه بازان ، فما ان وقع نظره على دارتانيان حتى أطلق صيحة فرح

وارتياح فقال له دارتانيان :

— يا صديقي بازان ، لقد سرنى كثيراً أن أسمدى تدمك فى الكذب بثبات

وجرأة . منذ دخلت فى سلك الكهنوت ، ولا سما إذا كن لكذب فى ساحة الكنيسة

ال مقدسة

— لقد تكلمت يا سيدي من الآباء البسوعيين أنه لا بأس من الكذب إذا كان ذلك

في سبيل غاية طيبة

وتدخل أراميس في المناقشة قائلاً :

— حسناً يا بازان . إن دارتانيان يكاد يموت جوعاً ، وأنا كذلك ، فأعدد لنا خبز
عشاء في وسعك ، وتحمر على المحمص أن تأتينا بكمية طيبة من النبيذ الجيد
فتشهد بازان وانحني ثم خرج وتركهما . فقال دارتانيان :
— قل لي يا عزيزي أراميس ، أين كنت بحق الشيطان حين تقفرت على الحصان وراء
بلاشيه ؟

— لقد هيئت كما رأيت من السماء

— لا يبدو عليك أنك كنت هناك يا صديقي . بل إنني أشم في الأمر رائحة امرأة .

فذلك أشبه بك من السماء

— أنت كالعهد بك . مهذار . طن ما شئت ولكن إياك أن تعتقد أن الدوقة لونها جميل
هي التي شفقتني

— إن هذا صعب ولا سيما أنني أعلم أنك كنت الصديق الحميم لعدوتها الدوقة شيفريز
مدة طويلة

— أين ذهب هذا الحيوان بازان ؟ نحن جائعان كالذئاب

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل بازان بما أحضره من الطعام والشراب ، وصفق
بلاشيه تحت النافذة فدلى إليه بازان رغيفاً ودجاجة محمرة وزجاجة من النبيذ ، ثم أقبل
بازان النافذة وانسحب من الغرفة ، فأقبل دارتانيان على المائدة الحافلة بأخضر أطيب
الطعام وهو يعجب من أمر صاحبه الذي لا يشبه في شيء خلائق الرهبان ومعيشتهم ، فلما
فرغ قال أراميس :

— لقد علمت من بازان أنك كنت تبحث هي

— سأقول لك لماذا . ولكن قل لي أولاً ، أتهم بالسياسة ؟

فرت سحابة خاطفة بجيبين أراميس وأحاب بالسلب

— وهل لم تخطر ببالك يا عزيزي أراميس أباننا الخالية ؟

— بلى ! وكم أحسرها عليها

— وعلام التحسر ؟ إن هذه الأيام سير أن تعود سيرتها الأولى وقد تكلمت بجموع

زملائي ، وقد بدأت بك ، لأنك قلب بجموعنا الزايب

فانحني أراميس شكراً وتادباً وقال :

- أنريد أن تعيدني الى هموم السياسة وتخرجني من معيشتي الراضية المستقرة ؟ كفانا
ياسديني ما لمسناه من ججود السادة القواد والزعماء
- الحق معك . ولكن لعل أولئك الجاحدين ندموا على ججودهم
- وابقه يغفر للتائبين . ولعل الوقت الحاضر مناسب لعودتنا الى حلبة السياسة ، فقد
مهمت ان مازاران غير مطمئن الى سير الأمور ، وانه يسمى الى توطيد هؤذه
- لقد أصبت يا أراميس . فالكردينال هو الذي كلفني ...
- ولكنني علمت أيضاً ان مازاران لس رجلا موهوباً للقيادة والسياسة ، وانما كل
رأس ماله انه حظى الملكة . فهو ظل لها ، وهي سنده الوحيد
- وهي سند غير هين ياعزيزي أراميس
- ولكن لاتنس أن الملك ليس معه ، بل عليه
- انه غلام قاصر
- غلام سيبلغ رشده بعد أربع سنين
- لنا الساعة التي نحن فيها
- وحتى في الساعة التي نحن فيها ضده قوى كثيرة ، فانبرلان ضده ، والشعب ضده ،
والنبلاء ضده ، وأمراء الجيش ضده أيضاً ، واني أشفق عليك أيها الصديق من مغبة ربط
مستقبلك بذلك الأجنبي المكروه
- أنا ؟
- ألم تتحدث الى انك موفد من قبله ؟
- أنا تحدثت عن ذلك ؟ لقد كنت لاذن بخطأ في التعبير . وكل ما هناك أني قلت بنفسى
ان تعقد الأمور في حلبة السياسة قد يكون فرصة مواتية لنا كي نصل الى شيء . ولكنني
حريص طبعاً على تعرف اتجاهات الريح ، وأن نكون مع الفريق الرابع
- ذلك أمر صعب ، فمن يدري من الرابع في بحر السياسة ومن الفريق ، واني أوثر
ألا أورط نفسى في تلك التيارات والمزالق
- الحق معك يا أراميس . فأنت على عادتك فيلسوف حكيم راجح العقل . ولست
أدرى أى شيطان ركبني فزين لي المطامع . وقد عزمت على أن أقضى بك في إيثار السلامة
وصح عزى على التوجه لزيارة صديقنا بورتوس كي أتلهى بالصيد في أراضيه . فقد سبق له
أن دعاني لذلك . وأنت تعرف طبعاً ان لصديقنا بورتوس أرضاً ؟
- طبعاً . ضياع وغابات وسهول ووديان ، وله حقوق إقتصاعية كانت محل خلاف بينه
وبين أسقف نويون
- فقال دارتانيان في نفسه :

— عال ! هانحن قد عرفنا أنه يقم في نواحي بيكارديه

ثم قال بصوت عال :

— وأعتقد أنه استرد اسمه القديم (دى فالون).

— وأضاف إليه لقب (دى براسيه) ، وهى ضيعة فى مرتبة البارونية

— إذن سأرى صديق بورتوس وقد أضفى باروناً

— طبعاً . وسيعجبك ماله . وستعجبك على الخصوص البارونة الحسناء

وانفجر الاثنان ضاحكين . ثم استأذن دارتانيان فى الانصراف فقال أراميس :

— لا أستطيع احتجازك ، لأننى لا أدرى أين تنام عندى !

— لا عليك ، فالسافة الى باريس قصيرة

وأصر أراميس على أن يودع دارتانيان بنفسه ، فتقلد سيفه واستدعى بازان ، وكلفه أن

يأتى بسلم الحديقة الحشبي ، فوضعه بازان فى مكان سلم الحبال ، فقال دارتانيان معلقاً على ذلك :

— ياله من سلم متين مأمون لا تخشى امرأة أن تصعده

لقدق فيه أراميس كأنها يريد أن يستشف ماوراء هذا التعليق من مغزى ، ولكن

دارتانيان كان السذاجة بيمينها ، ثم نزل الصديقان وبقي بازان فى الحجره ، وآتجه الصديقان

الى المظلة التى بنام تحتها بلانشيه ، فإذا به واقفاً والجوادان فى يده ، فركب الصديقان وسار

خلفهما بلانشيه لأن أراميس أصر على توديع صاحبه الى أن يخرج من حدود القرية وهناك

تعاقا ، وعاد أراميس راجلاً ، أما دارتانيان وبلانشيه فألها جواديهما وأسرعوا فى طريق

باريس . ولكن ما أن ابتمدا مائى خطوة حتى وقف دارتانيان وترجل عن جواده وألقى

بسنانه الى بلانشيه ، وتمنطق بفدارتيه ، فصاح بلانشيه :

— ماذا جرى ياسيدى ؟

— جرى انه . هما كان أراميس ما كراً ، فلن يستطيع تغلبى ، فانتظر هنا ولا تتحرك

ثم أسرع دارتانيان يخرق الحقول ملتفياً حول القرية ، فكان قد لاحظ أن بين قصر

لورنجفيل ودير اليسوعيين أرضاً فضاء سورها من القش والأعشاب ، فأسرع بالكمون بين

حشائش هذا السور . وما هى إلا لحظة حتى سمع وقع خطوات خافتة تقترب ، وصوت همس ،

ثم وقعت الخطوات عند أول السور ، وظهر بعد ذلك رجلان ، فدهش دارتانيان لذلك .

بيد أن دهشته لم تظل إذ سرعان ماتكلم الرجلان فإذا لأحدهما صوت ناعم ، صوت امرأة

متكبرة فى ثياب رجل ، وإذا الصوت الآخر صوت صديقه أراميس يقسم لها قائلاً :

— تقى يا مولاتى الأميرة أن حرصى على سمعتك أعظم من حرصى على حياتى ، ولهذا

ألتزم جانب الحذر

— ولكننى يا عزيزى ربيبه اطمشك بأن حدث الليلة لن يتكرر ، فقد اكتشفت
سردابا بين قصرى وحجرتك فى الدير يمر تحت الشارع
وفى هذه اللحظة أطار الهواء قبعة السيدة فأثار القمر وجهها ، واستطاع دارتانيان أن
يعرف فيها الدوقة دي لونيجيل ، ذات العينين الزرقاوين الواسعتين ، والشعر الذهبى ، والجمال
الذى يتحدث به كل أبناء زمانها
وتناولت قبعتها ، وانصرف الشبان ، وتسلل دارتانيان عائداً الى جواده وخادمه
الذين ينتظرانه فى طريق باريس



mersalli

لقب بارون

استقر عزم دارتانيان وتابعه الذي تعلق به على السفر إلى بيكارديه لمقابلة بورتوس .
وقد وافق بلانشيه على أن يصحبه ولو إلى أقصى الأرض ، ولكن بشرط أن يخرجوا من
باريس تحت جنح الظلام ، لأن بلانشيه كان لا يزال خائفاً من مضادة رجال الحكومة له
بعد قيامه بتخليص دي روشفور من عربة السجن ، وقد أجابه دارتانيان إلى طلبه ، فلم
يبدأ في مبارحة باريس إلا في نحو الساعة الثامنة مساءً .

فما وصلا عند منتصف الليل إلى قرية حتى نزلا بمخائها ، ثم استأقرا ركوبهما في الصباح
الباكر ، فوصلا في نحو الساعة التاسعة صباحاً إلى « نانتي » فنزلا هناك لتناول الافطار ،
وقد صارا في صميم مقاطعة بيكارديه . وكان رب الخان رجلاً طيب القلب صريحاً ، وكان
بلانشيه من أهالي الاقليم وان كان قد هاجر منه منذ زمن طويل ، لهذا أنس صاحب الخان
اليه ولم يبخل عليه بكل ماله من المعلومات . فعرف منه أن ضيعة « براسيه » لا تبعد
إلا بضعة فراسخ عن مدينة عينها له ، فاتجه دارتانيان مع بلانشيه إلى تلك المدينة ، ونزلا
في فندقها المسمى « الدافين الذهبي » . وكانت المعلومات المستقاة من ذلك الفندق تبث على
الرضى . فقد اتضح أن ضيعة « براسيه » لا تبعد فعلاً عن هذه المدينة إلا بمقدار أربعة
فراسخ . ولكنهما علما أيضاً أن البارون بورتوس لا يقيم في الوقت الحاضر بضيعة « براسيه »
بعد أن ضاق بطول الخلاف بينه وبين أسقف « نويون » بخصوص ضيعة « بيرفون » المتاخمة
لأرضه ، وانتهى به الأمر أخيراً إلى فسخ الاشكال بشراء تلك الضيعة ، وأضاف اسمها إلى
اسمه بحيث صار ينادى في الوقت الحاضر « السيد بورتوس دي فالون دي براسيه دي بيرفون »
وهو يفضل الآن الإقامة في ضيعته الجديدة ، وهناك ينبغي أن يشده دارتانيان

وكان لابد من الانتظار إلى اليوم التالي ، لأن الجوادين كانا متعبين بعد الرحلة الشاقة
من باريس ، فلما كان الصباح ركبا في الساعة الثامنة ليخترقا الغابة المسماة غابة « كوينيبي » ،
ثم يتجهان بعد اختراقها إلى اليمين

فما أن اخترقا الغابة حتى ترامت لدارتانيان أبراج حصن اقطاعي هائل لفصور كبار الأمراء
ولما بلغا نهاية الطريق ، أبصرا تحتها واديا رائعا فيه بحيرة جميلة تتناثر حولها بيوت صغيرة

لطيفة ، وتشرف عليها جميعاً قلعة جميلة ينتهى عندها الطريق . فأدرك دارتانيان أن صديقه بورتوس يقم في تلك القلعة

وبعد عشر دقائق وجد دارتانيان نفسه على رأس ممر مستقيم تحف بجانبه أشجار السديان ، ويفضى ذلك الممر إلى سور من الحديد المذهب . والتقى في وسط ذلك الطريق بسيد عليه حلة خضراء مذهبة ، تضامى ذلك السور المذهب ، ومن تحته جواد ضخمة الجثة غالى الثمن من خيول الزهرة ، ويحف بجانبه وصيفان تملأ النقوش الذهبية كل موضع في حلتيهما ، وبين يديه جمهور من الفلاحين نقوست ظهورهم اظهاراً للولاء . وخطر لدارتانيان أن هذا هو صاحبه القديم بورتوس في مجده الطريف ، فأسرع يهمز جواده ليطير به إليه فاذا به يقين فيه خادم بورتوس القديم السمين ، نقيض بازان في الجسم والسجايا ، الملقب بـ « موسكيتن » . وتهلل وجه الرجل وهو يخف للقاء صديق سيده دارتانيان ، وأنزله الوصيفان عن حصانه ، لأن جسمه الضخم لا يسمح له بالركوب والنزول بنفسه ، وما رأى الخدم والفلاحون ترحيب « موسكيتن » حتى أتجهوا باحترامهم إلى تلك الشمس الطالعة ، وصاح موسكيتن :

— ما أشد فرح مولاي سيدي فالون وبراسيديه وييرفون بحضور سيدي الكونت دارتانيان

— يا لموسكيتن الطيب القلب ! سيدك هنا إذن ؟

— إنك ياسيدي تقف في حدود أراضي

وهجم بلائشيه على موسكيتن بعاقبه ويحاول عبثاً أن يضم ذراعيه حول خاصرته .

وبعد أن انتهى ذلك العناق قال موسكيتن لدارتانيان :

— والآن ياسيدي اسمح لي أن أغادرك ، فاني لا أرضى أن يسمع مولاي بقدمك من

فم أحد سواي

— يا لذلك الصديق العزيز . انه إذن لم ينس صاحبه القديم !

— ينساك ياسيدي ؟ مامن يوم انقضى إلا ونحن نتنظر أن نسمع أنك قد عيت مارشالا

لفرنسا خلفاً لاسيد دي « جاسيون » أو في مكان السيد دي « باسونبير » . فانك لست أقل

بسالة ومقدرة في الحروب من أيهما

فافترت شفتنا دارتانيان عن ابتسامه حزينة ، وصاح « موسكيتن » في الوصيفين :

— ابقيا أيها الصملاوكان هنا بين يدي سيدي الكونت دارتانيان ، وإياكما أن تقصرا

في تقديم الاحترامات والانحناءات له طول الوقت ربثا أخطر مولاي

ثم تعاون الوصيفان على رفع موسكيتن إلى صهوة جواده الضخم ثم أسرع يعدو فوق

الحشائش نحو القصر

اخترق دارتانيان السور الحديدى المذهب فألقى نفسه فى مواجهة القصر ، فإنا نرجل
عن جواده حتى رأى على الدرج الكبير عملاقاً ضخماً دق لمراه قلبه ، فقد كان ذلك العملاق
الذى تدل قامته وطلعتة على الشجاعة والطيبة هو صديق الزمان الخالى بورتوس . فأسرع
يعدو نحوه فاتحاً ذراعيه . وصاح بورتوس بصوته الأجش وهو يعصر صديقه بين ذراعيه :
— ما أسعدنى برؤياك يا عزيزى دارتانيان . ها أنت لم تنسى
— أنساك يا عزيزى دى فالون ؟ وهل يستطيع المرء أن ينسى أجمل أيام شبابه وأعز
أصدقائه الذين جمعهم به الحظر المشترك ؟

فجعل بورتوس يسوى شاربه الضخم ويفتله على ذكر تلك الأيام وقال :

— طبعاً طبعاً . لقد فعلنا الأفاعيل وسببنا المتاعب الجسام للكردينال المسكين . فرحياً
بك يا صديقى كى تدخل العزاء والسرور على قلبى . وغداً نصطاد الأرناب البرية فى السهل ،
وإن لى لسهلاً جيلاً ، أو نصطاد الأيائل فى بعض غابآتى ، وإن لى لغابات رائعة . وإن كلاب
صيدى من جميع الأنواع ليس لها نظير فى المنطقة كلها

ثم نددت عنه آهة عميقة لم تغب عن دارتانيان فقال فى نفسه :

— أترى هذا الرجل الوجيه قد أخطأته السعادة ؟

ولكنه أجاب صديقه بصوت مرتفع :

— أحب قبل هذا وذاك أن تقدمنى الى قرينتك مدام دى فالون

فتنهذ بورتوس مرة أخرى فى حسرة وقال :

— لقد فقدت مدام دى فالون منذ سنتين . وها أنت ترانى لا أزال متأماً من هول
الصدمة . وقد تركت قصرى فى ضيعة فالون للإقامة فى قصرى بضيعة براسيير حباً فى التغيير
والابتعاد عن المكان الذى سعدنا فيه معاً . وقد أدى ذلك الى شرائى هذا القصر
— أنت إذن غنى وأعزب ؟

— أجل وأسفاه . فأنا أرمل ودخلى أربعمون ألف جنيه . هيه ! هيا بنا تنفدى !
فدخلنا القصر فاذا نقوش وطاقس مذهبة فى كل مكان من الأرض الى السقف ، والأثاث
أيضاً كان مذهباً . وكانت المائدة معدة لجلس الصديقان إليها ، وراح بورتوس يتنهذ بين
كل لقمة وأخرى . ودارتانيان يحصى التهنيدات ، وأخيراً قال :

— يبدو لى يا صديقى أنك مهموم

— لا أكتمك يا صديقى أننى لست سعيداً

— أنت يا بورتوس غير سعيد ، ولك القصور والضياع ، والسهول والتلاع ،
والنابات والقلاع ؟

— وما قيمة هذا كله وأنا فيه وحيد فريد؟ ولت الأمر اقتصر على هذا يا عزيزي
دارتانيان، فن حولي أثرياء محدثون، أقل مني في كل شيء، ومنهم من يزعم أن نسبه
يرتفع إلى شيرمان. آه يا صديق لو أنني كنت...

— باروناً؟ أليس كذلك؟

— آه يا صديق. لو كنت باروناً

— اطمن يا صديق فهذا اللقب هو ما جئت أحمله إليك!

قفز بورتوس من مقعده قفزة ارتجت لها القاعة الكبيرة، وتدحرج لشدتها أكثر
من قارورة من قوارير النبيذ. ونهض الصديقان لانشي في الحديقة الكبيرة، ضماناً لحسن
الخلوة أثناء الحديث، وهناك فاتحه دارتانيان في أنه ليس عليه للحصول على ذلك اللقب إلا
أن يعود إلى بعض سيرته الأولى أيام الصلح والمغامرات. فصاح بورتوس:

— هي الحرب اذن؟

— إي وربى!

— وضد من؟

— إنني موفد يا صديق من قبل نيافة الكردبنال مازاراز

— ومن الذي حدث نيافته عني؟

— إنه دي روشفور. ألا تذكره؟

— أجل، فقد كان من أعنى الخصوم وأنبههم. وماذا قلت للكردبنال حين كافك

الاتصال بي؟

— اشترطت لك شروطاً. أهمها طبعاً براعة البارونية

— وهل لم تفكر في صديقنا الآخرين؟

— بلى! وقد قابلت أراميس

— وما مطالبه؟ الأسقفية؟

— إن أراميس يا صديق قد أشرب الرهينة حتى زهد في كل شيء ولم أفلح في إقناعه

بالاهتمام بالدينيات

— واخسارته. لقد كان دائماً رجل تأمل. وآتوس؟

— لم أرد بعد. وسأتوجه إليه بعد مغادرتك. أتدرى أين أجده؟

— بالقرب من «بلوا» في ضيعة صغيرة ورثها لا أدري ممن

— وما اسم هذه الضيعة؟

— كسفية براجيلون. فهو الآن كوت دي لافير وكوت براجيلون. ولكنها قطعة

أرض صغيرة

— وهل أنجب أولاداً ؟
— لقد سمعت أنه تبنى غلاماً يشبهه كل الشبه
— سأذهب من غد لزيارته ، فاذا انضم إلينا كان خيراً ، وإلا اكتفينا بأحفادنا
الثنائي . فنحن بمقام اثني عشر رجلاً
— تماماً ، ولكن أربعتنا بمقام ستة وثلاثين . وهل تدوم هذه المهمة العسكرية
طويلاً ؟

— ربما دامت ثلاثة أعوام أو أربعة ، وربما احتدم القتال
— على بركة الله . فان يدي تأكلني شوقاً الى امتشاق الحسام
ثم نادى تابعه السمين وكلفه بتجهيز عدة الحرب من الدروع ، وتطعيم الخيل ، وصقل
السيوف ، فوجم وكيل الدائرة - فهذه هي وظيفة الخادم القديم في العز الجديد - ولكنه
لم يلبث أن رضخ على مريض لارادة سيده ، وهو يشعر أن الانسان كافر بالنعمة يدخله الله
الحزن فيخرج منها بمحض رغبته

ولما حان أن يفترق الصديقان ، سأل بورتوس دارتانيان عن التعليمات فقال له :
— ستستغرق رحلتى الى « بلوا » ثلاثة أيام ، وأقيم هناك يوماً . وستتفرق
رحلتى من هناك الى باريس ثلاثة أيام أو أربعة . فيحسن أن ترحل من هنا بعد أسبوع
في عدتك وعنادك . وتنزل في فندق المنزة الصغيرة بشارع « تيكين » ، وهناك تنتظر
أوبني
— وهو كذلك

وودع دارتانيان صديقه بعد ذلك وركب مع تابعه بلانشيه الى بلوا . ولكنه لم ينس
في منتصف الطريق أن يكتب الى الكردينال تقريراً مختصراً عن قبول بورتوس للخدمة ،
وأنه في طريقه إلى آنوس في قصر براجيلون من سواحي مدينة بلوا

mersalli

قصر براجيلون ..

وصل دارتانيان وبلانشيه بعد ثلاثة أيام الى ضواحي « بلوا » . وهناك رأيا خطاباً يسرق عربة محملة بالأخشاب المقطوعة من الغابة فسألاه عن الكونت دي براجيلون . فقال لها الرجل ان الغابة التي يختطب منها ملك للكونت ، وانه في طريقه الآن الى قصره ، ثم أشار الى طريق مستقيم يفضى الى القصر ونصحهما بالتزامه بدلا من أن يتبعوا عربته الباطية التي تجرها الثيران . وأخيراً وسلا الى قصر متواضع ، تجذب بلانشيه حبل جرس الباب ، ففتح لها وسيف أشيب الشعر معتدل القامة ، فأدخلهما . وذهب ليبلغ سيده بمقدم الضيف وكان لقاء حاراً بين الصديقين ، تبادلوا فيه العناق ، ثم جذب آتوس يد دارتانيان ودخل به قاعة غاصة بالضيوف ، فتمض الجميع لتجنيته ، وقدمه آتوس اليهم خير تقديم ، ثم جلس دارتانيان بينهم فاستأنفوا الحديث الذي انقطع بقدومه ، وأدهشه أن يرى ان صديقه آتوس لم تنل منه السن في تلك المدة الطويلة ، بل ان نظراته أصبحت أسنى ، بالنسبة للراحة وانتظام المعيشة في هذه السنوات

و لم يلبث الضيوف أن أدركوا ان وجودهم غير مرغوب فيه فاستأذنوا في الانصراف ، بيد انه سمعت في صحن الدار جلبة ، ونباح كلاب ، فقال نفر من الضيوف في صوت واحد :
— هذا هو راؤول قد عاد

والثفت دارتانيان التفاتة آلية فإذا غلام في نحو الخامسة عشرة ، بسيط الخندام ولكن في ذوق حسن . ولاحظ دارتانيان الشبه الشديد بين هذا الغلام وبين صديقه الذي احتنى بالغلام وهنس له ، ولكنه رأى في وجهه شعوباً فقال له في لطفة :

— ماذا بك ياراؤول ؟ فاني أراك مكفهراً اللون

— ذلك ياسيدي أن مكروهاً وقع لجارتنا الصغيرة الآنسة لافالير

فارتفعت في القاعة أصوات كثيرة تستفسره فقال :

— لقد كانت تنزه مع مربيتهما مارسين في الغابة حيث يعمل الحطابيون في قطع الأشجار ، حين مررت على سهوة جوادى فرأيتني وقفزت من فوق كومة من الأخشاب لتسرع إلى فالتوى قدمها

— وأما؟ هل علمت بالخبر؟
— انها ياسيدى فى بلوالدى دوفة أورليان . وكان همى أن تقدم الاسماقت الأولية
للطفلة المسكينة ، وأخشى ألا تكون كافية
— اذهب حالا الى بلوا واخبر أمها . ولكن أين لويز نفسها؟
— لقد أتيت بها الى هنا ووضعت امرأة شارلو قدمها فى ماء بارد

وبعد انتهاء هذه المناقشة انصرف الضيوف ماعدا دون باربيه المعجوز الذى دخل ليرى
لويز . وكانت تبكى ، ولكنها ما رأت راؤول حتى لاحت الابتسامة فى عينيها فى الحال .
وعرض الدوق المعجوز أن يأخذها فى عربته الى امها ، فوافق آتوس على أن يصحبها راؤول
ثم يعود

وحل الفتى الطفلة بين ذراعيه فوضعها فى العربة وانطلقا . وسار دارتانيان مع آتوس
يتمشيان فى الحديقة انتظاراً لتجهيز العشاء ، وقد لاحظ آتوس أن ضيفه وصديقه القديم
متعجب مما يرى ، فراح يمازحه ويتذكران معاً أيامهما الخالية . الى أن سأله :
— وهذا الشاب ، أهو من أقربائك؟

— انه يا صديقى يتيم تركته أمه فى حضنة قسيس فتبينته وورينته . وأعتقد انه يحبنى كما
لو كنت أباه . وهو شديد العرفان لجميل مع أننى فى الواقع أنا المدين له بتمتعى الوحيدة فى
الحياة ، فهو نور سعادتى والسبب فى النضرة التى تراها على وجهى



وبعد العشاء بقليل وصل راؤول ، فقدمه آتوس لدارتانيان ، فقال الفتى :
— كثيراً ما حدثنى سيدى الكونت دى فالون عنك ياسيدى بوصفك مثلاً من أعظم
أمثلة الشجاعة والخلق الكريم
فتأثر دارتانيان كثيراً لفرط أدبه ، وقال :

— الحق يا عزيزى الشاب ان كل ما يعزوه الى من الفضائل انما مرده الى الكونت ،
فقد كان أستاذى فى مكارم الأخلاق ، وهنيئاً لك انه صار أستاذك أنت أيضاً
ثم سأل الكونت راؤول عن صحة الفتاة فقال إن الطبيب لا يستطيع أن يجزم بشىء حتى
الآن . ولكنه يعتقد أن المسألة سليمة المواقب

وأثناء السهر فراح دارتانيان يقص على راؤول طرفاً من مواقف البسالة التى وقفها آتوس
فى الزمان الخالى ، الى أن نبه آتوس راؤول الى أن الضيف متمب من وعناء السفر وينبغى
أن يترك لينام

أوى دارتانيان إلى فراشه، لا لهفة على النوم، بل تلهفاً إلى الخلوته بنفسه كي يطلق لأفكاره العنان ويتأمل ويسترجع كل ما شاهده وسمعه ذلك النهار . فن هو ذلك الشاب الذي يقول آتوس أنه تبناه ، والذي يشبهه شبيهاً عظيماً ؟ وكيف يوفق بين اعتكاف صاحبه في الريف وتشفه في مسكنه ولباسه وطعامه وشرابه - فقد كانت المائدة بسيطة غاية البساطة - وبين اتصاله بالناس وتزاوره معهم ، حتى لقد اجتمع ذلك اليوم في صالونه منهم خلق كثير ؟

وقد دله كل ذلك على أن صاحبه رجل لا يفرض عليه العزلة إلا ضيق موارده، وأن نفسه تنازعه مع ذلك إلى الظهور. وذلك دليل على يقظة مطامعه، وأن الثراء والجاه هما نقطة النصف التي يمكن أن يساس منها. فلما اطمان إلى ذلك الرأي استسلم للنوم ، ولكنه استيقظ عند السحر على عادته في البكور، فقفز من فراشه وفتح النوافذ وقد بدأت أشعة النجر تاتي لونها الذهبي الباهت على كل شيء، فخيّل إليه أن شخصاً ما يعيش في صحن الدار محاذراً أن تنم عنه أصوات خطواته ، فخدق دارتانيان في ذلك الشبح ، فعرف في قائمته وشعره الغزير راؤول

وفتح الشاب باب الاستطبل فخرج منه جواد أسهب، هو الجواد الذي كان يمتطيه في اليوم السابق فأسرجه وألجمه في مهارة وسرعة أعجب بهما دارتانيان ، ثم انطلق فوقه كالسهم في الطريق المفضى إلى بلوا . وظل دارتانيان مطلاً من النافذة، حتى إذا سمع أصواتاً في القصر تم عن اليقظة مشط شعره وسوى شاربيه ونزل إلى الحديقة ، فاذا آتوس ممنعن فوق الأرض كمن يبحث عن درهم ضائع ، فخيّاه ثم سأله مستغرباً عم يبحث ، فقال له :

— إنى أبحث عن أزهار صغيرة كانت هنا بالأمس ، ويبدو أن البستاني الأحمق داسها بقدمه . كلا. بل هذه حوافر جواد فيضهر أنه فعل ذلك عند عودته بالجواد من السقاة . كلا . فهذه علامات جديدة ليست منذ أمس . فن ياترى الذي خرج راكباً في هذه الساعة المبكرة ؟ أم ترى أفلت جواد من الاستطبل ؟

— ان مواضع الحوافر منتظمة انتظاماً لا يدل على الهرب، بل على أن راكباً ما هراً كان فوق صهوة الجواد

— أين راؤول ؟ إنه لا يستيقظ مبكراً على الدوام فابتسم دارتانيان ابتسامة ذات مغزى ووضع سبابته على فيه ، ففهم آتوس المقصود ، وابتسم بحنان وقال :

— لا بد أنه ذهب إلى بلوا الاطمئنان على الصغيرة المسكينة لما أصاب قدمها أمس ، فهو مفتون بها

— بهذه الطفلة التي لا تمدو السابمة ؟

— ان الحب في هذه السن له شؤون غريبة . وأنا أحسبه اتجه ذلك الاتجاه لأنه لا يجد

ما يشغله . لهذا فكرت في ابعاده عن هنا ، فإ رأيك في ارساله إلى باريس ؟
— استحسن أن يلتحق بالجيش . أم لا يروقك أن يحيا الفتي حياة مغامراتنا الأولى ؟

ألا تشتاق إليها أنت ؟

— أهو عرض تعرضه أم مجرد كلام عابر ؟

— بل عرض صريح واضح

— ممن وضد من ؟ ألا فاعلم أنني لا أرى قضية تستحق أن يخدمها مثل اللهم إلا
قضية الملك . والملك بالذات ، لا الملكة أو مازاران تحت ستار الملك . فباسم أيهما تتكلم ؟
— ياله من رد مفعم . ولكن اعذرتني يا صديقي ، فظروني غير ظروفيك ، فأنت
مثلا ميسور العاش وكذلك بورتوس من كبار الأثرياء ، وأرايس أيضاً مطمئن إلى حياته ،
أما أنا فارتك ملازماً فقيراً . وقد جئتك أتمس النصيح لتحسين حالي ، ولا سيما أنني أرى
أنني لا أستطيع بدونكم شيئاً مذكوراً

— وهل وافقك بورتوس على الانضمام لك في طلب المجد ؟

— أجل . ونحن ذلك براءة البارونية

وفي هذه اللحظة دخل راؤول بادي الحزن ، فالطفلة لم تنم طول الليل من شدة الألم ،
والطبيب تساوره الشكوك والخاوف أن تظل الفتاة عرجاء طول حياتها . ويحز في نفس
راؤول أن ذلك كان بسببه

وبعد الافطار ورد خطابان قرأهما آتوس بعناية شديدة . وقد تبين دارتانيان في أحدهما
خط أرايس الراهب ، والآخر بخط امرأة . وفي هذه اللحظة دخل الخادم شارلو برسالة لدارتانيان
حملها رسول خاص ، وكانت دعوة من مازاران كي يعود فوراً إلى باريس . فقال :

— إني راحل يا صديقي ، فهل أنت مصمم ألا تأتي معي ؟

— إذا ذهبت إلى باريس فسيسرني أن أراك

ثم تعانق الصديقان ورحل دارتانيان وبلاشبه . وما أن غابا عن الأنظار حتى قال آتوس
لراؤول :

— استعد فنحن راحلان الليلة إلى باريس . فاذهب وودع لويز وأمهـا وعد قبل
الساعة السابعة

mersalli

فرار من السجن

وهذه هي الحوادث التي تسببت في استدعاء دارفانيان إلى باريس بصفة عاجلة . ففي ذات ليلة بينما كان مازاران على يادته في طريقه إلى جناح الملكة الحاس ، مر من أمام قاعات الحرس فسمع من داخلها كلاما بصوت مسروع فشى متللا كالذب دون أن يسمع لخطواته صوت وأخذ يقسم ، فاذا مناقشة حامية بين الجنود ، على الوجه التالي :

— ان العراف « كوزيل » قد تنبأ بهذا ، فمن المؤكد أنه سيحدث حتما ، فاني وان كنت لا أعرفه شخصياً ، إلا أنني سمعت أنه ليس منجها لحب ، وإنما هو ساحر عظيم أيضا

— حذار يا صديق أن تقول لأحد هذا الكلام فإك بهذا نضره ولا تنفعه
— لماذا ؟

— لأنه قد يقدم إلى المحاكمة بتهمة الحر . ثم هل تعتقد أن الحرب من القضاء والقدر ممكن ؟ إذا كان مكتوبا للدوق دي بوفور أن ينجو من الاعتقال فكل احتياطات الكردينال لن تجدى في منعه

فاقتض مازاران عندما سمع هذا ، فهو ابطال ، والصلبان شديدا الاعتقاد في التنجيم ، ففتح الباب ودخل القاعة وقال :

— ماذا كنتم تقولون أيها السادة ؟ هل الدوق دي بوفور هرب ؟

— كلا يا صاحب النياقة . بل كما تقول أنه لابد سيهرب

— ومن الذي تنبأ بهذا ؟

— منجم يدعى كوزيل أكد أنه . هما كانت الحراسة على الدوق دي بوفور شديدة فانه

سيستطيع الهرب قبل عيد العنصرة

فطأطأ مازاران رأسه وانصرف مهتما لأن ذلك العراف كان مشهوراً بالتنبؤات الصادقة ، فهو الذي تنبأ فيما مضى بأن الملكة ستنجب ولداً ذكراً ، وأن « كولينى » سيموت مقتولا بسيف الدوق دي جيز . وبدلاً من أن يتم طريقه إلى مجمع الملكة ، عاد إلى مكتبه وأمر باستدعاء رئيس القوة المكلفة بحراسة سجن فنسب حيث الدوق دي بوفور-

ومهمة حراسة الدوق هي المهمة التي كان مازاران قد عرضها على دي روشفور فرفضها
وفي الساعة السابعة صباحا كان رئيس الحرس « لاراميه » قد جاء ، فلما دخل عليه
قال له الكردينال :

— اندرى ياسيدي ماذا يقال هنا ؟

— كلا يا صاحب النيافة

— يقولون ان الدوق دي بوفور إذا لم يكن قد هرب فعلا فهو لابد سيهرب قبل

عيد المنصرة

فقهره الضابط ضاحكا لأنه ظنها نكتة من جانب الكردينال

— يظهر أن صاحب النيافة لا يعرف مدى الترتيبات والاحتياطات المتخذة في فنتين .

فالميطان يبلغ سمكها سبعة أقدام ، والنوافذ لها قضبان متعارضة ، كل قضيب منها في سمك
الذراع ، والدوق يحوط على الدوام بثمانية حراس ، أربعة منهم في حجرته لا يفارقونه
أبداً ، وأربعة آخرون في حجرة الانتظار الملحقة بها

— ولكنه يخرج من الحجرة ويلعب التنس

— يا صاحب النيافة ، هذه ألعاب مسموح بها للسجناء الأشراف . وعلى كل حال فني

الامكان إذا أردتم أن نحرمه منها

— ومع من يلعب ؟

— مع ضابط الحرس أو معي أنا ، أو مع غيره من السجناء

— وهل لا يقترب من الأسوار أثناء اللعب ؟

— ان نيافتكم لا تعرفون هذه الأسوار . فارتفاعها ستون قدما ، ولا أظن الدوق قد

ضاق بحياته إلى حد الفقر من هذا الارتفاع فتدق عنقه . يضاف إلى هذا أن حاكم السجن

هو السيد دي شافيني ، وهو ليس من المشهورين بصداقته للدوق بوفور

— هذا صحيح ، ولكن السيد دي شافيني يتغيب أحيانا

— إذا تغيب هو فلا بد أن أكون أنا موجودا

— وإذا حدث أن غيبتما معا ؟

— في هذه الحالة يحل محل شاب طموح إلى الترقى ، وأنا أضمن حسن حراسته .

ومنذ عين هذا الشاب - أي منذ ثلاثة أسابيع - ولا مأخذ لي عليه إلا أنه يتغالي في

التشديد على السجن

— وما اسم هذا الشاب ؟

— جريمو ...

— وماذا كانت صناعته قبل أن تستخدمه ؟

— كان يقيم في الريف ، ويظهر أنه ارتكب ما جعل إقامته هناك خطرة على حياته
فن مصاحبه أن يحتمى بخدمة الملك لينجو من العقاب

— ومن الذى أوصاك بهذا الرجل ؟

— وكيل دائرة الدوق دى جرامون

— فهو إذن أهل للثقة فى رأيك ؟

— كما ثقت فى شخصى تماماً يا صاحب النيافة

— اذن أكرمه وأجزل له العطاء كى يتفانى فى الخدمة والحراسة

وراح السكردينال يلقى عليه أسئلة كثيرة خاصة بأحوال السجن وعلم من جوابه أن
جريمو حارس لا نظير له ، حتى لقد تمنى أن يكون هناك عشرة من أمثاله ليكفوه مؤونة
جميع الأمراء المسجونين

ومع هذا رأى من الاحتياط أن يستدعى دارتانيان فوراً كى يضاعف به الحراسة على
الدوق . فهذا الدوق حفيد هنري الرابع ، وهو مثل جده بسالة واعتزازاً بنفسه وعناداً ،
ولكنه محدود الثقافة . وكانت له المسكينة الأولى فى البلاط فى عهد لويس الثالث عشر ،
حتى حل محله مازاران ، ومنذ هذه اللحظة بدأت عداوتهما الشديدة
فمن هو جريمو ؟

إنه خادم آتوس القديم ، أي صنو بازان وبلاشيه وموسكيتون . ولم يجد دارتانيان
له أثراً عند زيارته لآتوس ، فسأله عنه فقال إنه أقرضه لبعض جيرانه مؤقتاً
ونجده متخفياً فى زى حرس الملك ، سجاناً للدوق دى بوفور ، زعيم المعارضة ، والذى تأتمر
المعارضة لتحريره من سجنه المنيح

وقد تفحص جريمو شخصية السجن الفاسى على خير وجه ، فقد تقدم الى حاكم السجن
بوجه عابس ، تظلمه جبهته الضيقة ، ونظراته التى تنم على السخط ، وفه المطبق الذى لا يعرف
الكلام إلا فى الزر اليسير . فاذا ما حدثه الحاكم عشرين كلمة أجابه بكلمتين ، فاكتسب
لديه ثقة فى صلاحيته للعمل ، وكانت الوصية الأولى اليه ألا يدع السجن وحيداً بأى حال ،
وأن يترع من يده كل آلة حادة أو مدمية ، وأن يمنعه من التخاطب بالإشارة من خلال
النافذة مع أى إنسان خارج السجن ، وأن يحول دون اشتباكه فى الحديث أكثر مما يجب
مع حراسه

وبهذه التعليمات المشددة دخل جريمو على الدوق دى بوفور ، فاستعلاخ أن يكسب

فقوره وكراميته من أول لحظة ، وذلك بالطريقة الحسنة التemente التي أدى بها واجباته
وفي ذات مرة ، وقد خلت الحجرة إلا منهما ، طفح الكيل وثار تائرة الدوق ، فصاح
بجرىمو مخفقا :

— يا لك من عتل ! لأحطمن عظامك ، إذ يبدو أنه لا سبيل إلى الخلاص منك إلا أن
أخنقك بيدى ، وأنى فاعل ذلك من ساعتى هذه فخير البر عاجله !
وهجم على جرىمو وقد تشنجت أصابعه كى يخنقه . وكانت له أصابع كأنها كلابات من
حديد . فالدوق من أشهر أهل زمانه بالقوة البدنية ، فاذا بجرىمو يخرج من طيات ثيابه
رقعة ذات غلاف فاخر ويقدمها إلى الدوق دون أن ينبس ببنت شفة . فتراخت يدا الدوق ،
وتناول الرقعة وهو فى أشد حالات الدهشة ، وفضها وقرأها عدة مرات لأنه لم يكن
يصدق عينيه . وجاء فيها تركية لجرىمو ، وكيف أنه وصيف أحد رجال العصابة ، وأن
ساعة الخلاص قد دنت ، وكان التوقيع « مارى دى مون بازون »

فلما خفت دهشة الدوق وأدرك مغزى الرسالة ، مد يده إلى جرىمو فتناولها جرىمو وطبع
عليها قبلة احترام ، فوصيف آتوس كان قد تعلم على سيده آداب العلية . وسأله الدوق عما
ينبئ أن يفعل ، فقال :

— الساعة الآن الحادية عشرة قبل الظهر . فما على مولاي إلا أن يطلب فى الساعة
الثانية أن يلعب التنس مع قائد الحرس « لاراميه » (وهو نفسه الذى رأيناه فى الفصل
السابق بين يدى مازاران لتشديد الحراسة) ، ثم تقذف كرتين أو ثلاثة خارج الأسوار .
ثم يقترب مولاي من الأسوار ويصرخ فى رجل يعمل فى الخندق أن يقذفها إلى داخل
السجن ثانية . ولكنى أطلب من مولاي وعداً قطعاً قبل كل شئ
— وماذاك ؟

— أن يدعى مولاي حين نشرع فى الهرب أسبقه باستمرار وأمشى أمامه ، لأنه إذا
أمسك مولاي فأقصى ما يتعرض له أن يعاد إلى السجن ، أما إذا لحقوا بى أنا فهمى المشقة
ولامراء !

— هذا حق ، وأعدك بتنفيذ هذا الشرط وعد الشريفة الحرة
— وشرط آخر ، أن يستمر مولاي على إظهار الكراهية والبغض لى
وفى هذه اللحظة دق الباب ، فأخذى الدوق الرقعة فى جيبه وانطرح على الفراش ، وفتح
جرىمو الباب ، فاذا لاراميه عائداً من لدى الكردينال
وفى الساعة الثانية طلب الدوق أن يلعبه لاراميه التنس ، فاستهله لاراميه نصف

ساعة ، لأن بطنه تشكو الجوع ، فعرض عليه الدوق أن يستحضر له غذاء من طعامه الحساس ، فاعتذر قائلاً :

— إن أمام السجن صانع حلوى من أهالي باريس ، يقال إن الأطباء نصحوه به بجزو الريف ففتح محله هذا منذ أسبوع ، وقد رأيت في واجهة خانوته أشياء يامولاي يتعجب لها اللاعب ، وقد ناداني والتمس مني أن أجعله متعهد السجن ، وكى يبرهن لى على حسن صنغته ، أرانى فطيرة فاخرة وزجاجة نبيذ برغندى فاخر جعلها لى ، وقد وعدته أن أتناولها عنده بعد نصف ساعة ، فلا تحرمنى يامولاي من هذه الفرصة النادرة

□

وما انقضت نصف الساعة حتى عاد لاراميه وعلى وجهه آيات السعادة واضحة ، شأن من اكتظت بطنه بالطعام وانتشى بالشراب . وفي هذه الحالة بدأت لعبة التنس بينه وبين الدوق . فلم يكن أسهل على الدوق من تنفيذ تعليمات جريمو بالقاء الكرات فى الخندق ، الأمر الذى ابتهج له جريمو كثيراً لأن كل كرة تقع فى الخندق تسجل له كسباً مقداره خمسة عشر بنطاً . وظل الدوق يقذف بالكرات فى الخندق حتى قل عددها جداً وصارت استعادتها ضرورة حتمية لاستمرار اللعب ، وحينئذ توجه الدوق إلى الاستحكامات فوجد رجلاً يعمل فى قاع الخندق وعمقه ستون قدماً ، فصاح به أن اقذف لنا الكرات ، وقذف الرجل الكرات وراح يتلقفها الحراس ، ولكن واحدة منها وقعت عند قدمى الدوق فالتقطها ووضعها فى جيبيه وبعد أن انتهى اللعب أوى الدوق إلى غرفته وأعلن عن رغبته فى النوم ، وخام ملابسه ، ولكنه تمكن من إخفاء الكرة بين الوسائد ، وأخذ لاراميه الملابس بحجة تنظيفها من التراب ، والواقع أنه أراد أن يضمن عدم خروج الدوق من الغرفة وما أن أقلع عليه باب الغرفة حتى مزق بأسنانه الغلاف الخارجى للكرة ، فوجد بداخله الكلمات الآتية :

— إن أصدقاءك يامولاي ساهرون وقد اقتربت ساعة الخلاس فاطلب بعد غد أن يأتوك من محل الحلوى المقام أمام السجن بفطيرة فاخرة ، فليس صاحب هذا الخانوت إلا طاهيك القديم « نورامون » ولا تفتح الفطيرة إلا حين تكون وحيداً . وأنعمش أن ترضى عما ستجده بداخلها ، وأن ترضى عن الحساس لسوك السكرت دى روشفور وأحرق الدوق الرسالة ، وكاد يحرق الكرة أيضاً ، لولا أنه تذكر أنها قد تفيده فى إرسال الرد . ورأى لاراميه اللهب من زجاج الباب فتدح الباب ودخل ، فأقنعه الدوق أنه يشعر بالبرد ولذلك فكر فى إشعال المدفأة ، ثم أردف :

— وهذه وسيلة الدفء الوحيدة التى يستطيعها من لا يأكلون الفطائر الدسمة مع النبيذ البرغندى

— هذا أمر سهل يامولاي ، فقد وعدت الرجل أن أجعل نزلاء السجن الأشراف من زبائنه ، وهو قد أكرمني وسيكرمني لهذا الغرض ، فرأتك بالفطائر في أي وقت تشاء

— أليس بعد غد عيداً ؟

— بلى ! عيد العنصرة

— فهل لك إذن في إعطائي درساً خصوصياً بعد غد ؟

— في أي مادة يامولاي ؟

— في مادة الشراة !

— بكل سرور يامولاي

— وأحب أن يكون الدرس على انفراد حتى نأخذ راحتنا في الأكل أنا وأنت فتصرف الحراس ، وأترك لك حرية التصرف في الأنواع والكميات ، على أن تكون الفطيرة من بينها وفكر لاراميه قليلاً فلم يجد بأساً في الموضوع ، لأنه هو الذي سيشرف على إعداد الأصناف وسيضمن أن تكون خالية من أي مخدر ، ولكنه أخذاً بالأحوط اشترط أن يخدمهما على المائدة جريمو ، فقبل الدوق ولكن تصنع التبريم بهذا العمل الذي يقتل الشهية فقال لاراميه :

— سأوصيه أن يقف وراء مولاي حتى لا يرى خلقته

وما خرج لاراميه وخلي في الغرفة جريمو والدوق ، حتى أخرج جريمو قلماً وورقة وأمل على الدوق الخطاب التالي :

— كل شيء على مايرام أعد مساء . كونوا على استعداد في الساعة والنصف . أعدوا جوادين سريعين للركوب . سنهبط من النافذة الأولى في العنبر ثم أخذ جريمو الورقة وخطها حول كرة التنس وكلفه أن يقذفها في الخندق أثناء اللعب ، ثم أخبر الدوق أن الفطيرة سيكون حشوها خنجران وجبيل ذو عقد ، وكلمة تعذيب للسيد لاراميه



حوالي هذا الوقت الذي تقام فيه الاستعدادات هرب الدوق من السجن ، كان فارسان يتبعهما خادم يدخلان باريس من ناحية حي سان مارسل . وكان هذان الفارسان هما آتوس (الكونت دي لافير) والفيكونت دي براجيايون (راؤول) . وكانت تبدو على آتوس أمارات الطمانينة . فلما وصل الفارسان الى فندق الثعالب الأخضر أودعا جواديهما الاسطبل بعد أن أشرفا على أكلهما وراحتهما ، ثم طابا بعد ذلك حجرين لاقامتهما ، وحينئذ قال آتوس لراؤول :

— اعتن بزينتك لأننى سأقدمك الى بعض الناس بعد نصف ساعة

وفعلا توجه آتوس وراؤول الى قصر الدوقة دى شيفريز سائلة أمراء « لوين » ،
فقدم آتوس راؤول إليها ، وطلب وساطتها لالحاقه بالجيش فوعدت الدوقة بالتوسط لدى
الأمير مارسياك والدوقة لتجفيل لتوصية قائد الجيش العام الأمير كونديه به خيراً

وفى مساء توجه آتوس وراؤول الى الأب « سكارون » الذى يمنعه المرض من مفادرة
كرسيه المتحرك ، فوجدوا عنده خلاصة أهل الفكر والأدب ، ونائب المطران « جوندى »
وأراميس أيضاً والدوقة دى شيفريز ، التى أعطت راؤول خطابى التوصية الى الأمير كونديه
وفى ركن من الصالون اختلى آتوس بأراميس ونائب المطران جوندى واستغرقا فى
مناقشة حامية ولكن بصوت خافت . وبعد قليل من الليل استأذن آتوس فى الانصراف ،
وقال لراؤول :

— نم هذه الليلة ما استطعت فهى آخر ليالىك فى الحياة لُدنية ، فانك راحل منذ غد
الى ميدان القتال لتتخبط فى جيش الأمير كونديه

وما انبثق النهار حتى كان آتوس قد استيقظ وارتندى ملابسه وقد بدت على بحياه أمارات
الأرق ، فإنه لم يقمض له جفن تلك الليلة ، اقلقه بسبب رحيل راؤول . وشرع بعد لهمةدات
السفر ، فلما فرغ منها وقد ارتفعت الشمس فى كبد السماء ، فتح باب حجرتة فوجده غارقا
فى النوم ، فانحنى فوقه وقبل جبهته ، فاستيقظ الفتى وأظهر الحُجل لتأخره فى النوم ، وما
هى إلا عشر دقائق حتى كان قد ارتدى ملابسه ، وأراد أن بعد حقائبه فأدهشه أن يجدها
قد أعدت ، فتناول إفتظاره بسرعة ، وركب مع خادمه الخاص أوايفان ، وركب معهما
السكوت ليودعهما جرمأ من الطريق

وسار الرجل والغلام صامتين ، وراؤول يحس باقتراب ساعة الوداع ويشفق منها الى
أن وسلا الى باب المدينة لتسمى باب سان دينيس ، وكان يحرسه جنديان ، فقال أحدهما
بصوت مرتفع :

— يبدو أن هذا شاب آخر فى طريقه الالتحاق بالجيش

فقال له آتوس فى دهشة :

— ومن أدراك ؟

-- شكاه العام . وسنه ، فهذا ثانى شاب يمر اليوم من هنا لهذا الغرض

— أحقاً ؟

— أجل ، وقد مر الشاب الأول فى موكب وزينة تنبىء عن حسب حسيب
فصاح راؤول مبتهجاً :

— مرحى مرحى ! سيكون هذا الشاب خير رفيق لى فى الطريق ، ولكنه وأسفاه
من يجعلنى أنسى الرفيق الذى فارقته
فقال له آتوس :
— لا أعتقد أنك ستدرکه ياراؤول ، فستنتظر هنا قليلا لأننى أريد أن أتحدث إليك

بعض الوقت
وراح الاثنان يسيران ببطء مخترقين الحارات الضيقة المكتظة بالناس لمناسبة قرب عيد
العنصرة ، الى أن وصلا الى كنيسة كبيرة تتلى فيها الصلاة ، فقال آتوس حيثئذ :
— انترجل هنا ولترك الخيل بين يدي أوليفان
وتناول آتوس سيفاً ودخل مع راؤول الكنيسة ، فركم أمام الهيكل ، ثم تقدم منه
آتوس وقال له :

— هنا هو سيفك أيها الشاب ، وقد كان هذا السيف لأبى ، وكان أبى شريفاً شهماً
كريمياً . ثم حملته أنا . فإذا كانت يدك لاتزال غضة لدنة لا تقوى على حمله حق حمله ، فان
أمامك فسحة من الوقت تتعلم فيها متى ينبغي أن تجرده فلا ترده الى قرابه حتى تقوم له بحقه ،
وما حقه إلا أن تنصر به حقاً ، وتمحق به باطلا ، وتنتصر به لضعيف ، وتقهز به طاغياً
جباراً

— أعذك ياسيدى أن أكون عند هذا الشرط
ثم جرد السيف من غمده وقبل صفحته فى احترام عميق ، فأنهضه آتوس وعاقبه وقباه .
وكان هذا وداعهما



كان لاراميه سجانا بالسليقة ، أميناً فى أداء عمله ، ولم تكن فيه إلا بقطة ضعف
واحدة ، وتلك هى شراسته وحبه المفرط لأطياب الطعام والشراب . فما أن فتح له الدوق
كيسه وخوله حرية التصرف فى إعداد طعام العيد حتى راح يتفنن ، وطلب إلى صانع الحلوى
أن يعد فطيرة ضخمة ، وقال له إنها للدوق دى بوفور كى يجود فى صنعها ولايهمهم بالتكاليف
فقير غريب إذن أن نجد لاراميه منذ صباح العيد الباك منهمكاً فى تفاصيل السأدية ، وأن
ينتظر الساعة السادسة باللهفة والقلق اللذين ينتظرهما بهما الدوق نفسه . ولما زار عند
الظهر صانع الحلوى أراه فطيرة كالبرج تجرى الريق فى فم لاراميه ودخل على الدوق وهو
يفرك راحته

وتصادف لحسن الحظ أن كان الحاكم قد تغيب نى يوم العيد اعتماداً على مهمة لاراميه .
وقضى الدوق الصباح فى لعب التنس مع لاراميه . وحرص جريمو على الجلوس فوق السور

زيادة في الحراسة ، وجعل رجله لى خارج السجن ، فكان ذلك علامة على أن هذا هو
الموضع الذى سيربط فيه سلم الجبال . ولما بدأت الميسارة بانتصار الدوق ، أظهر الدوق
سروره بأن نفع كل حارس جنهين على سبيل العيضية كى يشربوا نخب صحته . ثم انصرف
لاراميه بعد ذلك إلى الاشراف على المعدات النهائية للعشاء المنتظر

وأخيراً حانت الساعة السادسة ، فاذا كل شىء حاضر جاهز ، وان كان العشاء لن
يبدأ قبل الساعة . وكانت الفطيرة الهائلة الشهية موضوعة على الخوان ، ومن حولها ألوان
الطعام . وقد بدأ على الجميع التلهف والمجلة : الحراس كى يشربوا ، وراميه كى يأكل ،
ودى بوفور كى يهرب . أما جريمو فكان الشخص الوحيد الذى لم يظهر على وجهه شىء
فكأنه تمثال من الصخر ، حتى لقد كان الدوق يختلط عليه الأمر أحياناً وهو ينظر اليه
فيشك في حقيقة اللحظة ويعتقد أن الأمر ربما كان حلماً

وصرف لاراميه الحراس كى يشربوا نخب صحة الأمير ، فلما انصرفوا أغلق الباب ووضع
المفاتيح في جيبه ، وأشار إلى المائدة كى يقول :
— تحت أمر مولاي

ونظر الأمير إلى جريمو ، ونظر جريمو إلى الزولة ، وكانت تدل على أن الساعة لم تجاوز
السادسة إلا بخمس عشرة دقيقة على الأكثر ، وكان الموعد ، أو ساعة الصفر بالتعبير
المسكرى هى الساعة تماماً ، فلا بد إذن من الانتظار ثلاثة أرباع الساعة فتعامل الأمير بتصميم
ربع ساعة أخرى بأنه يقرأ فصلاً مما يجب أن يتمه أولاً . فراح لاراميه يتشغل بفتح
زجاجات البيذ وتشم الفطيرة ، تحاملاً منه على تصبير مصافير بطنه الضاوية . فلما صارت
الساعة السادسة والستف قام الدوق وجلس إلى المائدة مشيراً إلى لاراميه أن يجلس أمامه ،
فلم يضيع لاراميه وقتاً في المبادرة إلى إجابة دعوة الأمير ، فابنسم الأمير وقال :

— بحق الشيطان بالاراميه ، لو قال لى قائل إن فى فرنسا كلها من هو أسعد منك فى
هذه اللحظة لما صدقت

— أرجو من الله أن يديم على هذه السعادة بدوام صحة الأمير

— يالها من أمنية طيبة أيها الرجل . أهذا جزائى منك ؟

— وماذا يريد مولاي من الحرية ؟ انك لو خرجت من هنا ، من هذا المعتقل الهين

اللين ، فستقع فى بحر السياسة ، وتختصم مع أصحاب النفوذ فى البلاط فى الوقت الحاضر ،

وتدخل الباستيل الفظيح ، ونار سجننا أهون ألف مرة من جنة الباستيل

— صدقت ...

وراح الدوق يدير المناقشة على هذا النحو وهو يرقب عقارب الزولة ، حرصاً منه على

الموعد ، ثم قال أخيراً :

— أنت ترى إذن يا صديقي لاراميه أنه من نكران الجليل أن أفكر أحياناً في الهرب؟
ولكني أصرحك أن هذه الفكرة تراودني بين الفينة والفينة . وفي ذهني أربعون وسيلة
للفرار من هذا السجن

فراح لاراميه يصب لنفسه كأساً من النبيذ ثم رفعه في مواجهة الشمس وراح يحدق فيه
مستمعاً بأحدى عينيه كما يحدق الواله في محبوبته الحسناء ، وهو يقول في لهجة من يفهم
الدعابة ويقدرها :

— هلا حدثتني يا مولاي بوسيلة من هذه الوسائل الأربعين ؟

ورمى الدوق المزولة فوجدتها تشير إلى السابعة إلا عشر دقائق . وفي هذه اللحظة حمل
جرعمو الفطيرة فوضعها أمام الأمير ، فتناول الأمير سكيناً — وسلاحها من الفضة الخالصة
كتمليات السجن حتى لا توضع بين يديه أسلحة حديدية قد تفيد في الهرب — وهم أن يرفع
الغطاء ، ولكن لاراميه خشي ألا تجدى تلك السكين في قطع الفطيرة فتفسدها ، فقدم
إلى الدوق سكينه الفولاذية ، فقال له الدوق وهو يتناولها :

— شكراً يا لاراميه

— ولكنك لم تحدثني يا مولاي عن الوسيلة ؟

— أتريد تلك التي أعتبرها من بين الأربعين وسيلة أو لاها بالاعتبار ؟

— ماباً ...

فأخذ الأمير يحفر الفطيرة بيده وباليد الأخرى يرسم دائرة فيها بالسكين وهو يقول :

— قبل كل شيء يلزم أن يكون سجاني شاباً شهيداً مثل السيد الهمام لاراميه

— جميل ! لديك يا مولاي هذا السجنان . وبعد ؟

— وبعد ذلك أغبط نفسي عليه !

فأخني لاراميه رأسه تحية وشكراً ، واستطرد الأمير :

— ثم أعمل على أن يزكي بعض أصدقائي مساعداً له مخلصاً يساعدنني على إعداد العدة
للهرب

— خيال بديع

— أليس كذلك ؟ ويحسب أن يكون ذلك المساعد وصيفاً سابقاً لنبيلاً من أعداء

مازاران الخنزير الايطالي

— من فضلك يا مولاي دع الكلام في السياسة

— فنتي حصلت على ذلك الشخص أمكنني أن أتصل بأصدقائي عن طريقه في الخارج ،
وأيضاً عن طريق كرات التنس ! فأنتي مثلاً بالكرات إلى الحدق ، ويكون بعض أعوانني
كامناً فيه فيرسل إلى الرسائل في كرات التنس

— يا لها من فكرة ! لقد نهيتنى يامولاي وسأخذ حذرى من هذه الناحية
— ليس هذا فى ذاته شيئاً ، بل يجب أيضاً أن أبعث فى بعض كرات التنس برسائل
كى يكون أصدقتانى فى ساعة معينة كامنين ومعهم الخيل فى الجهة الأخرى من الخندق
— ولكن ينزمك يامولاي جناحان للطيران من فوق السور إلى أسفل الخندق ، فالمسافة
ستون قدماً بالتمام والكمال

— لدى وسيلة أخرى لا تقل عن الأجنبية

— وما هى ؟

— لدى سلم من الجبال

— هاها هاى ! ولكن سلم الجبال ، ولا تنس يامولاي ، لا يمكن إرساله مثل الخطاب

حول كرة التنس

— ولكن يمكن إرساله فى شيء آخر

— شيء آخر . هاها . شيء آخر مثل ماذا ؟

— فى فطيرة مثلاً ، فلنفرض أن رئيس طهاتى نوارمون افتتح محلاً للعلوى أمام السجن ،
واستطاع الاستحواذ على لب لاراميه الجشع الشره بفضل مهارته الفائقة فى صنع الفطائر ،
والبقية أنت تعرفها ياسيد لاراميه ، والآن مثلاً الساعة السابعة إلا بضع دقائق ، وهى ساعة
الصفير ابدء عملية الهرب ، أرفع غطاء الفطيرة فأجد خنجرين . صه لا تتحرك وإلا غرست
الخنجر فى كرشك البديع التكوين

وقرن الدوق القول بالعمل فوضع سلم الخنجر أمام بطنه وسلم الخنجر الآخر إلى جريمو ،
الذى أخرج من الفطيرة سلم الجبال دون أن ينس بينت شفة أو تتحرك فى وجهه عضلة
واحدة . وصرخ لاراميه وهو يكاد يبكي قائلاً :

— ارحمنى يامولاي ! أيهون عليك أن تقتلنى ؟

— كلا . ما لم تعترض هربى

— وإذا تركتك تهرب خربوا بيتى

— سأدفع اليك مرتب وظيفتك طول حياتك

— أنت مصمم نهائياً يامولاي ؟ اذن تفضل بتقييد يدي ورجلي من خلاف وتكلم فى

جيداً حتى لا أتهم بالتواطؤ معك

وكان له ما أراد ، ثم أخذ الدوق المفاتيح وتقدمه جريمو كما وعده إلى ملعب التنس حيث
ربط سلم الجبال ، وهبط عليه جريمو كشرطه أولاً ، حتى إذا بلغ ثلاثة أرباع المسافة
سقط فى الخندق ، فندت عن الدوق صرخة خوفاً عليه ، أما جريمو فلم ينس ، وأخرجه

من الخندق الرجال المنتظرون بالحيل ، ثم أشاروا إلى الدوق كي يهبط ، فهبط ووجد أن
الجبل ينتهي على ارتفاع خمسة عشر قدماً من قاع الخندق ، بيد أنهم طمأنوه إلى أن قاع
الخندق منطى بالحشائش الطرية . واستطاع الدوق أن يهبط سالماً بفضل مهارته وقوته
البدنية ، وقفز للمسافة الباقية قفزة موفقة فلم يصب بسوء ، ثم تساق جدار الخندق ، حيث
وجد في انتظاره الكونت دي روشفور ومعه سيدان لا يعرفهما

وكان جريمو قد أغمى عليه فربطوه فوق جواد ، وقال الدوق :
— أريد أن أشكر كما أيها السادة ، ولكن ليس هذا وقته ، أما الآن فلا ينبغي أن نضيع
لحظة واحدة

وامتطى صهوة جواد ولكز بطنه بمهمازيه ، وصاح بأعلى صوته :
— من أحبني فليتبعني!

وانطلقت الجياد تسابق الريح ، والدوق يعلأ صدره من الهواء الطلق ، هواء الحرية
التي كاد يقنط منها بعد سجن طال خمس سنوات





جاء في ميعاده

وصل دارتانيان وتابعه بلانشيه إلى باريس ، واتجها إلى فندق العزة الصغيرة حيث كان دارتانيان يتوقع أن يجد بورتوس في انتظاره . وقد وجده هناك بالفعل ، فقابله بورتوس بالشكوى من سوء المقام في هذا الفندق المتواضع ، ومن وخامة الجو في ذلك الحى ، أما موسكيتن تابع بورتوس فكان شديد التذمر من سوء الطهو وقلة كمية الطعام ، فطيب دارتانيان خاطرهما وطلب إلى بورتوس أن يركب معه لمقابلة الكردينال مازاران ، وركب دارتانيان جواداً من جيساد بورتوس الأصيلة فوصلا إلى الباليه رويال في الساعة السابعة والرابع وكانت الشوارع غاصة بالناس لأن اليوم كان عيد العنصرة . فراحت الجماهير تتطلع إلى الفارسين باستغراب ، لأن أحدهما كان فاخر الثياب (وذلك هو بورتوس) والآخر كانت عليه كمية هائلة من غبار السفر الطويل

فلما وصلا إلى ذاعة الانتظار قابله زملاؤه ضباط حرس الفرسان الذين كانوا ينولون الحراسة في هذه الساعة بكل ترحاب . وكلف دارتانيان الحاجب بإبلاغ نياقة الكردينال مازاران نبأ وصوله ، والتفت إلى صاحبه بورتوس الوجه الضخم فوجده يمانى اضطراباً ظاهراً لهيبته النظرية من الحكام وتهيبه لقاءهم مع ما بلغه من ثراء ومكانة ، فابتسم دارتانيان واقترب من أذن صاحبه وقال له هامساً :

— تشجع يا صديق العزيز ، ولا تدع للحياء عليك سبيلا ، فليس الكردينال الذى ستقابله هو كردينال الزمان الخالى ريشيليو ذا النظرة الناقبة وعيني الصقر . فليس هذا الذى يشغل مكانه الآن إلا غراب لا تهرب له نظرة ولا يخاف له مخلب . وأنى أحذرك أيها الصديق من الوقوف زنهارة أو الإفراط فى الانحناء عند النجبة ، والا استغف هذا الايطالى اللئيم بك ولم يحسن معاملتك

وظهر الحاجب فى هذه اللحظة يدعوا ما دخول ، فوجدا مازاران جالسا إلى مكتبه منهما فى شطب أكبر عدد ممكن من الأسماء من قائمة المعاشات والهبات الخيرية . وقد لمح دخول دارتانيان وبورتوس بطرف عينه بيد أنه تصنع عدم الاهتمام ، برغم غلبة السرور عليه وقال : — أهذا أنت يا حضرة الملازم ؟ لقد أسرعت بالعودة ، وخيراً صنعت ، فرحباً بك

— شكراً يا صاحب النيافة وها أنذا رهن اشارتك ، وكذلك السيد دى فالون ، من
أصدقائي القدماء ، وكان متنكراً فيما مضى تحت اسم بورتوس صيانة لاسم العائلة
— أراه فارساً رائعاً

— انه أحسن ضارب بالسيف في المملكة يا صاحب النيافة
فراج بورتوس ينحني للكردينال تارة ولدارتانيان تارة أخرى شكراً على هذا الثناء ،
واستطرد ما زاران يقول :

— وأين صديقك الآخران ؟

— لقد عوقبها عائق ، وسينضممان إلينا فيما بعد

— وهل سمحت ظروف السيد بقبول العمل معنا فوراً ؟

— أجل يا صاحب النيافة ، وتطوعاً منه بدون مقابل ، لأن السيد دى براسيه

دى فالون دى بيرفون واسع الثراء

— أترى هو حقاً ؟

فقال بورتوس بصوته العميق المريض :

— خمسون ألف جنيه سنوياً !

فكانت هذه أول كلمة قالها في المقابلة ، واستطرد ما زاران يقول :

— وانت يا سيد دارتانيان ، ألا نخدمنا تطوعاً أيضاً ؟

— انى رجل مخلص ، ولسكنى أفضل أن تكون للاخلاس نتيجة ما

— وصاحبك ماذا يفضل أن تكون نتيجة اخلاصه ؟

— ان ضياعه الثلاث من أوسع ما يمكن ، وأى واحدة فيها جديرة بأن ترقى إلى

رتبة البارونية

— أهذا كل ما هناك ؟ هذا أمر يسير . وأنت ماذا تريد ؟

— لقد مضت عشرون سنة منذ عيني الكردينال الراحل ملازماً ..!

— والكردينال الخالي سيرتيك يوزباشياً . هذا أيضاً ممكن . والآن أريد أن أملكك

في سبب استدعائي اياك على عجل ، فاني في الواقع أحتاج إليك بسرعة في أمر صار يقلقني

كثيراً ...

وسمعت في هذه اللحظة ضجة عالية ، وفتح باب المكتب ودخل منه رجل مغطى

بالتراب وهو يصيح :

— أين الكردينال ؟

— ماذا جرى يا سيدي حتى تدخل هنا كأنك في السوق ؟

— رويدك يا صاحب النيافة .. أريد مخاطبتك في خلوة ، فأنا ضابط الحرس في ليمان

فنين

فتنحى بورتوس ودارتانيان ، وهمس الضابط للآزاران بالخبر :

— لقد هرب الدوق دى بوفور من قلعة فننين !

فصرخ مآزاران واصفر وجهه وتهاوى على المقعد متخاذلاً ، وقال :

— وأين كان المحافظ ؟ وأين كان لاراميه ؟

— كان المحافظ مسافراً ، أما لاراميه فقد وجدناه في غرفة الدوق مقيداً مكتم الفم ،

والى جواره خنجر

— والشاب مساعد لاراميه ؟

— إنه أس البلاء ، فقد كان من أعوان الدوق

وصرخ مآزاران صرخة أخرى دخل على أثرها دارتانيان وبورتوس ، فلما عرفا المسألة

قال للسكردينال :

— أراك تضيع وقتاً ثميناً ، والأولى أن تأمر بمطاردة الهارب ، فأقرب خط حدود

يبعد ستين فرسخاً ، واللاحاق به ممكن

— ومن الذى يطارده ويلحق به ؟

— أنا طبعاً

— وتمتد أنك تستطيع القبض عليه ؟

— ولم لا ؟

— لأنه مسلح وحوله عصابة من أعوانه

— لو أمرتموني بيافتكم بالقبض على الشيطان نفسه لقبضت عليه من قرنيه وجيشكم

وقال بورتوس بحماس :

— وأنا كذلك !

— هذا عظيم ، ولكن الدوق لن يستسلم إلا بعد معركة حامية

— وليس أحب إلينا من المعارك الحامية فقد اشتقنا إليها منذ زمان طويل !

— خذا إذن معكما من تشاءان من رجال الحرس وأسرعاً فى أعقابيه وفق كما الله

— أهذا أمر صريح يا صاحب النيافة ؟

— أجل . وهذا هو توقيعى

وتناول ورقة خط عليها سطرأ ومهره بامضائه ، وأعطاه لدارتانيان ولم ينس أن يقول لبورتوس :

— تذكر يا سيد دى فالون أنك ستنال براءة البارونية بمجرد قبضك على الدوق

دى بوفور

ونظر الى دارتانيان وقال له :

— أما أنت فلا أحد لك مكافأة معينة يا سيد دارتانيان ، ولكن إذا عدت بالدوق

ان حياً أو ميتاً صار من حقلك أن تطلب منى ما تشاء بغير تحديد

نجذب دارتانيان يد صاحبه بورتوس الذى كان مشغولاً بالانحناء وقال له :

— إلى جوادك يا بورتوس !

وأسرعا يهبطان السلام ، ومعهما كل من وجدوما في غرفة الانتظار من رجال حرس

الفرسان ، والكل يصيحون :

— الى الجياد . السباق السباق ، العناق العناق !



أهلب الفرسان جيادهم مجتازين الغابة بعد السهل ، ودارتانيان وآتوس في المقدمة ،
لقوة جواديهما ، أما بقية فرسان الحرس فتبعوهم متناثرين على حسب قوة ركائبهم

ومن فوق ربوة في الطريق أبصر دارتانيان جماعة من الأشخاص في الجهة الأخرى من
الخدق الذى يحيط بقلعة فنسين ، فأحرك أن السجين هرب من هذه الناحية ، وأنه لا بد
واجد أخباراً تفيدته هناك ، فأسرع مع بورتوس الى تلك البقعة ، فاذا الناس متجمعين حول
الجل للدى من السور ، وسأل دارتانيان جاويشاً من جنود السجن عن الهاربين ، فعلم
أنهم أربعة أسماء معهم خامس مريض (جريمو) ، ففرح دارتانيان وبورتوس عندما علما
قلة عددهم . وفرحا أيضاً حين علما أن الهاربين لم يسبقوهما إلا بساعتين وربع . ثم سأل
الجاويش عن اتجاه الهاربين ، فاذا بهذا الغي يرعمه سراً حرياً ولا يبوح به إلا بأمر من
عافظ السجن اللغيب في هذا الوقت بضيعة في الأقاليم !

وهنا لم يطق دارتانيان صبراً وهم أن يبطش بالجاويش ، لولا أن بورتوس كان أسرع
منه اليه فلوى عنقه ، في حين وضع دارتانيان الورقة التى كتبها مازاران أمام عينيه اللتين
جفظتا من الرعب ، فدلها على الاتجاه الذى سلكه الهاربون ، فأسرعوا وراءهم ، بيد أن
الجميع تخلفوا عن متابعة دارتانيان وبورتوس بنفس السرعة . ولكن هذين لم يتوقفا
لانتظار الباقيين اعتماداً على أن الهاربين أربعة فقط ، وهكذا قطع الفارسان اثني عشر فرسخاً
في ساعتين بغير توقف ، حتى بدأ الجوادان يرتعدان وينضحان عرقاً وزبداً ، فاقترح
بورتوس أن يتمهلاً قليلاً لراحة الجوادين ، ولكن دارتانيان أبى ، فامضى إلا ساعة أخرى
حتى سقط الجوادان إعياء . وتملكتهما الخبرة ، وإذا بهما يسمعان صهيل حصان يأتي من

أمامهما ، وأخذتا يتسلمان ، وإذا بموسكين تابع بورتوس يقبل عليهما راجلا بعد أن نفق
جواده ، وفي هذه اللحظة سمع الصهيل مرة أخرى . وقدر دارتانيان المسافة بمخمصة
خطوة لا أكثر ، فعلق موسكين على ذلك بقوله :

— تماما . فعلى هذه المسافة توجد محلة صيد

فصاح دارتانيان :

— احمل غدارتيك يا موسكين ، وأنت أيضا يا بورتوس ، وأنا أيضا ، ولنسرع

حتى نصل الى محلة الصيد فنقتصب باسم الملك ثلاثة جياذ

واتبعوا القول بالفعل . فوصلوا دون أن يسمع لهم صوت الى مكان يلوح منه الضوء

بين الأشجار العالية ، فرأوا سائسا ومعه أربعة جياذ رائمة ، فاقترب منه دارتانيان بخفة

بعد أن أشار الى صاحبه أن ينتظراه ، وقال للسائس :

— سأشتري هذه الجياذ !

فالتفت اليه السائس مستغربا ولم يجب ، فانهره دارتانيان ، فقال السائس :

— إن هذه الجياذ ليست للبيع

— سأخذها إذن بدون بيع !

ثم وضع يده على أقرب جواد اليه . وكأنما كانت هذه إشارة لرفيقه فهجما واستوليا

على جواذين آخرين ، والسائس يستعطف ثم اعترف أخيراً بقوله :

— الرحمة أيها السادة ، فقد قطعت هذه الجياذ ستة فراسخ ولم تسترح إلا منذ نصف

ساعة على الأكثر

— لا بأس . فنصف الساعة مدة كافية للراحة

فلم يجد السائس بداً من الاستفانة ، فأسرع لنجدته ناظر الزراعة وأراد أن يرفع صوته

بالاحتجاج والتهويل فقال دارتانيان :

— اسكت وإلا ألهبت رأسك بالرصاص

— ولكن هذه جياذ الدوقة دي مونبازون

— عال ! فهذا ضمان لجودة الخيل . واعلم أنني من ضباط حرس الملك ، ولعلك تسمع

الآن سنابك خيل رفقاء العشرة

ولم يكن هناك صوت ، ولكن الرعب صور للرجل المسكين أنه يسمع صوتا ، فأسلم

أمره لله وسكت

وركض ثلاثهم ساعة أخرى حتى كادت الجياذ الجديدة تهلك ، وفي هذه اللحظة عثروا

على جثة حصان في الطريق ، فعرفوا أن الهارين يعانون نفس المأزق . ثم عثروا بجواد

آخر مسرج يعاني سكرات الموت ، فأدركوا أن الهارين سموا وقع حوافر خيولهم
فذكروا الحبل المجهدة وتفرقوا لا يذنب بالفرار فلنا منهم أنهم كثرة ، فحفر ذلك أصحابنا الى
الاسراع كي يلحقوا بهم بعد دقائق معدودة



استمرت المطاردة بعد ذلك عشر دقائق ، ارتسمت بعدها في الأفق تقطبان سوداوان
انفصلنا عن المجموع ، ثم تمثلنا في صورة فارسين فقال دارتانيان :

— آه ! لانهم يقبلون نحونا

فأجابه بورتوس :

— سحقاً لمن يأتي !

وصاح صوت أجش :

— من هناك ؟

فلم يجب الفرسان الثلاثة (دارتانيان وبورتوس وموسكيتن) واستمروا في ركضهم
صامتين ، اللهم إلا من صوت السيوف نسل من أنعمادها ، ومله الغدارات بالبارود
والرصاس . ثم صاح دارتانيان :

— اللجم بين الأستنان !

فهم بورتوس ما يعنيه ، وأمسك بيسراه مسدسه ، كما أمسك سيفه يمينه ، ثم ارتفع
الصوت الأجش مرة ثانية :

— من هناك ؟ لا تتقدموا خطوة واحدة أو تموتوا !

ثم سد الفارسان المجهولان الطريق وظهرت في أيديهم الغدارات ، فصاح دارتانيان
فيهما :

— الى الوراء أو تموتوا !

فانطلقت رصاصتان جواباً على هذا التهديد ، ولكن سرعة الهجوم الحاطفة جعلت
الهاجين تجاه أعدائهم نصا ، ثم أطلق دارتانيان غدارته عن كسب فسقط عدوه ، أما
بورتوس فخرج خصمه جرحاً شديداً بسيفه وألقاه عن جواده بتدحرج على بعد عشر
خطوات ، فصاح بخادمه :

— أجهز عليه يا موسكيتن أجهز !

واستمر دارتانيان وبورتوس في طريقهما بمسد ذلك ، فطرق سمعهما طلق نارى من
بندقية ، نفذ به موسكيتن أمر سيده . فلم يلبث أن تبدي لها فارسان آخران ، فلم ينتظر
دارتانيان كلامهما بل بدأ هو الكلام ، صائحا بصوته الهائل المزلزل :

— أفسحوا الطريق ! الطريق :

— ماذا تريد ؟

— الدوق !

بجاءهما الجواب في صورة قهقهة عالية انتهت بأنين مرتفع ، لأن دارتانيان اخترق جسده هذا الضاحك الباكي بسيفه ، وفي الوقت نفسه انطلقت رصاصتان في آن واحد ، من بورتوس وخصمه فالتفت دارتانيان فوجد بورتوس لايزال قائماً الى جواره ، فصاح مبتهجاً :

— مرحى مرحى يا بورتوس . أراك قتلته ؟

— بل أحسبني فقط جرحته ، ربه ماذا دهى جوادى أنا ؟

— دهاه يا عزيزي انه يسقط اعياء

فقال موسكيتين :

— أيريد سيدى جواداً آخر ؟ هاهو

— يا للشيطان . كيف حصلت على هذين الجوادين ؟

— انهما جوادا القتيلين اللذين تركناهما وراءنا ، أحضرتهما معى

وفي هذه اللحظة كان بورتوس قد أعاد حشو غدارته ، وصاح دارتانيان :

— انتباه ! هاهما اثنان آخران

— لن ننتهى إذن حتى الصباح من القتال

وفي هذه اللحظة نهض الشخص الجريح وأطلق رصاصة على موسكيتين فارتد عليه بورتوس كالأسد الغاضب وهشم جمجمته بمقبض سيفه ، وحشا دارتانيان غدارته واستعد للقاء الخصمين الجديدين ثم أمر بالهجوم صائحاً في الأعداء وقد ألهب وصديقه جواديهما بالهوامز :

— باسم الملك أفسحوا الطريق !

فأجابهما صوت مهيب رنان :

— لاشأن للملك هنا

وانطلقت رصاصتان في آن واحد ، احدهما من دارتانيان والأخرى من خصم بورتوس فأطاحت رصاصة دارتانيان بقبة خصمه ، أما رصاصة خصم بورتوس فأصابت عنق جواده فسقط على الأرض بين . ورأى دارتانيان فوهة مسدس خصمه تتجه نحوه ، ومسدسه هو فارغاً فنظر جواده ، أى جملة يشب على قائميه الخلفيين فاستقرت الرصاصة في بطن الجواد وقفز دارتانيان من فوقه بخفة عظيمة ، وصاح الحصم :

— هذه مجزرة خيل وليست معركة رجال ! إلى سيفك ياسيدى :

ثم قفز إلى الأرض ليتساوى مع خصمه . وفي هذه اللحظة كان بورتوس قابلاً خلف

جواده المحترق وفي كلتا يديه غدارة . واستمر القتال بين دارتانيان وخصمه بغير نتيجة حتى
تطاير الشرر من السيفين فالتجأ دارتانيان إلى ضربته المهدودة ، وأحكمها كل الأحكام كي
يطيح سيف خصمه من يده ، بيد أن الضربة خابت على خلاف المهود ، فاغتناظ وصاح
بلهجنه الفسقرنية :

— يا للأبالسة !

فتراجع خصمه وراح يحاول رؤية وجهه في الظلام . وفي هذه اللحظة صاح بورتوس
بالخصم الآخر :

— معي غدارتان فاحذر

— سبب كاف كي تطلق أنت أولاً

وانطلقت رصاصات بورتوس الأولى ، فأثارت كالبرق الخاطف ، وإذا أربع صيحات
تدوى في سكون الليل :

— دارتانيان ! أراميس ! بورتوس ! آتوس !

وإذا سيوف ترد إلى انغمادها ، وغدارات توضع في جيوبها ، وعناق وقبلات بين جثتي
الجوادين ، ثم قال دارتانيان في حسرة :

— أنت الذي تحميه يا آتوس ؟ وبلى أنا النفس الذي أقسم أن يعود به حياً أو ميتاً !

— هالك صدرى أ كشفه لك فاقطنى يا دارتانيان إذا كان هذا ينقذ شرفك أيها العزيز

— ليس في الدنيا إلا مخلوق واحد يستطيع الحيلولة بيني وبين ما اعترمت ، وشاء القدر

أن يضع هذا المخلوق في طريقى ! ماذا أقول للسكردينال ياربنى ؟

فأجابه من جوف الظلام صوت مهيب قوى :

— قل له ياسيدي إنه أرسل في أثرى الرجلين الوحيديين في العالم اللذين يستطيعان

جندلة أربعة فرسان شجمان ، ثم يلتحمان بعد ذلك التعمام الند لاند بغير تفصير مع الكونت

دى لافير (آتوس) والشيفالييه ديربلاى (أراميس) ولم يستسلمات إلا أمام مقاومة خمسين

رجلاً مسلحاً

فصاح آتوس وأراميس في صوت واحد :

— الأمير !

وتراجع دارتانيان وبورتوس خطوة أمام الدوق دى بوفور وصاحا :

— خمسين رجلاً ؟ خمسين فارساً ؟

— انظرا حولكما إذا كنتما في شك من قوى

فنظرا حولهما فإذا حصار من عدد كبير من الفرسان ، واستطرد الأمير باسم :

— لقد ظننت من ضجة معركتكم أنكما عشرون رجلاً ، فانتظيت مع جميع من معي
متبرماً بالفرار المستمر ، ورغبة مني في تحريك سيني فوجدت للأسف أنني أمام رجلين اثنين ،
ولكنهما يعدلان عشرين ، والآن سيفاً كما أيها السيدين
— سيفانا؟! مستحيل!

وتحرك بضعة رجال من جنود الأمير ، بيد أن آتوس أوقف الحركة بإشارة من يده
وانتهى بالدوق جانباً وهمس في أذنه بضع كلمات ، فلم يلبث الدوق أن قال :
— لك هذا يا كونت ، فلا أستطيع أن أرد لك أول طلب تطلبه مني وأنت ذو الفضل
والمنة ، تفهقروا أيها السادة وافسحوا الطريق للسيدين دي فالون ودارتانيان ، فهما حران
مليقان

وهكذا ترك الأصدقاء الأربعة وخدمهم ، فراحوا يتأسفون على هذه الحصومة ، وراح
كل من الفريقين يحاول كسب الآخر لصفه ، وأخيراً اتفقوا على موعد للقاء في باريس في
مساء اليوم التالي ، في الساعة العاشرة في الميدان الملكي ، للتفاوض في هذا الأمر ، ثم
افترقوا ليذهب كل منهم في طريقه ، على أن يذهب بورتوس ودارتانيان لابلاغ خيبتهم
إلى مازاران ، وإذا بدارتانيان وبورتوس وقد تركا وحيدين يريان رجلاً يمك في يده عناني
جوادين ، غصباه موسكيتين ، فاقتربا منه ، وإذا بهما يتبينان أنه جريمو ، وأن الجوادين
هدية من سيده آتوس ، ثم تركهما جريمو ولكن في طريق آخر ، لكي ينفق براؤول
— كما قال لهما — المسافر إلى ميدان القتال . بيد أنه لم يلبث أن عدل عن ذلك الطريق كي
يعني أثناء السفر بجرح موسكيتين الذي أصيب به في عجزته الضخمة فأصبح لا يستطيع الركوب
فلما وصلوا إلى باريس بعد ثلاث ساعات ، كان قد سبقهم إليها ساعي بريد غاص يحمل
رسالة من الدوق إلى مازاران يشهد فيها ببسالة بورتوس ودارتانيان ، ابراء لدميهما
وطبيعي أن الكردينال كان قد قضى آياته ساعراً قلقاً مهووماً ، لينتلقى عند انبلاج
الصبح رسالة من عدوه اللدود يبلغه فيها بنفسه أنه جرميوس ، وأنه سيناصبه العساء
حتى الموت

يتأهبون للقاء

جلس بورتوس ودارتانيان في فناء فندق العترة الصغيرة ، وكان دارتانيان مقطب الوجه عبوساً وقد رجع لنوه من الباليه رويال فابتدرة بورتوس :

— أراه قد أساء استقبالك يا صاحبي

— اي والله ! ذاته وريني لهيم أعجم ، وقد رويت له ما حدث بالصدق فلما عرف أن ثلاثة من خيولك قتلت سألتني عن ثمنها ، فقلت ألف ريال ، فدفعها تحويلا على بنك ليون ، ولم يزد على ذلك درهماً واحداً نظير ما تجشمناه من الأهوال . مع أنني أهيت له خدمة كبرى ، ولو دون أن أدري

— أي خدمة ؟

— ألا تذكر أننا حين خروجنا للمباردة من باب سان جان ، دهمت بجوادي في الفقرة القريبة من هناك رجلاً ضئيلاً ؟ هذا الرجل هو المستشار بروسيل من أعضاء البرلمان وألد أعداء مازاران

وفي هذه اللحظة دنت ساعة الكنيسة القريبة التاسعة ، فانتفض دارتانيان . لأن ووعدهما مع الصديقين الآخرين في العاشرة ، وأبدى دارتانيان تخوفه من أن يكون هناك كمين منصوب وراء ذلك اللقاء . ولم يكن ذلك التخوف حقيقياً بل مجرد تعمل لعدم الذهاب ، بيد أن بورتوس الطيب القلب رأى في ذلك التخوف دافعاً أشد على الذهاب . حتى لا يتهما بالجن ، ورأى وجوب الاحتياط والتسلح ، وأن يصحبهما بلانشيه ببندقيته . ولكن دارتانيان ذكره بأن بلانشيه من أنصار المعارضة ، فهو الذي أطلق سراح الكونت دي روشفور . وانتهى بهما الأمر إلى إقناع بلانشيه بأنه ذاهب معهما لحراستهما لا لخدمة مآرب مازاران

وفي هذا الوقت عينه كان آتوس وأراميس يدخلان باريس يتبعهما بازان . أما جرينو فنحن نعلم أنه بقي مع موسكيتين للعناية به على أن يتوجه مباشرة للحاق براؤول في الميدان . وقال آتوس لصاحبه :

— يحسن أن ندخل خاناً لتبديل ثيابنا لكي نترك فيه سيوفنا وغداراتنا وبندقية خادمنا

قبل أن نذهب الى الوعد

فقال الراهب أراميس :

— أرى بالعكس أنه يجب أن نذهب مسلحين ، فن يدريك أن الكردينال لا يتهمز
هذه الفرصة ويقبض علينا بكين منصوب ؟

— ولكن كيف نذهب مسلحين وسيأتيان هما أعزّين ؟

— اطمن يا صديقي فأنا أضمن لك أنهما سيأتيان مسلحين ، ثم لدينا عذرتنا في أننا

تادمون من سفر

فأقره آتوس على رأيه ، واستأنفا سيرهما ، إلى أن بلغا أسوار الميدان الخالي فلما عند
أول شارع القديسة كاترين ثلاثة فرسان هم دارتانيان وبورتوس ملتفين في معصقيهما
ليخفيا السيوف ، ومن خلفهما بلائشييه وعلى نخذه البنائقة ، فترجل الفرسان الأربعة
الأصدقاء وتبادلوا تحية ودية مهذبة ، ثم قال آتوس :

— أين تحبون أن نتحدث أيها السادة ؟

فأقترح أراميس أن يدخلوا الحديقة المحيطة بقصر روهان ويتحدثوا في ظلال الأشجار
بنجوة من الأشماع ، فوافق الجميع على هذا الرأي



دخل أربعتهم وكل من الفريقين يتوجس من الآخر ، فلما جلسوا على مقاعد الحديقة
الحالية الساكنة المعتمة ، بدأ آتوس الحديث بكلمة مجاملة :

— أيها السادة ، إن هذا الاجتماع دليل جديد على قوة صداقتنا العريقة

فقاطعه دارتانيان قائلاً :

— اسمع ياسيدي الكونت ! أفضل لو تركت جانباً هذه المجاملات التي قد لانستحقها
نحن ولا أتم ! ونحسن صنماً لو تكلمنا بدلا من ذلك كلاماً صريحاً تتكاشف به القلوب في
وضوح وإخلاص

— ليس أحب إلي من هذا ، فأنا رجل صريح أحب الصراحة . فتكلم أنت وقل لنا
هل لديك ما تأخذه على أو على الأب أراميس ؟

— أجل ، فقد كان لي شرف التحدث اليك في قصر براجيلون . وقد حملت اليك
عرضاً مميماً فهمته كل الفهم ، فبدلاً من أن تجيبني إجابة صريحة كما يجمل بالأصدقاء ،
حاورتني وداورتني كأنني طفل . فإذا كانت صداقتنا قد تعرضت للقطيعة ، فما كان ذلك
بالتقاء سيفينا ليلة أمس ، بل في ضيافتك في قصرك
فصاح آتوس في عتاب رقيق :

— دارتانيان !

— لقد طلبت منى أن أكون صريحاً ، وهاك هو القول الصريح . لقد سألتنى رأيتى ، وهذا هو رأيتى . وأما عن أخى أراميس ، أو سيادة الأب در بلاى ، فانه قد فعل معى مثلما فعلت ، فنافقتنى ولم يصدقنى كما صدقته فصاح أراميس فى وقار واستنكار :

— إن أمرك لغريب يا سيدي ! لقد أتيت حقاً لزيارتى ولتعرض على عرضا معيناً ، ولكن هل صارحتنى بهذا العرض ؟ إنك لم تصارحنى ، ومع هذا فقد تركتك تدرك بالتدريج أننى من أنصار المعارضة . ثم ماذا يفضيك - ولك رأيتك ومصرك - أن يكون لنا رأيتنا ومصكرنا أيضاً ؟

— أنا لا ألومك يا سيدي ، ولكن كلام الكونت عن الصداقة هو الذى جرنى الى فحص صلتى بك وسلوكك معى — فاذا وجدت ؟

— وجدته سلوكاً جديراً بتلاميذ ليسوعيين !

ونهب دارتانيان ، فنهض بورتوس ، فنهض الآخران ، وبدا الموقف ينذر بالشر ، وتحركت يد أراميس نحو سيفه ، بيد أن أتوس استوقفه ثم بدأ يعالج الموقف باللباقة مع الاباء ، إلى أن استطاع إقناع دارتانيان وأراميس أن يكسر كل منهما سيفه ، ثم رفع أتوس يده اليمنى الى السماء وقال :

— أقسم بالله العظيم الذى يرانا ويسمنا فى هذه الليلة الخالكة الظلام ، أن سيفى لن يمس سيوفكم ، وأن عينى لن تفيض عنها نظرة غضب ، وأن قلبى لن يضمر الحقد عليكم ، فقد عشنا معاً ، وأحببنا معاً ، وحاربنا معاً . فاذا يمكن أن يكون مازاران بالقياس الى ريشيلبو الذى أرغمنا أنفه ؟ وماذا يستطيع لنا هذا الأمير أو ذاك ، ونحن الذين نبتنا التاج على رأس ملكة ؟ اكرهونى إن استطعتم أما أنا فأسأجكم وأقدركم ما حبيت وساد الصمت بعد ذلك لحظة ، حتى قطع أراميس قائلاً :

— وأنا أقسم أننى لم أعد أضمر الكراهية لأحدكم ، وأعلن ندى على اشتباكى فى معركة الأمس ، وأتهمد ألا أحاربكم أو أحارب أحداً منكم فى المستقبل . والآن هيا بنا يا أتوس نتصرف

فصاح دارتانيان :

— كلا كلا لا تذهبا ، فعندى أنا أيضاً قسم أريد أن أوديه . فأقسم أن أضحي الى آخر قطرة من دى فى سبيل الاحتفاظ بتقديركما ومحبتكما

ثم ارتقى بين ذراعى آتوس الذى احتضنه وهو يقول :

— ولدى .. ولدى ..

أما بورتوس فلم يعطه الله نعمة البلاغة وإن أجزل له نعمة البدانة ، فاكتفى بأن

يقول :

— أما أنا فإذا كتب على أن أحاربكما ، فأحسبني سأترك سيفكما يخنق صدري

ويخرج من ظهري بلامقاومة ، لأننى لم أحبب فى الدنيا سواكما

وارتقى بورتوس الهائل وهو يبكى بدعوى غزيرة بين ذراعى أراميس ، وهكذا افترق

الأصدقاء الأربعة مختلفين فى الرأى واكن متفقين فى المحبة متعاهدين على عدم الاشتباك معا

فى قتال من أجل السياسة



راؤول و «دى جيش»

تركنا راؤول وخادمه أوليفان في طريقهما الى ميدان القتال في الفلاندر ، وقد نزلا في بعض الطريق بخان للراحة بقرية فريرى . وكلف راؤول خادمه أن يسأل عن الشاب الذى قال حارس بوابة سان دينيس في باريس انه سبقه بساعات ليتحق بالجيش ، فقد كان راؤول متعظشاً الى رفيق من سنه ، فعلم أنه لايزال يسبقه ، فأسرع في السفر على أمل الإحاق به ، الى أن بلغ نهراً يعترض الطريق عن بعد ورأى على شاطئه مجموعة صغيرة تستعد لعبوره في قارب معد لهذا الغرض .. وحاول راؤول إدراك هذه الجماعة ، لأنه توقع ان ضالته فيهم . ولكنهم كانوا أسبق منه الى ركوب القارب ، الذى أفلح بهم فعلاً ... ثم حجبتهم عنه أثناء ركضه بجواده ربوة توسطت بين بعض الطريق وشاطئ النهر ، ولما تجاوزها رأى منظراً عجباً : رأى القارب وقد انقلب وسقط من فيه في النهر ، وأنصرف واحد منهم على الفرق . فلسكز راؤول جواده وأسرع الى النهر ، ثم قذف نفسه فيه بجواده ، حتى أدرك الفريق وأخرجه الى شاطئ النجاة .. وساعده على ذلك طبعاً انه تربى على شواطئ نهر الوار العريض وكثيراً ما عبره سابحاً تارة ، وفوق جواده تارة أخرى ، فهو وجواده بحسنان السباحة والعبور من شاطئ الى شاطئ .

ولم يكن إنقاذ الفريق من الأمور الهينة مع هذا كله ، لأن التيار كان شديداً والنهر كان في موسم فيضانه ، فلم يستطع إخراج الشاب من الماء إلا بعد أن أغشى عليه لكثرة ما بذل من المجهود . أما الآخرون فكانوا قد تعلقوا بقصبة القارب فوصلوا الى البر سالمين وبعد عمالية الافائة فتح الشاب عينيه وأخذ يشكر راؤول على نجده التى أقدت عمره ، ثم قس عليه كيف انقطع حبل القارب الذى يربط بين الضميتين وكيف صاح بعض الركاب فزعا فنجل جواده وقفز به الى الماء وانقلب القارب

ثم تعارف الشبان ، فاتفح أن الشاب الذى كان مشرفاً على العرف لولا أن أعذته راؤول هو الكونت دى جيش نجل المارشال دى جرامون . وهكذا ارتبط هذان الشبان برباط الوفاء ، كما ربطتهما غاية واحدة وهى الانضمام الى الجيش المحارب في الجبهة تحت امره الأمير كونديه

وأقام الشابان برهة وجيزة في قرية نويون ، استمتعا فيها بالطعام والنوم ، وقد أمل راؤول أن يصل في هذه الفترة جريمو ، بيد أن أملة خاب ، واضطر الى الرحيل مع الكونت دى جيش في الساعة السادسة صباحاً بعد افطار عاجل . واستمر السير الى الساعة الرابعة بعد الظهر حيث نزلت المجموعة مدينة أراس ، وهي أول عتبة من أعتاب ميدان القتال ، وقرر الشابان قضاء الليلة فيها ، لأن السير فيما وراءها غير مأمون العاقبة ليلاً ، لانتشار الكتابب الاسبانية المعادية التي تقتنص المحارين الفرنسيين

وسمعا في تلك الليلة أن معركة على وشك النشوب ، وانه من المنتظر أن تكون هذه المعركة حاسمة . فالأمير كونديه لم يماطل في الاشتباك اشتبا كما حاسما مع العدو طول هذه المدة عن طريق المناورات ، إلا انتظاراً لوصول المدد . وقد وصل المدد أخيراً

وكان لهذا النبأ وقع سار جداً على الشابين ، لتشوقهما الى الاشتراك في أقرب وقت في موقعة حامية حقيقية . وتناولوا عشاءهما معاً ثم ناما في الغرفة نفسها ، وقد خيل اليهما أنهما متعارفان منذ ولادتهما ولم يفترقا قط . أما السهرة فقد انقضت في الكلام عن الحرب في حين كان الخدم ينظفون الأسلحة ويحشون البنادق والعدارات

وفي الصباح التالي استأنف الشابان سيرهما في الساعة السابعة بعد تناول طعام الافطار مباشرة . ووصل ركبهما الى ابلان بدون حادث ، وهناك علما أن الأمير كونديه قد غادر مركز قيادته في « بيتين » وانتقل الى موقع متوسط بين « كيران » و « فينتي » ، فقررا سلوك طريق فرعى مختصر يوصل الى هذا الموضع ، وسرعان ما بدت أمام ناظريهما غابة كثيفة ، فلما صار الركب على بعد مائة خطوة من هذه الغابة قام مربى الكونت الذي يصحبه في هذه الرحلة بإرسال خادمين لاكتشاف الطريق ، وسرعان ما اختفى الخادمان بين الأشجار الملتفة ، وأوغل وراءهما الشابان ، ومن ورائهما الخادم أوليفان على بعد مائة خطوة للحراسة وحماية المؤخرة

وعلى حين فجأة سمع طلق نارى يتردد في أنحاء الغابة ، فصاح المربي :
— قف !

وصدع الشابان بالأمر فأوقفا جواديهما ، وفي هذه اللحظة أبصر الخادمان راجعين نحوهما بأقصى سرعة ، فأسرع الشابان نحو الخادمان لسؤالهما عن حقيقة الأمر
— هل منعكما أحد من المرور ؟

— كلا ، بل الأرجح أنهم لم يرونا ، فقد أطلقت النيران على بعد مائة خطوة منا ، ومن أشد بقاع الغابة ازدحاماً بالأشجار ، ولكننا رأينا أن نعود لتلقى التعليمات . فماذا تأمرون ؟

فقال المرابي في حزم :
 — ان رأيي ، بل إرادتي وأمرى ، أن نرجع ، فربما كانت هذه الغابة مكننا للاعداء
 فلا يجب أن تقع فيه
 فسأل الكونت خادميه :
 — فأتما إذن لم تريا شيئاً ؟
 — خيل الينا أننا رأينا فرسانا وعليهم أردية صفراء
 وعندئذ صاح المرابي متحمساً :
 — ألم أقل لكم إنه كمين من الاسبانين ؟ هيا نرجع
 فتشاور الشابان بالنظرات ، وفي هذه اللحظة سمعت طلقة غدارة تلتها صرخات ثاقبة في
 طلب النجدة ، فتبادل الشابان نظرة صاح بعدها راؤول :
 — إلى يا أوليفان . تعال ورائي
 كما صاح الكونت دى جيش :
 — الى يا أوربان !
 وقبل أن يتبين المرابي الحقيقة ، كان الأربعة قد اختفوا في بطن الغابة بأقصى سرعة
 تستطيعها جيادهم - وبعد خمس دقائق وصلوا إلى المكان الذي كان المفروض أن صوت
 اطلاق النار صدر منه وهناك راوحوا يتقدمون ببطء ثم بدأ الهمس :
 — صه . أرى فرسانا
 — أجل . ثلاثة على الخيل وثلاثة راجلين
 — ماذا يصنعون ؟ أتراهم ؟
 — أجل . يبدو لي أنهم يفتشون رجلاً جريحاً أو ميتاً
 — هو إذن اغتيال دنيء
 — فلنهمج !
 — لنهمج
 وأخس بهم الاسبان ، فأسرع الفرسان الثلاثة بجيادهم للفاة الشابين ، في حين انصرف
 الثلاثة الراجلون إلى ساب الراجلين اللذين صرعوهما . فلما صارت المسافة بين الفريقين عشر
 خطوات أطلق دى جيش النار فلم تصب خصمه ، وأطلق اسباني غدارته فأصابت ذراع
 راؤول الأيسر ، بيد أن راؤول احتفظ برباطة جأشه وأطلق النار على خصمه من مسافة
 أربع خطوات فأصابه في صدره نحر صريعاً على سهوة جواده فانطلق به الجواد لايلوي
 على شيء

وفي هذه اللحظة رأى راؤول من خلال الدخان فوهة غدارة تتجه إليه ، فقام بالحركة التي تعلمها من آتوس ، إذ شب بجواده على قائمته الخلفيتين فأصابت الرصاصة بطن الحصان وسقط على الأرض ، قبل أن تسنح الفرصة لراؤول بتخليص قدمه من الركاب فهجم خصمه عليه محاولاً تحطيم جمجمته بمقبض الغدارة ، وفي أسرع من لمح البصر كان دى جيش قد وضع غدارته على عنق الاسباني ودعاه للتسليم ، فسقطت الغدارة من يد الاسباني ورفع يديه إلى أعلى مستسهماً ، فقام أحد الخدم بحراسته والبندقية في يده ، وهو على آم استعداد لاطلاق النار على رأسه إذا حاول الهرب

وترجل دى جيش عن جواده واقترب من راؤول ليطمئن عليه ، فقال له راؤول ما زما :

- ما هذا ياسيدي ؟ هل أنت حريص على الوفاء بديونك بهذه السرعة ؟ لقد أنقذتني كما أنقذتك ، ودقة بدقة
- الواقع أن خصمي ركن إلى الفرار فترك لي الفرصة كي أساعدك على خصميك ، والآن هيا بنا لنستأنف طريقنا
- أجل ، ولكن يجب أولاً أن نفحص حالة المسكينين اللذين صرعهما هؤلاء الاسبان غيلة وغدراً . فربما كانا جريحين فقط فينتسني لنا انقاذهما
- هذا هو الرأي الصواب ، فها بنا ننظر في أمرها



انحنى الشابان ودى جيش فوق الجريحين فإذا أحدهما ميئوس منه ، وهو قسيس قرية «بيتين» ، وكان مهاجراً منها بأدوات الهيكل عقب صدور أمر الأمير كونديه بتفادرة القرية على حسب خطته الموضوعية ، أما الآخر فكان رجلاً مديناً اعترف لها بأنه خبير بالجرافات ، وهو لهذا موقن من خطورة حالته ، ورجاهما أن ينقلاه إلى مكان أمين ثم يحضران له كاهناً ليتلقى اعترافه ، فوعدها بذلك وعد الشرف ، ثم نقلاه إلى أقرب خان على بعد فرسخ ، وخرج الشابان يبحثان عن قسيس . فما أن سارا عشر دقائق حتى أبصرا راهباً شاباً عابس الوجه محاولاً الكلام معه ، ولكنه نفر منهما بخشونة ، فاضطر السكوت دى جيش أن يفاظ له ، حتى اضطره إلى التوجه معه إلى حيث يرقد الجريح المحتضر في حجرة الختان ، وهما يعجبان لاشتر والحمد المرسمان على وجه هذا الراهب الذي لا يجاوز العشرين للإبسنوات قلائل

واستأذنا من الجريح لبعثتهما وتركاه مع الراهب في الخلوة ، وترك راؤول لصاحب الخان مبلغاً طيباً لتكاليف الجريح ، وكلفه حين حضور جريمو أن يدلّه على اتجاهه

ويحسن هنا أن نذكر أن زوجة صاحب الحان عندما وقع بصرها على الجريح ارتعدت فرائضها ، فلما سألتها زوجها عن السبب قالت إن هذا الرجل هو جلاب قرية « بيتين » السابق ، وسمع الراهب هذا الكلام ، فلمعت عيناه ، ودخل على هذه الحال لتلقى اعتراف المحتضر ، بينما وقف بالباب مربى الكونت دي جيش وخادمه وخادم راؤول أوليفان حتى أغلق الباب فركبا ولحقا بسيديهما ، وما هي إلا لحظة حتى وقف بباب الحان فارس مقطب الجبين نزر الكلام هو جريمو ، فنزل ليسترخ ويأكل ويتسقط أخبر سيدة . وما أن جلس إلى المائدة وهم أن يتناول كأسه الاول ، حتى خرجت من غرفة المحتضر صرخة ثاقبة ، فسأل جريمو رب الحان عن سببها فقال :

— هذا جلاب بيتين السابق جريحاً يدلى باعترافه الأخير لأحد الرهبان ، ويبدو أنه يتألم من جروحه

— أقول جلاب بيتين السابق ؟ أهو رجل يتراوح عمره بين خمس وخمسين وستين سنة ، طويل القامة قوي البنية ذو لحية سوداء ؟
— هو كذلك ، ولكن لحيته وخطها الشيب ، فهل تعرفه ؟
— رأيته ذات مرة

وحيثما انطلقت صرخة أشد كثيراً من الصرخة الأولى ، سرعان ما انتهت بأعين. فهجم جريمو على الباب وحاول فتحه بالقوة فوجده مغلقاً بانزلاج من الداخل ، فجعل رب الحان يندق الباب بقبضته ويصيح :

— افتح يا سيدي الراهب . افتح في الحال
فلما لم يحظ بجواب تناول جريمو فأساً وحطم الباب ، فلم يجدا للراهب أثراً ، ووجد الجريح غارقاً في بركة من الدماء ، فصاح جريمو في صاحب الحان :
— اذهب واستنجد كي يقبض الناس على الراهب الذي فر من النافذة ، فهذا خنجره مدفوناً إلى مقبضه في صدر الرجل



وهذا هو ما حدث في الغرفة :

بدأ الراهب بسؤال الجريح هل هو حقيقة جلاب بيتين السابق ، فأكد له الرجل أنه ترك الالهة منذ خمس عشرة سنة ، وأنه لم يقتل أحداً إلا بأمر الشرع والقانون . ثم شرده بصره قليلاً لكن يتذكر شيئاً بعيد العهد ، وقال :

— ولا يتقل على ضميري إلا حادث واحد كانت ضميته امرأة شابة ، ولا زالت حتى اليوم وقد انقضى على ذلك عشرون سنة ، أتمثل صورة هذه المرأة فانتفض ندماً

— اذكر قصتها بالتفصيل كي أستطيع منحك الغفران

— كان ذلك ذات مساء منذ عشرين سنة ، حين أتاني رجل وأطلعني على أمر كتابي فتبعته ، حيث وجدت أربعة من الاشراف اقتادوني وعلى وجهي قناع كي لا أرى الطريق ، فسرنا نحو ست فراسخ صامتين ، ثم دلوني من خلال نافذة في كوخ على امرأة شابة وقالوا لي : هذه فريستك

— وهل أطعت ؟

— لقد كانت هذه المرأة ياسيدي الأب وحشاً خرافياً ، فقد قتلت بالسم — كما قيل لي — زوجها الثاني ، ثم حاولت قتل شقيق زوجها الذي كان بين هؤلاء السادة ، ثم سممت أخيراً امرأة شابة كانت تنافسها في الحب ، ثم تسببت بالتحريض في اغتيال الدوق باكنجهام قبل مغادرتها إنجلترا

— لقد كانت هذه السيدة انجليزية إذن ؟

— كلا يا أبي ، بل فرنسية تزوجت انجليزيا

فاكفهر وجه الراهب وأقبل الباب بالزلاج ، ثم عاد اليه يسأله :

— ومن كان هؤلاء السادة ؟

— كان أحدهم انجليزيا ، والأربعة الآخرون من ضباط فرسان الحرس

— وما اسم هذه المرأة

— لا أدري ، وان كنت أعلم أنها تزوجت مرتين ، المرة الأولى في فرنسا ، والمرة الأخرى في إنجلترا ، وهي شابة في الخامسة والعشرين شقراء بارعة الجمال ، في عينيها بريق عجيب

— وكان صوتها ناعماً عذبا كأنغام الموسيقى !

— أجل يا أبي ، ولكن كيف عرفت ؟

قال الراهب الشاب فوق وجه المحتضر وهدق فيه تحديقا وحشيا وقال :

— وقد قتلها أنت ؟ ولم ترحم شبابها وجلالها وضعفها ؟

— ولكنها يا أبي كانت تخفي تحت هذا الستار نقساً خبيثاً . لقد كانت داعرة ، أغوت

شقيقي الراهب وهربت به من الدير حتى إذا شبعت من أحضانه بعد ليالٍ لفظته لفظ النواة

— إذن أنت تعرف اسمها المذرى قبل أن تزوج ؟ ماهو ؟

فراح المحتضر يتلوى في أنفاسه الأخيرة ويصرخ طالباً كلمة الغفران

— اسمها أولا غفران

— آن دي بي !

فصرخ الراهب صرخة عجبية ثم قال :
— أنا أمنحك الففران ؟ وكيف أمنحك إياه وأنا لست كاهناً ؟
— ما أنت إذن ؟

— سأقول لك من أنا : انا جون فرانسيس دى ونتر !
— لا أعرفك

— تمهل تمهل ! فستعرفنى جيداً . فهذه المرآة هى أى
فأطلق الجلاد صرخته الأولى وجعل يصيح :

— اغفر لى ، اغفر لى ، ان لم يكن باسم الله ، فباسمك ، وان لم يكن غفران أب مقدس :
فغفران ابن ناقم

فصاح الراهب المزيف :

— اغفر لك انت ؟ قد يغفر الله لك ، أما أنا فلا !

ثم أخرج من بين طيات ثوبه خنجراً مسنوناً ذا حدين ففرسه فى صدر الرجل المحتضر
حتى غاص إلى المقبض وهو يقول :
— هذا هو غفرانى !

وعندئذ سمع من بالخارج الصرخة الثانية التى أعقبها الأنين ، وحاول الجلاد النهوض من
فراشه فسقط على الأرض . أما الراهب المزيف فانه ترك الخنجر فى صدر ضحيته وأسرع إلى
النافذة فقفز منها ، واجتاز الحديقة الخلفية إلى الاسطبل ، فركب بقلته وخرج من باب خلفى
إلى أقرب غابة ، وهناك خلع ثوب الرهينة ، وأخرج من الخرج ثوباً مدنياً كاملاً ، ثم مشى
على قدميه إلى أقرب محطة يريد فاشترى جواداً وامتنطاه ، ثم أطلق له العنان فى طريق باريس

□

ظل جريعو إلى جانب الجلاد ، وركمت زوجة صاحب الخان تصلى ، أما صاحب الخان
ففرج يستغيث ، ثم فتح الجلاد عينيه ، فخدق فى جريمعو ثم تذكره ، وعرف فيه أحد الخدام
الأربعة الذين كانوا يرافقون الفرسان الأربعة وأخبره بحقيقة الراهب المزيف ، فسأل جريمعو
متلهفا :

— لقد اعترفت له إذن بخدوعا بزيبه ؟ هو إذن يعرف الآن الأسماء ؟

— لم أبع بأى اسم ، ولسكنه عرف أن عمه كان بين القضاة ، فأسرع على كل حال

لتنبر سيدك كى يحتاط لنفسه

ثم لفظ الرجل نفسه الأخير ، فأسرع جريعو بامتطاء جواده وهو مقسم الفكر بين
الحق براؤول فى جبهة القتال ، وبين الذهاب إلى باريس ليخبر سيده ويحذره ، وأخيراً

استقر رأيه على التوجه أولاً إلى راؤول لأنه لا يسبقه إلا بساعة زمن ، وسيكون في استطاعته أن يطمئنه ويطمئن عليه ثم يتجه إلى باريس فوراً
وكان راؤول جالساً مع الكونت دي جيش ومرييه في حانة القرية حين فتح الباب ودخل جريمو مكفهر الوجه مغطى بالتراب ملوثاً بدم القتل ، فنهض راؤول وأسرع نحوه مزججاً وسأله :

— كيف تركت سيدي الكونت ؟ لماذا أنت شاحب الوجه ؟ ما هذا الدم ؟

— هذا دم الرجل المسكين الذي تركته في خان القرية يدلي باعترافه الأخير للراهب .

وقد مات المسكين بين ذراعي

— بين ذراعيك ؟ أنت تعرفه إذن ؟ من هو ؟

— انه جلاد بيتين السابق

— وهل كنت تعرفه ؟

— أجل

وبدا على وجه جريمو من الاضطراب ما أقلق راؤول والكونت دي جيش فعزماعليه أن يجلس ليستريح ويتناول شيئاً ، وبعد ذلك يستأنف الحديث ولكن جريمو رفض الانتظار وأعلن عزمه على الركوب إلى باريس في هذه اللحظة ، الأمر الذي عجب له الشابان كثيراً ، وسأله راؤول عن سر العجلة :

— لا أستطيع أن أقول لك هذا السر !

— ما هذا ؟ أتمزح يا جريمو ؟

— سيدي الفيكونت يعلم أنني لا أعرف المزاح مطلقاً

— وأعرف أيضاً أن سيدي الكونت قرر أن تلاميضي أنت وأن يعود أوليفان إلى

باريس . وأنا مصر على تنفيذ تعليمات الكونت

— ليس في هذا الظرف

ثم ركب جواده ولكزه فراح يسابق به الريح ، وترك راؤول واقفاً والشرر يتطاير من عينيه لشدة غضبه ، فأسرع راؤول يجري وراءه ويناديه فأجابه :

— أتريد أن أبقى هنا ويقتل سيدي الكونت ؟

— ولكن قل لي بربك ما المسألة ، فان القلق يكاد يقتلني

— لا أستطيع أن أبوح لك بالسر ، لأن هذا السر لا يخصني . هل لاحظت ملامح

وجه الراهب ؟

— أجل أذكرها جيداً

— احرس إذن إذا التقيت به في أي مكان على أن تقتله وتسحق رأسه بغير رحمة ،
كأنه افعون سام ، لحياة خمسة من خيار الرجال في خطر محقق دائم مادام هذا الرجل على
قيد الحياة

ولم يزد على ذلك حرفاً ، بل انتهز فرصة دهشة راؤول وانطلق كالسهم ، حتى إذا وصل
إلى أول محطة بريد باع الحصان وركب بتمنه عربة البريد إلى باريس



وقطعت على راؤول دهشته صيحات صاحب الخان :

— الاسبان الاسبان !

واتضح ان الاسبان يزحفون فعلاً من جهتين إلى القرية ، فقرر الجماعة الرحيل
عنها ، وصحبوا معهم أسيرهم الاسباني مقيداً فوق الحصان ، واتجهوا إلى حيث كانوا يعلمون
أن الأمير كوندبه يقيم في الوقت الحاضر مع المارشال دي جراون والد الكونت دي جيش
وكان القائدان جالسين إلى المائدة يتداولان في الحطاط ، وبقية دوى صوت مدفع وفتح
الباب ليدخل منه راؤول ودي جيش نجل المارشال ، وكان القائدان في حيرة منذ يومين
لا يبدان مواقع الجيش الاسباني بالضبط ، فحمل الشابان اليهما آخر الأنباء ، ثم قدما أسيرهما
الاسباني كي يتم استجوابه عن حركات الجيش وعدده وأهدافه

وكان سرور المارشال عظيماً جداً بطبيعة الحال ان يبدأ ابنه الحديث السن حياته العسكرية
بأسر رجل من جيش العدو ، وقبل أن ينضم إلى الجيش فعلاً ، ونال راؤول مكانة ممتازة
لا بسبب التوصيات التي يحملها من الدوقة دي لانجيل والأمر مارسيك لحسب ، بل بالأكثر
لشهادة الرائعة التي شهدتها له الكونت دي جيش ، وكيف ألقاه من الفرق وأسر معه
ذلك الاسباني بشجاعة نادرة

وقد عجب الشابان حين وجدوا الأمير كوندبه ، ابن الأمير هنري بوربون ، شاباً في السابعة
والعشرين ، ملأً صيته الدنيا بانتصاراته الرائعة قبل ذلك في روكروي وفريبور وفورد
لنجين فعظم أملهما في بلوغ المجد سريعاً

واستجوب الأمير الأسير بواسطة مترجم يعرف الاسبانية والهولندية ولم يكن ذلك المترجم
إلا الشاب راؤول . ولكن الأسير لم يكن يعرف هاتين اللغتين . وأخيراً اتضح انه إيطالي .
فتولى الأمير استجوابه بنفسه ، فإذا به لا يعرف الايطالية أيضاً . فأدرك الأمير انه يراوغ
وأمر بإعدامه ، فذابت مقاومة الرجل وبدأ يتكلم الفرنسية بطلاقة ، وأقضى للأمير بكل شيء
وهكذا رتب الأمير الحطة ، وأمر بالهجوم على العدو في الصباح الباكر هجومًا مفاجئاً ،

ثم أتى على راؤول وأبدى له العطف ، وأمر له بخير جواد في المسكر ، ونصحه بالراحة
كي يبدو في معركة الغد في أوج قوته
وبعد أن استراح قليلا ندبه الأمير لمصاحبته في جولة استكشافية لمكان الموقعة التي ستدور
غداً بين الجيش الفرنسي الصغير ، والجيش الإسباني الذي يزيد عليه أضعافاً ، فلما أبدى
راؤول تلك الملاحظة ابتسم الأمير وقال له :

— اعلم يا عزيزي دي براجيلون ان الجيوش الصغيرة هي التي تكسب المعارك الكبيرة
وسمح له أن يقضى تلك الليلة مع صديقه دي جيش في خيمة واحدة فقطعاً معظم الليل في
السمر لأن الفرح كان يعلوهما لما أصاباه من توفيق ولأنهما في الغد سيشاركان لأول مرة في
حرب حقيقية ، وهو حلم طالما داعب خيالها الشاب



عشاء على الذكرى

كان اللقاء الثاني بين الأصدقاء الأربعة خالياً من التوتر الذي ساد الاجتماع الأول ، وقد أحسن آتوس صنفاً حين جعل اللقاء حول مائدة حافلة بما لذ وطاب لأن الطعام والشراب داعيان للألفة وترك التنازع . وقد كان لفوارير الشبان الأربعة أثرها الحاسم في رفع الكلفة والعودة بالفرسان الأربعة عشرين عاماً إلى الوراء

وفيما هم في معيخان السمير سمعت على السلم أصوات أقدام ، قطعت عليهم جو المرح الذي أشاعته دعايات بورتوس ، ثم سمعت طرقات خفيفة على الباب ، فقال آتوس :

— ادخل

فدخل صاحب المطعم الذي كان قد أفرد لهم هذه الحجرة العلوية ، وقال :

— هناك خادم تبدو عليه العجلة يريد محادثة الكونت دي لافير

فقال آتوس :

— هو أنا . وما اسم الخادم ؟

— جريمو . . .

— هل عاد هكذا سريعاً ؟ ماذا حدث يا ترى لبراجيلون ؟ ليدخل

وفي هذه اللحظة اندفع جريمو داخلاً وصرف صاحب الخان بإشارة من يده تخرج وأقلع الباب ، وساد الصمت جو القاعة ، ذلك ان اضطراب جريمو وصفرة وجهه والعرق الذي يتصبب من جبينه ، والتراب الذي يلمس ملابسه ، كل هذا يدل على أن الرسول جاء يحمل من الأنباء ما هو بالغ الأهمية ، إذا لم يكن فاجعاً

وأخيراً تكلم جريمو فقال :

— سادتي ، كان لتلك المرأة ولد ، وقد أصبح الولد رجلاً . وكان للنمرة شبل ، وقد

غدا نمرأها نجياً ، وراح ينب عليكم ، فاحذروه !

فبهت السامعون ، ونهض دارتانيان واقفاً وقال :

— ماذا تريد أن تقول يا جريمو ؟

— ان ابن ميليدى قد غادر انجلترا إلى فرنسا وهو الساعة في طريقه إلى باريس إذا لم يكن وصل إليها فعلا
— يا للشيطان ! هل أنت متأكد ؟
— كل التأكد

فساد الصمت لحظة ، وارتمى جريمو فوق مقعد ليستجمع أنفاسه اللاهثة ، وصب آتوس قدحا من الشمبانيا وناولها اياه . فلما هدأ روعه قليلا روى التفاصيل الهائلة التي شهدتها بعيني رأسه ، فنهض دارتانيان وبورتوس وأراميس وأسرعوا بحركة تلقائية إلى سسيوفهم أما آتوس فبقى في مكانه هادئا ينظر نظرات حاملة ، ثم سأل جريمو :

— أتقول يا جريمو أنه يرتدى ملابس الرهبان ؟ فأى طراز من الرجال هو ؟
— في مثل قامتي ، وهو كما وصفه صاحب الخان نجيل صاحب الوجه ، له عينان زرقاوان وشعر أشقر

— وهل رأى راؤول ؟

— وكيف لا ، والفيكونت هو الذى ساقه قسرا إلى فراش المحتضر ؟
وحيث أنه نهض آتوس فتناول سيفه ، ثم غادر أربعتهم الخان



مازاران والملكة هنرييت

والآن ينبغي أن يعبر القارىء معنا ضفة السين ، إلى باب دير راهبات الكرم فى شارع القديس جاك . فى ذلك الدير تنزل الملكة هنرييت ملكة انجلترا وكريمة هنرى الرابع ، وممها ابنتها ، بينما ملك انجلترا شارل الأول يقاوم رعاياه الثائرين بزعامة كرومويل . والساعة الآن الحادية عشرة صباحاً ، وقد طرق الباب رسول حاملاً رسالة من شارل الأول ينذر فيها بقرب التجائه إلى فرنسا ، ويسأل إذا كان مازاران على استعداد لقبوله قبولاً حسناً ، ولما كانت الملكة هنرييت سيئة الظن لما رآته من جفاء البلاط الفرنسى فقد عازمت على التوجه إلى الباليه رويال

وفى اللحظة التى غادرت فيها هنرييت الدير إلى هناك ، كان هناك فارس يترجل عن جواده أمام باب الباليه رويال ويعان للجراس أنه يحمل رسالة هامة شفوية وتحريرية إلى مازاران . وكان هذا الرجل رسولا من كرومويل ومندوباً مفوضاً فوق العادة ، فأدخلوه على مازاران الذى استقبله واقفاً ، فقدم إليه الرسول خطاب تعريف مختصر من القائد البريطانى ، ثم قدم إليه بعد ذلك رسالة كرومويل السرية ، التى يسأل فيها هل الوزير الفرنسى على استعداد لمساعدة الحركة الشعبية فى انجلترا ، ولو بالتزام الجهاد ، عن طريق رفض استضافة الملك شارل الأول فى فرنسا ، وعدم معاونته مادياً أو أدبياً . وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن انجلترا ستضطر للتجالف مع إسبانيا بدلاً من فرنسا ، والتنافس بين إسبانيا وفرنسا يومئذ على أشد ما يكون

فلما أتم مازاران قراءة هذه الرسالة قال للرسول الشاب :

— ان ردى على هذا الخطاب سيكون من الموافقة بقدر جهل الناس بحقيقة ما اتفقنا عليه من خذلان الملك شارل الأول . فاذهب ياسيدى وانتظر ردى فى بولونى ، على شاطئ البحر ، وعدنى أن تكون غداً صباحاً هناك

— أعدك ، ولكن كم يوماً سأبقى فى الانتظار ؟

— إذا لم يملك الرد فى بحر عشرة أيام كان لك أن ترحل بدونه

وفى هذه اللحظة دخل حاجب مازاران وقال :

— ان الملكة آن تدخل القصر في صحبة نبيل انجليزي

فالتفت مازاران إلى الرسول وقال :

— لعلك أدركت الآن سر تحديدي ميناء بولوني لاقامتك ، حتى تكون بعيداً عن العيون

ثم فاده إلى دهلين مهجور كي لا تراه الملكة خارجاً من مكتب الوزير . وانثنى مازاران
بعد ذلك إلى الملكة فاستقبلها خارج حجرتها ، ولما سألته عن نواياه تجاه زوجها إذا حاقت به
الهزيمة واضطر إلى مغادرة بلاده ، راح يمثل كوميدياً على الطريقة الايطالية ، متظاهراً بالولاء
لها ولزوجها ، وأن المرجح في هذه الأمور هو ملكة فرنسا ، وهكذا انصرفت ملكة انجلترا
بدون طائل ، واستعد مازاران للذهاب إلى جناح الملكة لأنه علم أنها تافقت أنباء من جبهة
القتال

أما الرسول الانجليزي فانه عند خروجه من المر السري أبصر خلال زجاج بعض
الأبواب النبيل الانجليزي الذي كان مرافقاً للملكة هنرييت وقد وقف في الخارج ينتظر
انتهاء حديثها مع مازاران ، فعرف فيه اللورد دي ونتر صديق الملك ، وعمه هو . وكانت
أولى خواطره أن يهجم عليه ويضفي حسابه معه ، ولكنه تذكر مهمته الرسمية فكظم
غضبه وانصرف . ولم يكن هذا الرسول في الواقع إلا صاحبنا الراهب المزيف . فلما خرج
من القصر فوق صهوة جواده وقف عند أول منعطف في انتظار خروج عربة ملكة انجلترا
فلم تلبث أن خرجت العربة الكبيرة الفخمة ، ودى ونتر يسير حذاءها راكباً جواده ،
فتبع الشاب العربة

وكانت الملكة تحدث اللورد دي ونتر بياسها من وجود أصدقاء وقت المحنة ، فقال لها
اللورد انه جاء إلى فرنسا في الواقع ليجت عن أنصار للملك في فرنسا ، ولا سيما أربعة
أصدقاء مخلصين كان يعرفهم فيما مضى ، يستطيعون باخلاصهم شيئاً كثيراً ، فسألته الملكة :

— وأين هؤلاء الأربعة ؟

— هنا ما أجهله في الوقت الحاضر ، فلم أرهم منذ عشرين سنة

— اذكر لي أسماءهم فربما سمعت بينهم

— أولهم الشيفالييه دارتانيان

— إذا لم تخني الذاكرة فهو ضابط في حرس الفرسان ، وأحبه من رجال مازاران
قلباً وقالاً

— والثاني الكونت دي لافير ، وأما الآخرون فلا أعرفهما إلا بأسمائهما المستعارة

وكان هذا الحديث يدور في بعض قاعات قصر اللوفر الذي توجهت إليه الملكة عند
خروجها من الباليه رويال

وفي هذه اللحظة قيل لها ان رسولا خاصاً قد حضر من جبهة القتال موفداً من المارشال
دى جرامون ، فأدخلته كريمتها ، التي كانت تقوم بدور الحاجب لأن البلاط الفرنسي لم يرتب
للأسرة المالكة الانجليزية حاشية لائقة ، وكان ذلك الرسول هو راؤول . فسلم راؤول
إلى الملكة خطاباً من المارشال يبشرها بالنصر في موقعة لينز ، وبين لها كيف زاد ذلك
النصر من تفوذ مازاران . وأن هذه هي الفرصة المواتية لكسب مؤازرة فرنسا لزوجها .
ثم أوصاها براؤول خيراً مؤكداً لها أنه جدير بالثقة

فلما قرأت الملكة الخطاب ، شكرت راؤول في رقة فقال لها :

— أنت أول من يعرف نبأ النصر في باريس ، فقد جئتك به مباشرة من دون أن

أهرج على ولي وأقبله

— وهل عليك يدعى براجلون مثلك ؟

— كلا ، بل هو الكونت دى لافير

فصاحت الملكة والدوق دى ووتر في صوت واحد :

— الكونت دى لافير . أحد الأربعة الذين نبحت عنهم !

وهكذا عرف دى ووتر من راؤول عنوان آتوس ، وعرف منه أنه على صلته بدارتانيان

وبورتوس وأراميس ، فانطلق اللورد في الحال ليقابل آتوس ويحاول كسب الفرسان الأربعة

لنصرة ملكة المنكود

□

خرج دى ووتر من لندن إلى نبريت فركب وركب وراءه تابعه متجهاً إلى مقره ،
فلاحظ في بعض الطريق أن فارساً يتتبع خطواته ، وأنباء توفى تابعه الخاص ان هذا الفارس
كان يتبعهما من الباليه رويال ، إلى اللوفر ، ثم هاهو يتبعهما من جديد . وصعد دى ووتر
إلى فندقه المطل على الميدان الملكي ، وبدأ يخلع في حجرته قفازيه وقبعته وفي نيته أن يتسقط
من النافذة حركات هذا الجاسوس ، ولكنه رأى في المرآة الموضوعة أمامه في الحجره صورة
شاب يقف في الباب فالتفت ليرى الشاب رسول كرومويل ، والراهب المزيف الذي عرفناه
في الفصول السابقة . وعرف فيه دى ووتر ابن أخيه

— لا تحاول طردى ياسيدى اللورد هذه المرة أيضاً كما طردتني حين مثلت بين يديك
وأنا غلام صغير في لندن . فقد ذهبت اليك في تلك المرة أسألك عن سر مولدى وعدم
الاعتراف بنسبي ، أما الآن فقد جئت أسألك يا قايين ماذا فعلت بأبى ؟

— اذهب أيها الشقي وسل عنها أبالهة الجحيم ، فربما كان لديهم الجواب !

فتقدم الشاب حتى وقف وجهاً لوجه أمام اللورد وعقد ذراعيه فوق صدره وحدث في

عينيه ثم قال بصوت أجش يقطر ألماً و غضباً :

— لقد سألت عنها جلاد بيتين ، فأجابني

وحينئذ تهاوى اللورد على مقعد كمن مسته ساعة ثم قال :

— أتريد أن تعرف ذلك السر الرهيب ؟ ليكن لك ماتريد ! اعلم إذن أن هذه المرأة

التي تطلب مني حسابا عنها قتلت أخى بالسم ، ثم حاولت قتلى أنا كي ترثني . فلماذا تقول ؟

— أقول انها كانت أمى . انه كانت لى أم فلم تعد لى أم !

— وقد حرصت على قتل الدوق با كنجهام طعنا بالخناجر . فما تقول ؟

— أقول انها أمى

— فلما جاءت الى فرنسا قتلت بالسم فى دير الراهبات بيتين امرأة شابة ، وقد ثبتت

عليها هذه الجريمة . فهي امرأة تجسم فيها الفساد وشهوة القتل والشر والفسق . فكمن من

رجل أفسدت دينه بين أحضانها غير مبالية بالأخلاق أو حسن السيرة والشرف

فانفجر الشاب باكياً وتصاعد الدم الى وجهه المكفهر وصرخ :

— مه ياسيدى ! أنا لا أعرف هذه الجرائم ولا أريد أن أعرفها فكل ما أعرفه انها

كانت أمى !

ثم تقدم نحو اللورد فى هيئة تنسدر بالشر وقد كثر الزبد فى شذقيه فوضع اللورد يده

على مقبض سيفه وابتسم ابتسامة صفراء وقال :

— أتريد أن تقتلنى أيها الشاب ؟ أنت لذن ابنها حقا !

— كلا . لن أقتلك فى هذه اللحظة على الأقل . لأنه لن يتسنى لى بدونك أن أعرف

بقية المجرمين . أما بعد أن أعرفهم فلك أن ترمد وأن تخاف ، فقد قتلت جلاد بيتين المحتضر

طعنا بخنجرى فى غير رحمة ولا شفقة ، وأنا أعلم ان هذا المسكين كان أقلكم جريماً !

وانفض الشاب ثم خرج من الغرفة وغادر الفندق ، وترك اللورد متداعياً فوق مقعده

يحمد الله على أن ابن أخيه لا يعرف بقية الشركاء .



وبينما كان هذا المنظر يدور عنيفا فى حجرة اللورد دى ونتر ، كان آتوس جالسا بالقرب

من نافذة حجرتة وقد اعتمد برأسه على كفه مصغياً الى زائول الذى كان يقص عليه ماجرى

له فى رحلته من مقامرات وتفاصيل ، فكان فيما قال :

— وقد نسيت ياسيدى أن أذكر لك لشدة اهتمامى بعمارك الميدان شيئاً مهما ، فإني حين

مثلت بين يدي ملكة بريطانيا وجدت فى حضرتها أحد النبلاء ، فما أن ذكرت اسمك حتى

صدرت عنه صرخة تنم عن الدهشة والسرور ، وذكر انه من أصدقائك ثم أعلن عن رغبته

فى زيارتك وطلب منى عنوانك

— وما اسم هذا النبيل ؟

— انى لم أجرؤ ياسيدى على سؤاله عن اسمه ، ولكن لا شك عندى من لهجته فى

الكلام من انه انجليزى

— آه

ثم رفع رأسه الى السقف وحلق فيه كمن يحاول أن يتذكر شيئاً ، فلما خفض بصره رأى قبالة رجلا مائلا فى عتبة الباب المفتوح يرمقه بنظرة تفيض رقة وعطفا ، فصاح السكونت بفرح عظيم :

— اللورد دى ونتر !

— آتوس صديقى

ثم وقف كل من الرجلين ينظر الى الآخر مبهوتا ثم تصالفا باليدين كليهما ، ولم يلبث آتوس ان قال لضيفه اللورد :

— مالى أراك مهموما ياسيدى اللورد ؟

فثلقت دى ونتر حوله كمن يبحث عن خلوة ، فأدرك راؤول أن الصديقين يريدان التحدث

على انفراد ، فانسحب خارجا ، وقال اللورد :

— لنسرع بالحديث ونحن وحدنا . فهو هنا

— من ؟

— ابن « ميليدى »

فقال آتوس بعد لحظة تردد وقد عقد حاجبيه ، وبلهجة هادئة :

— أعرف ذلك

— أتعرفه ؟ ومن ؟

— لقد قابله جريمو قرب قرية بيتين ، فعاد مسرعا ليخبرنى

— لقد كان عندى منذ برهة ، وكان بيننا موقف عسير . وانى لنادم الآن اننا لم نقتل

الطفل قبل الأم

— لم تخاف ؟ ألسنا هنا لندافع عنك ؟ ليس فى استطاعتنا إلا أن ننتظر الحوادث .

فلنتنظر . ولكن ماذا جاء بك الى باريس ؟

— بعض أعمال هامة ستعرفها فيما بعد . ولكن ما هذا الذى سمعته لدى الملكة هنرييت

من أن دارتانيان من أنصار مازاران ؟

— ان دارتانيان لا زال فى الخدمة العاملة بالجيش ، فهو والحالة هذه خاضع للأوامر

بالضرورة ، والأوامر عنده هى أوامر السلطة القائمة . وليس دارتانيان غنياً ، فلا غنى له

عن مرتب وظيفته . أما أنا فلتست من أنصار مازاران . كلا وألف كلا

فنهض اللورد وشد على يد آتوس ثم احتضنه وسأله :

— ألا يزال بوزتوس وأراميس صديقين لك ؟

— وأضفت اليهما أيضاً دارتانيان نفسه . فلا زلنا أصدقاء ، إلا حين تنور مسألة

مازاران أو الأمراء المعارضين ، ففي هذه الحالة نكون اثنين فقط

— هل أراميس مع دارتانيان ؟

— كلا . فهو يشرفني بمشاركتي معتقداتي السياسية

— فهل لك يا صديقي آتوس أن تصلني بهذا الصديق الذكي اللبق ؟ وهل لك أن تتفضل

باحضاره لمقابلتي في الساعة العاشرة غداً فوق قنطرة الأوفر ، إذا راق ذلك لديك ؟

— آه . آه . هل سنشترك في مباراة ؟

— أجل يا كونت . في مباراة حامية أرجو أن تشترك فيها أنت

— وأين سنذهب بعد اللتقي ؟

— لدى جلالة ملكة إنجلترا التي كلفتنى بتقديمك اليها . أعني أربعتكم على فرض بقائكم

جميعاً معكراً واحداً ، أما بعد الاضام فبيكما الكفاية

ونادي آتوس راؤول وكلفه بمرافقة اللورد وحراسته الى فندقه ، فدهش اللورد والتفت

الى آتوس مستكراً :

— من تحسبني يا كونت ؟

— أحسبك أجنبياً لا يعرف باريس وشوارعها ، وسيتولى الفيكونت راؤول دي براجلون

إرشادك الى الطريق !

فشد دي ووتر على يده ، والتفت آتوس الى جرعمو فقال له :

— تقدم أنت اللوكب يا جرعمو وحذار من صاحبك الراهب



وفي الموعد المحدد أدخل اللورد دي ووتر صديقيه القديمين آتوس وأراميس على ملكة

إنجلترا . وقام الفارسان بتحياتها تحية ظاهرة الجمالة مما أتلج صدرها ، فقالت :

— ما دمتما ترغبان أيها السيدان في التفضل بمساعدة سيدة تخلي العالم بأسره عنها ،

فهنا هو ما يمكنكما عمله في هذا السبيل . فزوجي الملك يقف وحيداً مع نفر قليل من

النبلاء ، يخشى أن يفضوا من حوله يوماً بعد يوم ، وهو بين اسكتلنديين لا يثق بهم ،

وإن كان هو نفسه اسكتلندياً ، فننأى فارقه اللورد دي ووتر إلى هنا والقلق مستول على .

ولا تؤاخذني إذا أنا اشتطت عليكما في الطلب ، مع أنه لا سلطان لي عليكما ولا واجب

يربطكما بنى . إن ما أريد منكما أن ترحلا الى انجلترا ، فتنضمنا للملك لحراسته والسهر على حياته ، فتلزمان جانبه أثناء المعارك ، وفي داخل بيته ، فلا شك أن الفخاخ تنصب له في كل مكان ، وتلك الفخاخ أخطر من جميع مخاطر الحرب ، وأعدكما في نظير ذلك ، لا بمكافآتكم ، فان ذلك قد يؤذى شعوركما ، بل أن أحبكما حب أخت شقيقة وأن تكونا هندی أفضل من كل انسان ما خلا زوجي وأولادي . وأقسم على ذلك أمام الله ، والله على ما أقول شهيد

فسكت الاثنان لحظة ثم قال آتوس بهدوء تام :

— متى ينبغي أن نساغر يا سيدتي ؟

— لقد وافقنا إذن ؟ وافرحناه

— أجل يا سيدتي ، وان كنا نرى أن جلاتك قد أسرفت فيما يبدو في اغراقنا بهذه

الصدائة القوية التي تربى على ما نستحق . فالتنا نشعر أننا انما نخدم الله يا سيدتي إذ نخدم رجلا في شدة وضنك ، وسيدة هي مثل عال لفضيلة المرأة المؤمنة والزوجة والأم . سيدتي نحن لك قلباً وقلبا ، روحاً وجسداً

فدت الملكة إليهما يدها فقبلاها ، ثم همست للورد :

— إذا أعوزتك نفود ، فتذكر أنني أعطيتك جواهرى فاقتطع منها وبمها ، واحرص أن يعامل هذان السيدان في المأوى والمأكل كما ينبغي لقدرهما وهم ضيوفنا، أى كما ينبغي للملكين وفي خارج القصر ترك اللورد الفارسيين إلى فندقه ، فلما خلا الجو لآتوس وأراميس ، هرش أراميس رأسه وقال :

— والآن ما رأيك يا صاحبي في هذه المسألة ؟

— صفقة خاسرة . خاسرة جداً

— ولكنك تلقيتها بحرارة ، وأرى أننا سنقتل في أرض غريبة

— وهل نسيت أننا معرضون هنا للتسكع بين زنرات الباستيل وفانسين جزاء وفاقا لمساعدتنا للدوق دى بوفور على الفرار ، صدقتي يا عزيزي أراميس أن كلا الأمرين شر ، وبعض الشر أهون من بعض

— وكيف ترى الموت أهون من السجن ؟

— يا صاحبي نحن سنتعاشي السجن لنظفر بالبطولة أحياء أو أمواتاً . ويجب الآن أن نفرق ، أنا لأقوم ببعض زيارات ولأكتب خطاباً ، وأنت لتسوية أمورك ، ثم تمرني في الساعة الثامنة . أم تراك تفضل أن تحضر لتتعشى معي في الساعة ؟

— موافق . ولدى أنا أيضاً مائة زيارة ومائة خطاب

استغرقت الرحلة إلى ميناء بولوني يومين و ليلة ، فلما وصلوا قرب المساء في اليوم التالي إلى ذلك الميناء قال اللورد للغارسين :

— هيا نغترق حتى لا يثير اجتماعنا الشكوك . أما أنا فسأذهب إلى فندق متواضع صاحبه من أعوانى ، ولا بد لي من النزول فيه لأنه العنوان الذى تصلنى عليه الرسائل ، أما أنتما فاذهبا إلى أرقى فندق ، واسمه (سيف هنرى الكبير) . على أن نلتق ساعتين في المرسى حيث تنتظرنا سفينتنا لتقلنا إلى حيث تعلقون

وفي الموعد المحدد ذهب الغارسان فأبصرا سفينة انجليزية الشكل ، فوقها يتجدثان عن رحلتها ، وأخيراً قال أراميس :

— أرجو ألا ندعنا اللورد ونتر ننتظره طويلاً يا آتوس

— صه ، فهناك من يتسمع

وكان هناك بالفعل شخص يتسمع منذ مدة ويدور حولهما ، فلما سمع العبارة الأخيرة وقف وراءهما ، ثم تقدم وسألها :

— أراكما من باريس ، فأرجو أن تخبرانى هل لا يزال مازاران وزيراً ؟

— إنه لا يزال متمتعاً بثقة الملكة مكروها من الأمراء والأحرار

— هو إذن لم يهاجر ولم يدخل السجن ؟

— كلا . ليس حتى الآن على الأقل

فشكرها الشاب الغريب وانصرف . وفي هذه اللحظة أقبل اللورد ، ولم يبق ناقصاً من الجماعة المسافرة إلا الخدم الذين حضروا بعد لحظات . وأسرع اللورد بالجماعة إلى السفينة حتى إذا وصلوا إلى السلم نزل الخدم أولاً بالأسلحة والمتاع ، وتبعهم الباقون . وإذا بشاب يخوض الماء كأنه يريد اللحاق بالسفينة فوق صهوة جواد تعرف فيه آتوس الذى سألها ، أما اللورد فأبصره حتى أمر المجدفين بالابتعاد بالسفينة بسرعة . وصاح :

— انه هو ! ابن ميليدى . الراهب المزيف

ورأوا الشاب يلوح بقبضته متوعداً ثم يصيح :

— سوف أنتقم ! إلى اللقاء فى إنجلترا



وفي يوم الأحد التالى أقيمت فى كنيسة نوتردام صلاة شكر على النصر فى موقعة لينز فاستيقظ الباريسيون فى ذلك اليوم منذ الصباح الباكر وقد أخذت المدينة زيتنها التى تتخذها للاعياد . وفى الساعة الثامنة صباحاً اصطفت فرق حرس الملكة بموسيقاها من الباليه رويال إلى الكنيسة . وفى الساعة العاشرة انطلقت المدافع من الأوفر معلنة خروج الملك ، فسرت

في الجماهير الحاشدة مهمة من وراء الجنود المصطفة ، ثم ظهرت الملكة الى جوار الملك في
عربة مذهبة فتعالى الهتاف بحياة الملك . وقرب نهاية القداس أسرت الملكة الى قائد
حرسها بالنيابة :

— اذهب يا كومانج ، والله معك

فذهب الضابط في عربة تحرسها كتيبة من الفرسان الى منزل في شارع القديس كريستون
حيث يسكن المستشار بروسل ، لاقبض عليه بأمر الملك ، فاحتج المستشار بأنه معتل منذ دهمه
جواد دار تانان عفواً عند مقبرة سان دينيس ، بيد أن الضابط أصر على التنفيذ ، فصاح ابنه :
— هذا مستحيل ! وانه تعنت يخرجنا عن طورنا

وصاح صوت حاد من آخر الغرفة ، هو صوت الخادم نانيت العجوز وهي تهز المقشة في
يدها متوعدة :

— مستحيل . وان أدعكم تأخذون سيدي ، محرر الشعب وأباه . اخرجوا

ثم فتحت النافذة على مصراعها وأخذت تصرخ مستنجدة . فقال الضابط :

— هل تطيع الأمر أو تتمرد على الملك ياسيدي ؟

— أطيع

وحاول التخلص من عناق كريمتيه وتهديئة خاطر ابنه ، وفي هذا الوقت كان جمهور كبير
قد تجمع أمام الباب على صراخ العجوز نانيت ، وبدأ الجمهور يستخط ويتحفز للهجوم ، ثم
هجم فعلا على خيول العربية ، فحاول الفرسان الدفاع عنها ، واستعمل الخوذي سوطه لتفريق
الجماهير ، فازدادت الثورة ، وجرف تيار الناس الجنود ، ولم يجد صياح الضابط الذي نزل
ومعه بروسل :

— باسم الملك . افسحوا الطريق باسم الملك

لولا أن فارساً سمع هذه العبارة ، فهجم بسيفه على الجماهير وشد أزر الحراس . وكان
هذا الفارس الشاب لايمدو السادسة عشرة ، وكان هو راؤول ، عائداً من بلوا حيث ذهب
بأمر آتوس كي يشاهد حفلة صلاة الشكر ، فوصل متأخراً ورأى هذا الشعب في طريقه وسمع
اسم الملك فتحمس وتدخل

وهكذا استطاع الضابط أن ياتي ببروسل في العربية وينصي به ، وحاول ابن بروسل
أن يقاوم ، فكاد راؤول أن يقتله بالرصاص . وفي هذه اللحظة كان دار تانان قد حضر
ليساعد كتيبة الحرس بعد أن وصل ببا الهياج الى القصر ، فعه راؤول من ذلك وأفهمه أن
الشاب معذور لأنه يدافع عن أبيه ، أما الشاب لوفيار ابن بروسل فأسرع بالهجرة وهو
لا يكاد يصدق بها

باريس تتمخض بالثورة

في هذه الأثناء كانت أخبار اضطهاد الزعماء تسري في الشعب الساخط سريان النار في الهشيم ، فسرعان ما اجتمع نائب المطران «جوندى» بكهنته ووجههم الى إثارة الناس باسم الكنيسة ، كي يقفوا ضد القصر في عدوانه على حقوق الشعب وتنكيبه بمن يدافعون عن تلك الحقوق في إيمان وشجاعة ، فتعهد بعض هؤلاء الكهنة أن يأتوه رجال نافرين في قيادة حركة الثورة : فهذا أحدهم يسمى له بلانشيه ، ولكنه يذكر أن ذلك الشخص قد اختفى منذ مدة ، ويعد بالبحث عنه واحضاره الى نيافة نائب المطران . وهذا قسيس آخر يسمى لنائب المطران الكونت دى روشفور ، ويقول إنه في باريس منذ ثلاثة أيام ، فتعجب نائب المطران جوندى لأن الكونت لم يفد للسلام عليه كعادته ، وطلب احضاره فوراً ليضع خطة الثورة ، وهذا قسيس ثالث يعد جوندى بأن يحضر له جندياً من نوع غريب ، هو متسول يقف على باب كنيسة صغيرة ، وله على التسواين وجيوش المشردين سكان باريس المظلمة سلطان مطلق ، فاهتم جوندى كثيراً ، وتنكر في زى الفرسان وذهب ليختبر المتسول بنفسه ووجده نائب المطران رجلاً في السادسة والستين من عمره تقريباً ، قصيراً بديناً حاد النظرات ، وأتى إليه نائب المطران قطعة فضية ، ثم قال قسيس الكنيسة الذى كان يسحب المطران :

— ان هذا السيد يريد أن يتحدث إليك يا مابار . فهو يريد أن يعرف رأيك في الحوادث الجارية ، على ضوء ما تسمعه من رواد الكنيسة فهز المتسول رأسه وقال :

— انها حوادث مؤلمة ، والناس جميعاً ساخطون فقال نائب المطران :

— يبدو لى يا صديق أنك رجل حاذق ، فهل لديك مانع في أن تشترك في حرب أهلية صغيرة إذا نشبت مثل هذه الحرب ، وأن تضع نفوذك على أبناء طبقتك تحت أمر الزعيم الذى تسند إليه قيادة هذه الحرب ؟

— طبعاً يا سيدي ، بشرط أن تكون هذه الحرب مؤيدة من جانب الكنيسة المقدسة ،

وبذلك أصل إلى الغرض الذي أسعى إليه منذ زمن طويل ، وهو رضوان الكنيسة وغفرانها
لذنوبي الثقيلة

— اطمئن يا مايار ، فإن هذه الحرب سوف لا تسمح بها الكنيسة بحسب ، بل إنها
ستباركها وتأمربها وتزعمها وتوجهها . وأما عن غفران خطاياك فإن من بين الموجهين
لهذه الحرب كبير أساقفة باريس ، ونفوذه لدى العرش الباباوى عظيم الأثر ، ففى الوسع أن
يستصدر لك غفراناً باباويّاً كاملاً . ولكن هل صحيح أن نفوذك على زملائك قوى ؟

— ان قوذى على زملائى يا سيدى لا حد له ، ويتبعونى بغير تردد

— هل تستطيع أن تعدنا بخمسين رجلاً بأسلحة أقوىاء يستطيعون أن يهزوا جدران
الباليه رويال بصباحهم « ليسقط مازاران » كما أسقط أجدادهم من قبل أسوار أريحا ؟

— لأننى أستطيع القيام بما هو أخطر من هذا

— أتستطيع مثلاً أن تقيم فى ليلة معينة عشرة متاريس ؟

— بل خمسين ، وإذا طلع الصبح كنت كفيلاً بالدفاع عنها جميعاً

— إذن خذ هذه الخمسين رويالاً ، وتعال بالخمسين رجلاً فى الساعة العاشرة مساءً ، ومكان

الاجتماع برج القديس جاك . وسيكون لدى كاهن البرج من التعليلات ما فيه الكفاية . فإذا
وفيت بوعدك فلك مثل هذا المبلغ

— سيكون لك ما أردت يا سيدى



وقبيل الساعة السادسة مساءً كان نائب المطران قد فرغ من جميع مهامه الخارجية ، وعاد
إلى مقر المطرانية ، فدخل عاياه الكاهن الذى وعده باحضار بلانشيه ، ومعه بلانشيه نفسه
الذى حيا بأدب عظيم ، فقال له نائب المطران :

— هل أنت مستعد لخدمة قضية الشعب ؟

— أعتقد ذلك . فانى من المراضين قلباً وروحاً ، حتى لقد حُكِم على بالاعدام لأننى

استخلصت من بين أيدي الحراس زعيماً كريماً

— وهل تسميه ؟

— ان نياقتكم تعرفونه جيداً فهو الكونت دى روشفور . ولولا حماية سيدى القديم

الملازم دارتانيان لشنقونى

— ولكن هذا الضابط من رجال مازاران

— هيه !

— ماذا تعنى ؟

— أعني أنه رجل مازاران لأنه موظف ، لا لأن مازاران يعجبه
— يبدو أنك شاب ذكي . فهل يمكن الاعتماد عليك ؟
— أجل ، إذا كان المطلوب هو إشاعة الشغب والقتال في المدينة
— الأمر كذلك فعلا . فكم رجلا تعتقد أنه يمكنك جمعهم أثناء الليل ؟
— خمسمائة حربة ومائتي بندقية

— وهل أنت مستعد لاطاعة أوامر الكونت دي روشفور ؟
— سأطيعه ولو إلى الجحيم . وليس في هذا مبالغة ، لأنه كفء لاقتحام جهنم
— مرحي مرحي

— وما آيتنا التي نعرف بها الأصدقاء من الخصوم ؟
— سيضع انصارنا عقدة من القش في قبعاتهم ، أنت بحاجة إلى نقود ؟
— ان النقود صديق لا يضر ، ولكنه ليس ضروريا

فأعطى جوندى نائب المطران خمسمائة ريال ووعدته بمنزلها بعد نجاح الحركة
فانصرف بلانشيه ، وبعد عشر دقائق اقتحم الغرفة شيخ في قوة الشبان هو الكونت
دي روشفور ، فأبدى فرحه بما عقدت عليه النية ، وأعلن أن تحت إمرته خمسين جنديا ،
كما وعد بالكتابة إلى الدوق دي بوفور في فاندوم حتى يكون على رأس الحركة
وقبيل الساعة العاشرة توجه جوندى إلى برج سان جاك ، فأدخله الكاهن إلى الحجرة
التي بها المتسول مايار ، فسأله هل بر بوعدته فأجابته :

— ليس تماما
— وكيف ذلك ؟
— ألم تطلب خمسمائة رجل ؟
— أجل . ثم ماذا ؟
— فأنتيك بألفين
— أأست مبالغا بعض الشيء ؟
— أتريد الدليل ؟
— أجل ...

فأشعل المتسول ثلاث شموع ، وضع كلا منها في نافذة من نوافذ البرج من جهاته الثلاث
ثم أطفأها ، فسأله نائب المطران عن مغزى ذلك :

— هذه علامة بداية العماليات . فعند خروجك من هنا حاذر أن تكسر ساقك في
التاريس التي تنصب الآن في شوارع باريس ، أو في الحفر التي يحفرها رجالى لتسكون
نفاخا وخنادق

- مرحى مرحى . هذه بقية الأتعاب المتفق عليها . وبما أنك زعيم ، فلا يصح أن تذهب إلى الحانة وتشرب الخمر حتى تسكر
- ان لى عشرين سنة لم أذق فيها طعم الخمر
- ثم ألقى بكيس النقود بعيداً ، فظنّه نائب المطران شخصاً غريب الأطوار شبه مجنون ، وتأهب لمغادرة القاعة ، فاذا المتسول يحول بينه وبين ذلك ويسد عليه الطريق ، فتبادر إلى ذهنه أنه يريد به سوءاً ، بيد أنه رآه يركع على ركبتيه ويضم راحتيه ويقول :
- بركتك يا صاحب النيافة
- صاحب النيافة ؟ أنت مخطىء . إنك تظننى شخصاً آخر
- كلا . ان زى الفرسان الذى ترتديه لا يخدمنى . وقد عرفتك من أول نظرة ، ولكنى تجاهلت
- وهل تريد بركتى ؟
- أجل فانى بحاجة اليها
- فباركه نائب المطران ، ثم أقامه من ركوعه وقال له :
- لقد باركتك فأصبحت مقدساً فى نظرى ، كما أنى مقدس فى نظرك ، والآن قل لى :
- أى جريمة اقترفت يتعقبك من أجلها القانون البشرى ؟
- فهز المتسول رأسه وقال :
- ان الجريمة التى اقترقتها يا صاحب النيافة لاتدخل تحت طائلة القانون البشرى ، ولا يمكن لنيافتكم أن ترفعوها عنى بأن تباركونى مراراً وتكراراً كما فعلتم فى هذه اللحظة
- صارحنى : هل التسول مهنتك منذ نشأتك ؟
- كلا يا صاحب النيافة . فانى لم أحترفه إلا منذ ست سنوات
- وأين كنت قبل ذلك ؟
- فى الباستيل
- وأين كنت قبل الباستيل ؟
- سأقول لك ذلك يا صاحب النيافة فى اليوم الذى تتنازل فيه بقبول الاصغاء إلى اعترافانى
- هذا جميل . فتذكر من الآن أننى على استعداد لسماع اعترافك فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل
- شكراً لك يا صاحب النيافة . ولكنى لست مستعداً حتى الآن لتلك الخطوة الخطيرة وتناول نائب المطران شمعة وانصرف

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة ليلاً حين خرج جوندى نائب مطران باريس من برج القديس جاك ، فامشى مائة خطوة حتى لاحظ تغييراً كبيراً ، فالشوارع المظلمة مليئة بالأشباح تغدو وتروح في صمت ، بعضها يحفر أرض الشارع ، وبعضها يضع الأحجار والأشجار في منافذها . وجل هؤلاء الرجال من المتساوين وأصحاب العاهات

وكان ثمة رجل تتقل كاهله أحمال السيوف والبنادق وسائر أنواع الأسلحة . وهو يطوف بها من باب الى باب ، ليفرقها على الأهالي .. وقد استطلع نائب المطران أن يتبين في ضوء مصباحه وجه هذا الرجل ، فاذا به بلانشيه

وعند القنطرة الجديدة اعترض طريق نائب المطران حارس مسلح يقود شرفة من الرجال المسلحين ، وسأله عن هويته . وكان هذا الحارس هو « لوفير » نجل المستشار بروسل . فلما رفع نائب المطران قبعته المريضة عرفه في الحال وانحنى له

وهكذا وصل جوندى الى المطرانية مطمئناً الى ماسيحدث في القند . وقد استمرت الاستعدادات طول الليل ، فلما أصبح الصباح بدت باريس متحفزة للانتقاص على حكامها الطفافة .. وقد اردحت الشوارع بنوى القبعات التي تزينها عقدة من القش ، شعار ثورة الشعب . فكل صاحب قبعة مزينة بالريش كانت الجماهير تجرده من سيفه المذهب وتجيده على الهتاف :

— يعيش بروسل . يسقط مازاران

وقد أقيمت المتاريس في كل مكان ، حتى أمام الباليه رويال . وكان عدد رجال الثورة المسلحين يربى على عشرة آلاف ، يتجشون بداوريات الحرس الملكي المصطفين حول القصر كأنهم تماثيل جامدة . والمظاهرات تطوف بالشوارع في جماعات قوامها مائتين أو نحو ذلك ، حاملة لافتات مكتوب عليها :

— انظروا الى شقاء الشعب !

وطبعي أن دهشة الملكة آن النمسوية ووزيرها مازاران كانت كبيرة حين استيقظا من نوم العافية . أما مازاران فهز كتفيه واصفر وجهه وأسرع الى حجرة مكتبه كي يطمئن على إغلاق الخزائن على أمواله ومجوهراته . وأما الملكة فقد استدعت المارشال « ميريه » وأمرته بالقضاء على هذه المهزلة بأى ثمن

وأخذ المارشال مائة جندي وحاول الخروج من طريق قنطرة الاوفر ، ولكنه وجد دى روشفور أمامه على رأس ألف وخمسمائة رجل ! فاضطر الى التراجع ، فوجد على القنطرة الجديدة الشاب لوفير ابن بروسل ، فتراجع الى السوق ، وهناك تصدى له بلانشيه ورباله الأشداء فقتلوا أربعة جنود . وجرب المرور من شارع القديس اونوريه ، فوجد هناك

المسول مايار وزملاءه ! ولكنه استهان بهم وأمر رجاله بالهجوم ، فلم يشعروا إلا والعاصفة تأخذهم من كل جانب بالقدائف ، من فوق الأسطح ، ومن وراء المتاريس ، ومن يمين وعن يسار ، وإذا برجال لوفير يأتون على صوت المعركة فيهاجمونه من الخلف ، حتى أصبحت قوة الماريشال بين نارين ، وراح رجاله يسقطون حوله صرعى ، ونجاة أخرجت الصفوف عن صباح وهتاف :

— يجيا نائب المطران

وتقدم جونديه في طيلسانه الكهنوتي يسير الهوينا بين الرصاص المتناثر ، ويوزع البركات الرسولية عن يمين وعن يسار في هدوء تام كأنه يمشى في صحن الكنيسة ، والناس يجثون أمامه عندما يمر بهم . وعرفه الماريشال فأسرع نحوه قائلاً :

— أخرجني من هنا بحق السماء والا هلكت ورجالي

فرجع جونديه يده طالبا الصمت من الجموع الهائجة ، فساد الكون ، وقال :

— يا أولادى . هذا هو الماريشال ميرييه الذى ظنتم به الظنون بالباطل ، يتعهد بأنه بمجرد عودته الى اللوفر سيطلب الى الملكة باسمكم اطلاق سراح بروسيل . أليس كذلك ياماريشال ؟

— أتعهد بذلك . وهان ذلك ثمننا للخلاص

هراخ فريق يهتف بحياة نائب المطران ، وفريق آخر يهتف بحياة الماريشال ، ثم اشترك الجميع فى الهتاف بسقوط مازاران !

وأفسحت الجماهير الطريق وأزالت جانبا من المتاريس حتى نسي للماريشال أن يعود الى القصر الملكى مع البقية الباقية من جنوده وقد نزقت ثيابهم وتلصخت بدمائهم

□

كانت الملكة واقفة مع وزيرها وكبار رجال الحاشية ، والأبناء تتوالى اليها عن استنفال الثورة واستعصاء أمرها . والهتافات والطلقات النارية تهتز لها جدران القصر . وتكلم أحد رجال الحاشية مقترحا على الملكة أن تحسم الأمر بالافراج عن بروسيل ، فإذا بها وقد ورم أنفها ونظرت إليه شذراً ، ثم قالت :

— أطلق سراح بروسيل ؟ مستحيل . هذا لن يكون

وفى هذه اللحظة سمعت فى الدهليز خطوات عسكرية ، ثم دخل الماريشال دميرييه دون استئذان ، قهلت الملكة لرؤياه وهتفت به :

— أهذا أنت ياماريشال ؟ أرجو أن تكون قد رددت الى هؤلاء الرعاع عقولهم

— رُمولانى ! لقد تركت لهم على أرض القنطرة الجديدة ثلاثة من رجالى وقد فرقهم

الحياة ، أما في السوق فقدت أربعة ، وأما على ناصية شارع الشجرة اليابسة فقدت ستة ،
وطى باب قصرك العامر فقدت اثنين . والمجموع خمسة عشر ، يضاف الى هذا ان أكثر من
عشرة قد أصيبوا بجراح . وإذا كنت لاترين قبعتي على رأسي فلأن رصاصة قد طاحت بها ،
ولولا نائب المطران لكنا قد هلكنا جميعا

— وما طلبات شمي العزيز ؟

— أن تردى اليه بروسل

— هذا لن يكون

وهنا تنحنح مازاران وفرك يديه وقال :

— أستطيع مولاتي أن أقدم اليها برأى ...

— إذا كان هذا الرأي هو الافراج عن بروسل فاحتفظ به لنفسك

— ليس هذا ، بل أرى استدعاء نائب المطران لمفاوضته

— ولكن هذا اللئيم هو الذى حرك هذه الثورة

— وهذا سبب أقوى لاستدعائه ، فالذى حرك الثورة يستطيع تسكينها !

— هذا صحيح . اذهب ياسيدى الماريشال فادع نائب المطران لمقابلتي

وبعد دقائق دخل نائب المطران في صحنه الماريشال ، فانحنى الملكة بأدب جم ، وسألته

الملكة عن رأيه في هذا الشعب ، فأجاب بهدوء :

— ان هذا لم يعد شعباً ، لأنه أضفى ثورة جائحة

— ان الثورة لاتوجد إلا في عقول من يتوهمون أن شعبي يتور ! وسترى كيف تضع

هيبة الملك كل شيء في نصابه

— هل لئيل هذا الكلام دعوتنى ياسيدتى ؟

— كلا ، بل لأسألك رأيك في المخرج من هذا المأزق

— لو أنني كنت في مكان جلالتك ، لا ترددت في إطلاق سراح بروسل

— وإذا لم أطلق سراحه فاذا تعتقد أن تكون النتيجة ؟

— أعتقد أن باريس لن يبنى فيها حجر على حجر صباح غد

فصعد الدم إلى وجه الملكة ، وكادت عينها الزرقاوان الجلياتان أن تخرجا من محجريهما ،

واستحال قرمز شفيتها الى زرقه ، وسخرت بالرجل ورأيه فأجابها :

— إذا لم يعجبك رأيي ياساحبة الجلالة ، فذلك لأن عندك ما هو خير . لأن جلالتك

أحكم من أن تتحدى وتواجه نتائج ثورة مسلحة

فأشارت الملكة بيدها فانصرف جميع ماعدا مازاران ، وهم جنوديه بالانصراف فأسبقته ،

واستعادته نصيحته ، فلما أعادها همت أن تضربه ، فنبهها الى أن المساس بشخصه معناه ضياع
عرشها في ساعات معدودات وحرمانها وقطعها من كنيسة الرب المقدسة
وفي هذه اللحظة قام هياج شديد في الميدان أمام القصر ، فابتسم جونديه وفر الدم من
وجهه مازاران ، ثم دخل قائد الحرس معلناً ان الجماهير قد تغلبت على كردونات جنود الحرس
حول الأسوار ، وأنهم الآن يقتحمون الأبواب

والحق أن هدير الأمواج وثوران البراكين واقضاض الصواعق لم يكن شيئاً مذكوراً
الى جانب تلك الصيحات الغاضبة التي انشقت عنها آلاف الصدور والحناجر
وفكرت الملكة لحظة ثم قالت لقائد الحرس :
— كم رجلاً تحت إمرتك داخل القصر ؟
— ستمائة رجل

— ضع حول شخص الملك مائة منهم ، وخذ الباقين فاكنس بهم هؤلاء الهمل من
حول القصر

فصاح مازاران :

— ماذا أنت فاعلة يا مولائي ؟

فصرخت الملكة في وجه قائد الحرس :

— اذهب واصدع بما أمرت

فشمى الرجل الذي لا يعرف إلا طاعة الجندي مهما كانت النتائج . وفي هذه اللحظة سمعت
قرعة عظيمة ناجمة عن كسر أحد الأبواب الكبيرة ، فصاح مازاران :

— انك ستضيعيننا جميعاً ، الملك وأنت وأنا

وسمعت بعد ذلك صيحات الفرح من الجماهير . وكان دارتانيان واقفاً مع بورتوس في
مكانهما الجديد في قاعة الانتظار فاستلما سيفيهما ، وهتف مازاران في وجه جونديه
نائب المطران :

— أنقذ الملكة !

فوثب جونديه الى النافذة ففتحها وعرف على رأس الأربعة آلاف رجل الذين اقتحموا
فناء القصر لوفير بن بروسيل ، فصاح به بأعلى صوته :

— لا تتقدموا خطوة واحدة ! الملكة توقع القرار

فصاحت الملكة مستنكرة :

— ماذا تقول ؟

فقال مازاران وهو يناولها ورقة وقلماً :

— هي الحقيقة يا مولائي
فوقعت قرار الافراج عن بروسيل ، وتناوله جونديه فلوح به من النافذة ، فهتف له
الناس كما هتفوا بحياة بروسيل ، فهتف هو بحياة الملكة ، فقالت له :

— لقد نلت مطلوبك يا صاحب النيافة فانصرف !
فانحنى امامها نائب الطران وقال :

— انى دائماً رهن إشارة مولائي !
ثم تراجع خارجاً وتركها وحيدة مع مازاران ، الذى اقترب منها محاولاً التسرية عنها ،
فصرخت فيه مشيرة الى الباب :

— دعنى ، فانك است رجلا
فتركها وانصرف



mersalli

ملكة تكبره الشعب

وفي الصباح التالي دخل بروسل باريس في عربة كبيرة نخمة ، وإلى جواره ابنه لوفير ،
والشعب الذي لا يزال حاملا السلاح تضيق به الشوارع التي مر بها الموكب هاتفاً :
— يعيش بروسل . يعيش والد الشعب . الموت للازاران

وكان جواسيس الملكة ومازاران يحملون اليهما هذه الأنباء المزججة . أما الشعب فكان
متلهلاً ولا سيما زعمائوه . اللهم إلا الكونت روشفور ، لأنه كان قد كتب الى اللوق بوفور
ليعود إلى باريس فيتولى الزعامة ، ولكن الثورة نجحت بسرعة خاطفة ، بحيث يعود اللوق
ليجد باريس هادئة وادعة

وتوجه روشفور لمقابلة نائب المطران فأفضى اليه بنياً خطيراً آخر . وهو أن الملكة قد
كتبت إلى الأمير كونديه ليعود من الميدان على عجل . ثم شاع في المساء قصة أن الأمير
كونديه وصل إلى باريس فجلاً . حتى إذا كان الصباح التالي بدت باريس مدججة بالسلاح ،
والمظاهرات المسلحة لا تنقطع من التجار والتسولين وجميع الطبقات المتوسطة والدنيا . وقد
قضت الملكة الليل بطوله في التشاور مع الأمير كونديه ، فلم يفارق الغرفة إلا في الخامسة
صباحاً ، وتوجهت الملكة بعد ذلك إلى مكتب الكردينال فوجدته لا يزال جالساً فيه ،
مشغولاً بإعداد الرد على كرومويل ، وقد مضت ستة أيام من الأيام العشرة التي حددها
للرد . ورأى مازاران علائم الانسراح على وجهها فقال :

— أرى جلالتك مبتهجة

— لا عجب . فقد وجدت الوسيلة للقضاء على هذا الغول الذي يسمونه الشعب ، فهم
يريدون أخذ الملك مني ، أي من تحت وصابتي ، لهذا قررت مفاجأتهم بالاختفاء أنا وابني
من باريس ، بحيث لا يعلم ذلك إلا أنا وأنت والأمير كونديه ، ثم بعد ذلك يحاصر الأمير
باريس ويسلط عليها الجوع حتى تخضع مذعنة

— مشروع عظيم ، ولكنه مخوف بالاستحالة . فليس تحت بدنا إلا ستة آلاف
جندي ، وهو عدد غير كاف

— وهل لدينا شيء من الشجاعة ؟

— لدينا منها الكثير

— إذن فالأمر سهل . ألا تستطيع أن تفهم أنني أكره باريس ؟ تصور أن باريس تستيقظ يوماً ذات صباح فتجد نفسها بغير ملكة ، وبغير ملك ، محاصرة ، جائعة ، ولا سند لها إلا برلمانها الأحق ونائب مطرانها الهزيل ذو الساقين المعوجتين !

— كل هذا جميل . ولكن التنفيذ يا مولاتي التنفيذ

— أنا الكفيلة بهذا

— ولكن هل تقدرين يا مولاتي أنها الحرب الأهلية ، التي هي شر ما عني به مملكة

فتتأصل الأحقاد ولا يندمل لها جرح ؟

— هي الحرب أجل ، ولكنني أريد أن أذل كبرياء باريس المتفطرسة بأي عن ، وأن أحولها الى رماد ، وأطفيء شعلتها بطوفان من الدم ، وأن أجعلها أمثلة الدهر للجريمة والعقاب . ملعونة أنت يا باريس . تعال معي وانظر من النافذة ، ألا ترى هذه الجموع المسلحة ؟ هل غدوت أنا الملكة سجيئة في قصرى ؟

— هذا هو الواقع فكيف ستخرجين ؟

— أعرف كيف أخرج ، ففي باريس رجل واحد طال بي نسيانه ، وهو وحده فبين

أن يخدم ملكته وينقذها . إنه دارتانيان

وأسرعت الى ورقة وقلم فخطت بضع كلمات في سرعة خاطفة

□

كان دارتانيان في ذلك الصباح راقداً في حجرة بورتوس المجاورة لحجرته في فندق العترة الصغيرة ، وأمامها سيفها و غدارتاها ، على سبيل الاحتياط في أيام القلاقل هذه . وقد أيقظهما في الساعة السابعة حاجب حمل الى دارتانيان رسالة وهو يقول :

— من لدن صاحبة الجلالة

وقرأ دارتانيان الرسالة ، فوجد أنها دعوة للحضور مع الحاجب لمقابلة الملكة فوراً . وخطر لبورتوس أن في الأمر مكيدة ونخاً منصوباً ، ولكن دارتانيان لم يأبه وأمره أن يكون على استعداد لأي مفاجأة ، ثم ارتدى ثيابه بسرعة . وقبل أن يفرغ من ذلك قرع الباب من جديد ودخل حاجب آخر يحمل رسالة بالصيغة نفسها من مازاران ، فتعجب بورتوس أيهما ينبغي على صاحبه أن يقابله أولاً . ولكن دارتانيان قال له إن الكردينال حدد المقابلة موعداً بعد نصف ساعة ، ولهذا صرف حاجب الوزير وذهب مع حاجب الملكة

فلما دخل عليها - وكان دخوله الى القصر من باب خافي في سور الحديقة - وجدها في

المصلى الخاص بها ، فاستقبلته بنظرة ثابتة وقالت وهي تنفوس فيه :
— هذا هو أنت تماماً . لم تتغير . فتففس في جيداً . ألا تعرفني ؟
— إنني دائماً رهن إشارة جلالتك
— ألك أصدقاء ؟

— كان لي ثلاثة ، ترك اثنان منهم باريس لا أدري إلى أين . والصديق الباقي معي
صديق قديم من الطراز الذي تشرفه مولاتي بتذكره
— لا بأس . فأنت وصديقك هذا تعدلان جيشاً كاملاً
— ماذا ينبغي أن نصنع يا مولاتي ؟
— تعال في الساعة الخامسة ، أقل لك ، ولكن لا تبسح بسر هذه المقابلة لمخلوق
— ان أصرح به لمخلوق
— أقسم بالمسيح
— سيدتي ، لم أخل بوعدي في حياتي قط ، وحين أقول لا أفعل ، فهي لا أفعل ،
فهل للملكة أوامر أخرى في الوقت الحاضر ؟
— كلا ، ورافقتك السلامة وإلى اللقاء في الموعد الموعود



اجتاز دارتانيان بعد ذلك دهليز القصر حتى وصل إلى مكتب مازاران ، فلما دخل ألتى
نظرة سريعة على عاداته ، فرأى على مائدة قريبة من مازاران خطاباً مختوماً ، ولكنه
موضوع بحيث لا تظهر كتابة العنوان . وبأدره مازاران بالسؤال التالي :

— هل أنت آت من لدى جلالة الملكة
— أنا يا سيدي ؟ من قال هذا الكلام ؟
— لا أحد ولكني أعلم
— يؤسفني أن أقول إن نياقتكم مخطئة في هذا الزعم
— ولكني كنت في الدهليز ورأيتك خارجاً من عندها
— هناك ولا شك سوء تفاهم ناتج عن تشابه في الأشخاص
— دعنا من هذا ، هل تحب الأسفار ؟ أم أن شيئاً يربطك بباريس ؟
— لا شيء يربطني بباريس إلا الأوامر
— هذا خطاب أريد منك أن توصله إلى صاحبه ، في العنوان المكتوب
— ولكني لا أرى عليه عنواناً
— هناك مظروف داخل المظروف مكتوب عليه العنوان ، ولا تمزق المظروف الخارجي

إلا حين تصل إلى مكان معين . فإذهب الآن وخذ معك صديقك دى فالون (بورتوس) .
أراك متردداً ..

— كلا . سأرحل فوراً ، ولكن أرجو من نيافتكم التوجه الآن لمقابلة الملكة
— ولماذا ؟

— لتقول لها إنك أرسلتني إلى مكان كنا الآن

— لك هذا . سأذهب فانتظرنى هنا

وحاول دارتانيان أن يستشف خلال الضوء العنوان المكتوب داخل الظروف الأول
فلم يفلح وسرعان ما عاد مازاران وقد بدا على وجهه الاستياء فقال :

— أنت محق يا عزيزى دارتانيان فيجب ألا تذهب ، فأعطني الرسالة . وسأحتاج اليك

هنا المساء ، فتمال بعد ساعتين لمقابلتي

— لا أستطيع لأن لدى موعداً في هذا الوقت لا أستطيع التخلف عنه

— لا هتاق . فالموعدان واحد ، فأحضر معك صديقك دى فالون ولكن اتركه في

غرفة الانتظار لأننى أريد أن أحدث اليك على انفراد

وإنحنى دارتانيان مسلماً وانصرف



الفرار

أقيمت في تلك الليلة حفلة ساهرة تكريماً للقائد المنتصر العائد من الميدان . وكان المفروض أن تتخذ هذه الحفلة ستاراً لتسلل الملكة ، ثم لتسلل الوزير إلى خارج باريس فلما دخل دارتانيان على مازاران قال له :

— لقد قررت الملكة والملك مفادرة باريس إلى سان جرمان ، وعليك أنت عبء توصيلهما سالمين إلى هناك . فهل تتعهد بذلك ؟ وهل تقدر مدى المستوية للمقاة على ماتك ؟

— أقبلها وأقدرها

— يالك من شجاع — وأنا ؟

— أنت ماذا ؟

— إذا أردت أن أذهب أنا كذلك ؟

— هذا أصعب ، لأن الجمهور قد يتعرف عليك مهما كنت متنكراً ، وان كان التنكر

أوفق . فهل سترحل نيافتكم مع الملكة ؟

— لامعها ولا يبعدها . فسرى معها قد يكون خطراً عليها ، وسفرها قبل سيكون

خطراً على

— أنت تريد السفر قبل الملك والملكة ؟ هذا أصعب جداً . ولكن في أي ساعه

تريد الرحيل ؟

— في الساعة العاشرة . ثم نعود لتأخذ الملكة والملك في نصف الليل . ولكن

كيف أتكر ؟

— أترك هذا لي وفوض لي أمرك ، وسأعمل جهدي وان كنت لا أضمن النتيجة

وسأعود في التاسعة والنصف لأجد نيافتكم مستعداً للرحيل . أما الآن فأرجو مقابلة الملكة

فأدخله مازاران على الملكة حيث سمع منها مصداق هذه الأوامر ، ثم انصرف وعاد في

التاسعة والنصف ليجد مازاران قد خلع ثوب الكردينال وتمخى في ثوب فارس أنيق ،

ولكنه رعديد ينفض خوفاً وجزعاً . فقال دارتانيان :

— هيا ، فصديق بورتوس ينتظر في عربته التي سنسافر فيها أمام باب الحديقة وأبدى مازاران أنه يستقل الاكتفاء بصحبتها ، ولكنه استسلم وركب وأسعدت العربية في طريقها ، ولكن داورية من الشعب أوقفتها على بعد مائة خطوة ، وصاح قائدها :
من هناك ؟ ، فأجابه دارتانيان مقهقهما :

— أنا مازاران

ورأقت النكتة لشعب باريس الضاحك فتكروا العربية التي وجدوها بغير حراسة تمر ، لأنه لم يخطر ببالهم أن يركب مازاران عربية بدون حرس ، وبلغ مازاران ريقه وهو لا يكاد يصدق بالنجاة وفاض بين رفيقه ، إلى أن أوقفت العربية داورية ثانية ، فاذا بها بقيادة بلانشيه ، فقال له دارتانيان :

— لقد ساءت حالنا بعد فراقك يا صاحبي ، فهذا صديق بورتوس جرح في مبارزة

وأنا أوصله الآن إلى قصره في الريف

وهكذا مرت العربية من الكردون الثاني ، ومشت بضع خطوات أخرى إلى أن أوقفتها داورية من المتولين بقيادة مايار نفسه ، وأصر على التفتيش ولو كان من يركب العربية هو الأمير كونديه نفسه . وشرعت البنادق في وجه الحوذي إذا تحرك ، ففتح دارتانيان العربية واستعد للدفاع ، فما أن رآه مايار حتى صاح وقد شحب وجهه :

— السيد دارتانيان . انسحوا الطريق !

فأسرع الحوذي بالركبة يسابق الريح ، وخرجوا من باريس سالمين ، وهناك ترك دارتانيان العربية في حراسة بورتوس ، وعاد إلى باريس ليخرج منها الملكة والملك



دخل دارتانيان باريس راجلا ، فلما كانت الجماهير تراه بزيه العسكري الدال على أنه من حرس الملك ، كانوا يصيحون في وجهه هاتفين بسقوط مازاران ، فكان يشاركهم في الهتاف بصوت أعلى من أصواتهم فينصرفون عنه ويصفقون له ، ولما صار في شارع ريشيليو الهادى مشى على مهل يفكر في الطريقة التي يخرج بها الملكة والملك

وفيا هو كذلك وقع نظره على عربية فاخرة وقد نام سائقها فوقها ، فاقترب وتأمل الشعار المحفور عليها ، فعرف فيه شعار نائب المطران . فخطرت له فكرة تهذيها بغير تردد ، إذ قفز إلى داخل العربية ، ثم جذب حبل الجرس لتنبية السائق ثم صاح بصوت رفيع :

— إلى القصر الملكي : (الباليه رويال)

فأسرع السائق الذي استيقظ من غفوته مرتبكا بتنفيذ الأمر ، وهكذا دخل فناء القصر ونزل دارتانيان ، وحيث أنه تنبه السائق إلى الحقيقة ، ولكن الوعيد والتهديد أجبره على

أن يلوذ بالضمت ، كما تولى حراسته جنديان مسلحان ، وسرعان ماخلعوا عنه ثيابه فلبسها دارتانيان ، ثم اقتادوا السائق إلى الحبس في إحدى غرف التكنات . وتوجه دارتانيان إلى سكرتير مازاران فطمأنه على سيده ، ثم طلب منه أن يستأذن له على الملكة في حجرتها الخاصة وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بنحو خمس دقائق . فوجدها دارتانيان مستعدة ، وقد أيقظت الملك الصغير من نومه

وفي هذه اللحظة سمع من خارج القصر هياج الجماهير ، فترددت الملكة ، بيد أن دارتانيان طمأنها وأصر على المضي في الحطة ، فأذعنت الملكة واثقة به ، بيد أن قائد الحرس دخل معلناً أن الجماهير قد سرى بينها أن الملكة والملك فرا من باريس ، فهم يصرّون على رؤيتهما حالا وإلا حطموا كل شيء . فأشار دارتانيان أن ينسحب الحراس من الدهاليز ، وأن يبلغ قائد الحرس الجماهير أن الملك الطفل نائم ، وأن الملكة تسمح للشعب برؤيته في فراشه بشرط ألا يحدثوا أي صوت يوقظه . ونصح الملكة أن ترتدى ثوبا من ثياب النوم وتقف في طرف الحجرة ، أما هو فاخفى خلف ستار ويده على مقبض سيفه

وكان لهذه الكلمات فعل السحر في الجماهير فهدأت ، ثم فتح الباب فدخلوا إلى أن بلغوا مخدع الملك ، فلما رأوا الملكة واقفة بملابس النوم جمدا في مكانهم ، فقالت :
— تفضلوا أيها السادة ، وليقترب منكم من يعرف الملك شخصياً ليتأكد أنه هو ، وأنه نائم ، وأنتي أنا الملكة لا يبدو على شكل من يستعدون للهرب

وتشجع الزعيم — وكان هو بلاشبهه — فدخل ودخل معه شخص آخر ملتف بعباءة فضفاضة خدقا في وجه الملك ، وأعلنا أنه هو الملك فعلا ، وأنهما سيلفغان هذه الحقيقة للشعب

وقد أجاد الملك الطفل تمثيل النوم ، فلما خرجت الجماهير مسح دارتانيان العرق الذي تصبب من جبينه ، ثم عاد قائد الحرس ليخبر الملكة أن المندوبين أعلنا الحقيقة للشعب ، فانصرف الشعب هائفاً للملك والملكة ، فأشار دارتانيان بأن الوقت مناسب لإرحيل قبيته الملكة والملك ، فجلس دارتانيان في مكان الحوذى ، ثم أمر بإطلاق سراح الحوذى الأصلي ، وأن يذهب أحد الجنود فيأخذ جواده وجواد بورتوس ويذهب بهما إلى مكان معين خارج باريس ، في ضاحية سان جيرمان ، في انتظار أوامر أخرى



وخرجت العربية يقودها الحوذى دارتانيان وقد أخفى بين ثيابه غدارتيه ، ووضع تحت قدميه بندقية محشوة ، كما وضع سيفه عاريا وراء ظهره . ولم تكتم الملكة التي جلست بين طفليها (الملك وأخيه الأصغر الدوق انجو) استغرابها من وجود عربية نائب المطران بالقات

نحت يد دارتانيان ، وجلس قبالة الملكة خادمها الخاص «لابورت»
وكانت داوريات الشعب حين ترى العربية تعرفها بشمارها قهتفت لثائب المطران وتفسح
الطريق ، إلى أن خرجوا سالمين من باب باريس ، وما هي إلا بضع دقائق أخرى من السير
السريع حتى لحقوا بعربة الكردينال في عربة الملكة في المكان الذي كان يشغله الخادم
وبعد دقائق معدودات وصلت عربة الأمير كونديه ومعه زوجته ووالدته ، ثم عربة
أخرى فيها عم الملك الدوق اورليان وزوجته وابنته ، ثم عربة ثالثة فيها الدوق لنجفيل
زوج شقيقة الأمير كونديه والأمير كونتي . فقالت الملكة :
— وأين الدوقة لنجفيل ؟

— ان زوجتي مريضة وتمتدز اليك يامولاتي

ثم توالى بعد ذلك العربات ، وتوجه الركب بكامل هيئته إلى قصر سان جيرمان ،
وهناك امتطى دارتانيان وبورتوس جواديهما ، وهما بالانصراف ، لولا أن الكاردينال
استدعى دارتانيان وقال له :

— انك بطل يساوي أكثر من وزنه ذهباً ، وانى أقدرك تمام التقدير ، مارأيك في
أن تغدو يوزباشياً ؟ وأن يغدو صديقك بارونا ؟ إذا كنتما تريدان ذلك فهاهو الخطاب
الذى يجب أن تسلماه إلى العنوان المكتوب بداخله فوق مظروف آخر . ولكن لا تفتحا
المظروف الأول لى حين تصلان إلى لندن . ويجب أن يكون الرحيل من ميناء بولوني ،
حيث ستجدان شابا انجليزيا متكرراً تحت اسم موردانت ، وعليكما أن تبقيا هذا الشاب حينما
ذهب بكما ، وأن تطيعاه طاعة عمياء . وهذا كل شيء .

— لا أظن ياساحب النيافة أن هذا كل شيء . فالسفر فيما يلوح يحتاج إلى مصاريف .
والمعيشة في انجلترا مرتفعة التكاليف ، ولا سيما حين يكون المرء مندوباً فوق العادة
— ها كما إذن ألف ريال . فاقولك يادارتانيان ؟

— قولى ان هذا قليل ، وخصوصاً أننا اثنان

— نجملها إذن ألفاً ومائتين . ولكما عند العودة ما وعدتكما من ترقيةك ومن الانعام
عليه برتبة البارونية

— وهل أفهم أنه يدخل في مهنتي أن أقاتل إذا احتاج الأمر إلى قتال ؟

— أطع كل مايقوله لك من أرسلت اليه هذا الخطاب

— لى طلب أخير . ألا أستطيع توديع جلالة الملكة ؟

— جلالته نائمة بعد مجهود السفر الشاق ، ويجب أن ترحل إلى بولوني فوراً

فلم يسع دارتانيان سوى الانصراف مع صاحبه بورتوس الذى كان متعباً جداً من السفر
والسهر ، وأن يسرجا جوادين من أقوى جياذ القصر ويركبا إلى غايتهما المجهولة

أخبار من أراميس

اتجه الفارسان أولاً إلى باريس كي يسوي دارتانيان بعض شئونه الخاصة قبل رحلة
بجهولة العواقب . فلما وصلا إلى العاصمة وجداها تغلى ، حتى إذا وصلا إلى ميدان القصر
الملكي أبصر دارتانيان تابعه القديم بلانشيه يقود تدريبات عسكرية من الأهالي يبلغ عددهم
نحو خمسمائة ، مستمعيناً بمعلوماته القديمة حين كان (مراسلة) لدارتانيان في الحروب منذ
عشرين سنة . فلما رأى دارتانيان ألقى عليه تحية الصباح في أهة ، فرد عليه دارتانيان
التحية ساخراً واستأنف سيره مع بورتوس إلى فندق العنزة الصغيرة . واستقبلته صاحبة
الحان بخطاب وصل لتوه بعنوانه ، فمرف فيه خط آتوس ، ففضه وقرأه بسرعة ، وإذا
به هذه الكلمات :

— تحبتي وتحيات أراميس إليك وإلى بورتوس . ربما كانت هذه آخر رسائلنا .
نحن في ظروف حرجة ، ولكن الله معنا . أوصيك براؤول . وإذا لم تصلك خطابات مني
بعد شهرين ونصف فأرجوك أن تفتح خزانة أوراقى فى بلوا وتطلع على ما فيها ، وأن
تشمّل الفيكونت بما كنت تخصنى به من المحبة . وإذا صادفك فى طريقك شخص اسمه
موردانت فاحذر منه . ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك فى خطاب
« آتوس »

وتذكر دارتانيان هذا الاسم الذى قال له مازاران أن الانجليزى الذى سيقابله فى بولونى
متنكر تحته ، ورأى فى آخر الخطاب بضعة سطور بامضاء أراميس :

— إن مكان إقامتنا لاستطيع التصريح به ، خوفاً من حضور كما لشاركانا خطر الموت
فيه . وإذا كان آتوس يوصيك براؤول ، فأنا أوصيك بالانتقام . فاذا وقع فى يدك
يوماً ما شخص اسمه موردانت فاطلب من بورتوس أن يلوى عنقه بيديه القولاذيتين حتى
حتى يقطعه كمنق الدجاجة . ولا أستطيع أن أزيد
« أراميس »

قتل بورتوس شاربه وقال :

— هذه مسألة سهلة

فابتسم دارتانيان ابتسامة كالحة وقال :
— إنها بالعكس صعبة جداً ، بل مستحيلة
— هيه ؟ لماذا ؟

— لأنك يا عزيزي موفد إلى هذا السيد مورداث بالذات في بولوني وسترحل في صبيته
عبر البحر إلى إنجلترا

— إذن لا نذهب إليه ، بل ننضم إلى صديقنا فنناصرهما

— لقد فكرت في هذا فعلاً يا صديقي الذكي ، ولكنهما أخفيا عنا عنوانهما

— رباه . هذا صحيح . كيف نسبته ؟ ولكن هبنا نقابل راؤول ، فقد

تكون لديه أبناء عن آتوس

— رأى حسن ، فهيا بنا

وركبا جواديهما ، فوجدا في الشوارع قرب سان دينيس مظاهرة كبيرة ، لأن الدوق

دي بوفور حضر لتوه ، ونيافة نائب المطران يقدمه للجهاير . فأسرعا في طريقهما إلى أن
اعترضتهما مظاهرة ، فصاح دارتانيان :

— نحن مندوبان من الدوق دي بوفور برسالة إلى والده الدوق فاندوم

وهكذا زالت من أمامهما جميع العقبات ، ولكنهما لم يجدا عند راؤول أي نبأ عن

آتوس ، ووجداه في غاية القلق اهدم وصول خطابات ، فطمأنه دارتانيان وقال له إنه

تلقي خطاباً يبعث على الارتياح . فلما طلب إليه الفتى إطلاعه على الخطاب تصنع أنه فقد منه

وبعد ذلك ركب الصديقان إلى بولوني ، فوصلاها عند حلول المساء ، وقد تصبيا

عرفاً ، وانتهكت قوى جواديهما ، وعلماهما الزبد . فأبصرا عند مدخل المدينة شاباً

متشجاً بالسواد يبدو كأنه ينتظر وصول أحدهما ، فراح يحدق فيهما ، فاقترب منه

دارتانيان قائلاً :

— اسمع يا أخانا ! أنا لأحب أن يحدق في أحد

فأجاب الشاب دون أن يعلق على هذه الملاحظة :

— هل أنتما قادمان من باريس ؟

— أجل

— ألسنما مكافئين بمهمة من لدن نيافة الكيردينال مازاران ؟

— بلى يا سيدي

— إذن فأنا ضالتيكما ، فاسمى مورداث

غرك بورتوس أصابعه وقد تذكر وصية أراميس ، وتبادل الفارسان النظر ، ثم نفرسا

فيه جيداً ، فلم يفهم مغزى هذه النظرات وقال :

— أتشكان في حقيقة شخصي ؟ في استطاعتي أن أقدم لكما الدليل المقنع

فقال دارتانيان :

— لا ضرورة لذلك ياسيدي ، نحن نضع أنفسنا تحت تصرفك

— إذن نبحر الآن ، فالسفينة مستعدة ، وهذا آخر يوم في مهاتي ، والجنرال كرومويل ينتظر أوبتي بفارغ الصبر

— إذن نحن مبعوثان الى الجنرال كرومويل ؟

— أليس معكما خطاب موجه إليه ؟

— معي فعلا خطاب لا ينبغي أن أنزع غلافه الخارجي الأبيض لأرى العنوان على الغلاف الداخلي ، إلا حين أصل إلى لندن ، ولكن ما دمت قد صرحت لي ، فإني أفض الخطاب هنا

وفض دارتانيان الخطاب ، فوجد العنوان على الظروف الداخلي :

— إلى السيد أوليفر كرومويل ، قائد عام قوات الأمة الانجليزية

فعجب دارتانيان ولكنه كتم دهشته ، وقال مورديانت :

— هيا أيها السيدان ، فقد تأخرنا

فقال بورتوس :

— ألا يستطيع السيد كرومويل أن ينتظر قليلا حتى نتمشى ؟

— كما تريدان : لكن بسرعة

فقال دارتانيان :

— اسبقنا الى السفينة ريثما نتمشى ونلحق بك بعد نصف ساعة . ما اسم السفينة ؟

— استاندرد (الراية)

وافترقوا . ثم أسرع دارتانيان وبورتوس الى خان لتناول الطعام ، وسأل دارتانيان صاحبه عن رأيه في مورديانت وعما يسرعان السير ، فقال :

— إنه لا يعجبني على الاطلاق ، وأشتهى أن أنفذ وصية أراميس

— إياك أن تفعل ، فهو رسول الجنرال كرومويل ، ولا أحسبه يحسن استقبالنا اذا قلنا له إننا خنقنا رسوله الخاس

وتناولوا عشاء دسماً ، ثم توجهوا الى المرفأ فركبا السفينة ، ووجدوا الملاحين على استعداد للانقلاع فوراً ، فانهمكوا بمجرد ركوبهما في الابحار ، بينما كان الشاب مورديانت يتمشى على ظهر السفينة مطرقاً ، فجعل دارتانيان يتفحصه بنظره ثم قال لصاحبه :

— من الغريب أن سحنة هذا الشاب تذكرني وجهاً عرفته فيما مضى ، ولكن لا أستطيع تحديد وجه من هو

وفي هذه اللحظة أعلن ربان السفينة أنها لا يمكن أن تبحر إلا في الثامنة مساءً لأسباب فنية

هزيمة الملك شارل

أقلعت السفينة في موعدهما الرسوم مقلدة دارتانيان وبورتوس ، لا إلى لندن كما تبادل إلى ذهنيهما ، بل إلى ديرهم ، فلندعها في سبجها وسراها ، ولنتوجه للقاء أراميس وآتوس في معسكر الملك شارل قرب نيوكاسل ، على شاطئ نهر التاين الذي تقع على شاطئه الآخر جبال اسكتلندا

وعا هي الساعة تدق معلنة الأولى صباحا ، وهماما الصاحبان يلتقيان في جانب مقفر من ذلك المعسكر ، فيسمع في تلك الأرض الانجليزية الصميمة أصفي حوار باللغة الفرنسية النقية من كل بحجة ، فاذا با كوس يبادر أراميس بقوله :

— هيا بنا قابل الملك فوراً

— ماذا جرى ؟

— هذا شيء يطول شرحه ، واسكنك ستسمع خبره بعد حين ، فهيا إلى اللورد وتر وحننا الحطلى إلى الطرف الآخر من المعسكر ، فدخلنا في هذه الساعة على اللورد وأيقظناه ثم قال آتوس :

— أريد مخاطبة الملك ، كي أكتشف له عن أمور خطيرة

— ألا يمكن ارجاء هذه الأمور إلى الغد ؟

— بل يجب أن يعرفها فوراً ، وربما كان الوقت قد فات لتلافيها الآن

— هيا بنا ياسيدي العزيزين

وكانت خيمة ونتر إلى جوار الخيمة الملكية ، وتصل بينهما خيمة على هيئة دهليز يقف للحراسة فيه خادم الملك الحناس ، واسكنه كان يعرف ونتر فأجنى وتركه يمر مع صاحبيه . وكان الملك راقداً على سرير عسكري ، وعليه حلته السوداء ، وفي قدميه حذاء الركوب الطويل وقد فك حزامه ، ووضع قبعته إلى جواره ، واستسلم للنعاس تحت ضغط الارهاق فلما رآه آتوس على هذه الصورة ، صعد زفرة كانت كافية لاقاذا الملك لأنه كان ينام نوما خفيفاً جداً . فلما رأى آتوس قال :

— أهذا أنت يا كونت دي لافير ؟ انك تسهر وأنا نائم ، وأحسبك جثثي بنياً

— وا أسفاه يامولاي ، لقد أصبتم الظن
فابتسم الملك ابتسامه حزينة وقال : هو إذن نبأ سيء ؟
— أجل يامولاي . ان السيد كرومويل قد وصل هذه الليلة الى نيوكاسل
— آه ، هل جاء ليناجزني ؟

— كلا يامولاي ، بل ليشتريك ، فأنت تعلم يامولاي أن رواتب الجيش الاسكتلندي
متأخرة منذ سنة بما قيمته أربعمائة ألف جنيه استرليني
— صحيح . فنذ طام تقريباً والاسكتلنديون الأمناء يحاربون للشرف وحده . . .
فابتسم آتوس وقال :

— ومع أن الشرف شيء جليل يا مولاي ، فقد سئموا القتال من أجله فباعوك الى
كرومويل بنصف رواتبهم المتأخرة لديك ، أي مائتي ألف جنيه . ولكن لا يزال في مقدورك
أن تعبر نهر التاين لتلوذ بجبال اسكتلندا حيث اللورد مونتروز الذي لن يبيعك
— ما العمل إذن ؟ وكيف نعبّر النهر ؟

— أمامك يامولاي ثلاثة رجال مخاضين ، فلتركب جنلاتك جوادك فنحف بك
ونعبّر النهر

— وهل هذا رأيك أيضاً يادى ونتر ؟

— نعم يامولاي

— ورأيك أنت أيضاً يادربلاي ؟

— نعم يامولاي

— إذن اجر اللانزم يا ونتر

نفرج ونتر ثم عاد بعد لحظة وقال ان كل شيء قد صار على مايرام ، نفرج الملك ووجد
جواده مستعداً أمام الحيمة . ولكن آتوس أشار بيده الى خط أسود على الأفق مواز
للنهر ، وقال :

— ما هذا ؟ لم يكن لهذا الخط وجود بالأمس يامولاي

— هذه ولا شك سحب الضباب الصاعدة من النهر

— بل هذا يامولاي شيء أشد جسامه من الضباب . انه العدو خارجا من نيوكاسل

كي يحيط بنا ، لقد فات الوقت يامولاي ، فها هو فريق آخر قادم من هناك

— سنرى الآن إذا كان الاسكتلنديون قد باعوني حقا

— ماذا ستصنع جلالتيكم ؟

— سأمرهم بمهاجمة العدو واخترق صفوفه

ثم لسكر الملك جواده واندفع الى خيمة الكونت لوين . فتبعه الفرسان الثلاثة وكان القائد واقفاً بين أركان حربه ، فبهنوا عندما رأوا الملك أمامهم ، فقال الملك :
— لقد حضر كرومويل هذه الليلة إلى نيوكاسل ، وقد عرقم ذلك ولم تجربوني به وقد خرج العدو من المدينة وفصل بيننا وبين التهر ، ولا بد أن حراسكم قد أبصروه ، ولكنهم لم يبلغوني ولم يطلقوا صيحات الحذر ، وانكم أخيراً قد بستموني للبرائن نظير مائتي ألف جنيه استرليني . وهذا وحده هو القى عرفته في الوقت المناسب ، فما قولكم أيها السادة ؟

حاول الكونت لوين أن ينق هذه التهم ، وطلب الملك منهم البرهان على كذبها بمهاجمة العدو للتقدم ، فتنصلوا من ذلك بأن الهدنة المعقودة بين الطرفين لا تسمح به ، فصاح الملك محمقاً :

— ولكن الانجليز العصاة قد خرفوا نصوص الهدنة بخروجهم من المدينة على تعبئة للقتال . فيجب أن تخترقوا معي جيش العدو لتتوغل في اسكتلندا . أما وأنتم ترفضون ذلك فليكم أن تختاروا بين أحد اسمين كل منهما آية على البفض والاحتقار ، فأنتم إما جبناء ، واما خونة

فقدحت عيون الاسكتلنديين بالصرع ، واقلبوا من الحجل إلى الوفاحة والتبجح ، فتقدم منه رتيبان من رؤساء المشائر من الجانبيين وقالوا :

— لقد وعدنا بأن نخلس اسكتلندا وانجلترا من ذلك القى يمتص ذهبها ودمها منذ خمس وعشرين سنة . فذعلم أيها الملك شارل مستيوارت أنك أسير بين أيدينا ثم مدايديهما في وقت واحد ليقضا عليه ، ولكن قبل أن تمسه أطراف أناملهما كانا قد سقطا صرعيين . فقد صعق آتوس أحدهما بقبضة سدسه ، أما الآخر فقد اخترق أراميس جسده بسن سيفه ، فتراجم الكونت لوين وسائر الجنود أمام هذه المعونة المفاجئة وانسحب أراميس وآتوس بالملك إلى خارج الخيمة ، حيث قفزوا إلى سهوات الجياد التي كانت في يد الخدم وأسرعوا إلى الخيمة الملكية ، ورأوا في طريقهم إليها اللورد وتر واقفاً على رأس فرقته ، فأشار إليه الملك أن يوافيه

□

دخل الأربعة خيمة الملك ، فتهامى الملك فوق ، فقدم وقال : « لقد ضاع كل شيء .. » فقال آتوس :

— كلا . وإنما هي خيانة ، فانهض يا مولاي ، فتحت أمرك على الأقل ثلاثة رجال لن يخونوك . هما كانت الأحوال ، وإن أقترح أن يتقدم اللورد دي وتر على رأس فرقته

التي يثق في ولائها ، ونحيط نحن الاثنين بجلالتك ، ثم محاول فتح ثغرة في جيش كرومويل
تنفذ منها إلى اسكتلندا
فقال أراميس :

— هناك وسيلة أخرى ، وهي أن يلبس أحدنا ثوب الملك ويركب حصانه ، حتى
يتجمع حوله انتباه العدو ، فيستطيع الاثنان الباقيان المرور بجلالتك من خط القتال
فقال الملك :

— ما رأيك في هذا يادى وتر ؟

— رأيي يا مولاي أن خير طريقة لاقاذ جلالتك هي ما قاله السيد دربلاي ، وألتس
من جلالتك أن تختاروا بديلكم فوراً من بين ثلاثتنا لضيق الوقت
فرمق الملك صديقه القديم بنظرة يكاد يظفر منها الدمع ، ثم نزع الوشاح الأكبر من
نشان الروح القدس الذي يحل به صدره فوضعه حول عنق دى وتر الذي تلقى ذلك
الشرف — شرف خطر الموت في سبيل نجاة الملك بأن يحل محله — را كما على ركبته . ثم
الفت جلالته الملك ففتح صيواناً أخرج منه وشاحين من أوسمة ربطة الساق ، وهي أرفع
الأوسمة الانجليزية إطلاقاً ، فأنعم بهما على آتوس وأراميس وقبلهما ، ثم تبادل مع
دى وتر القبعة والجراد ، وركب أربعتهما . واقترح آتوس أن تقسم فرقة دى وتر إلى
قسمين : أحدهما يقوده دى وتر ، والآخر يقوده الملك ، فوافق الملك ، وتولى دى وتر
التقسيم ، ثم صاح بفريقه :

— إلى الأمام . امتشقوا السيوف !
فصدع رجاله بالأمر ، وانشرح صدر الملك فضاح برجاله : « امتشقوا السيوف ! »
ولكن آتوس وأراميس هما اللذان أطاعا وحدهما ذلك الأمر ، ثم بدأ الرجال يتفرقون
منفضين إلى جيش العدو ، كما انفض رجال دى وتر من حوله ، اللهم إلا حفنة لا تصل إلى
العشرين رجلاً ، بيد أن دى وتر لم يتراجع بل صاح : « إلى يا جميع المخلصين »
فأسرع أراميس وآتوس والمالك اليه ليلتقوا مع تلك الفئة القليلة هجوم الطليعة من
رجال كرومويل الذي شوهد على ربوة يدير المعركة

وأقبلت طلائع العدو ، وصاح قائدهم بالفرنسية : « لا مرور »
فما ان سمع دى وتر ذلك الصوت حتى ارتعدت فرائصه ، فقد كان ذلك الصوت لفارس
فوق جراد أسود رائع ، يتقدم جنوده في همة . وصاح جنوده حين رأوا دى وتر في
ثياب الملك : ها هو الملك . اقبضوا عليه حياً
فصاح ذلك القائد : « ليس هذا هو الملك . أليس كذلك يا لورد وتر ؟ أنت لست الملك
أليس كذلك يا عماء ؟ »

وبحركة سريعة صوب فوهة مدسه اليه ، ثم أطلقه فأصاب صدر الورد الشيخ
وأرداه صريعاً ، وكانت آخر كلماته :

— المنتقم . . . !

وفي هذه اللحظة أطبقت الفرقة كلها على هذه الفئة الصغيرة ، ووجد آتوس وأراميس
تسبيهما محصورين ، فجرد آتوس سيفه وصاح بزميله :

— هيا يا أراميس نكافح عن شرف فرنسا

وسقط أقرب انجليزين اليهما ، وإذا بالصفوف الانجليزية تنشق عن هملاق ينقض على
آتوس فينتزع السيف من يده وهو يهمس في أذنه :

— استسلم في سكون ، فاستسلامك لي لا يعيبك

— دار . . .

فكتم دارتانيان فم آتوس حتى لا ينطق باسمه . وفي الوقت نفسه كان عملاق آخر اسمه
بورتوس ينقض على أراميس ويأخذ منه سيفه . وهكذا انتهت الواقعة . وطلب موردانت
على الأثر إلى أراميس وبورتوس أن يذهبا معه لمقابلة كرومويل ، ولكنهما أصرا على
ليداع أسيريهما الفرنسيين الذين تجاهلا أنهما يعرفانها ، في مسكنهما بالمدينة قبل ذلك ،
ورفضا تسليمهما لموردانت الذي تمهد بحراستهما . فأشار موردانت إلى جاويش أن يتبهم
ليخبره بمكانهم . ورأى دارتانيان هذه الاشارة وفتطن الى مغزاها

وفي هذه الأثناء كان الملك قد رأى نفسه وحيداً فترجل عن جواده ومشى ببطء الى
أن رأى جثة ونتر ، فأنحنى وقبله ، ثم استرد نيشان الروح القدس وقبمته المزخرفة ،
وخطب كولونيل الفرقة قائلاً :

— هيا أيها السادة إلى حيث تريدون

— سيفك

فجرد الملك سيفه وكسره على ركبته

وأسرع موردانت بعد ذلك إلى الربوة التي وقف فوقها كرومويل فأبلغه تطورات
المركة ، بما فيها مصرع عمه بيده ، ثم أسر الملك . فأبدي كرومويل سروره من
شجاعته ، وإن يجب في نفسه لمدم تأثره بمقتل عمه بيده ، فقال موردانت :

— لقد حان الوقت يا سيدي لكي تكافئني على كل ما أدبت من خدمات هنا وفي

فرنسا . فهل تحبيني إلى طلبي يا سيدي ؟

— ما هو الطلب أولاً ؟

— هناك أسيران أريد أن تهبني إليهما

— هما لك . ولست أريد معرفة اسميهما ، فنصرف في أمرهما بما تراه
— شكراً لك يا سيدي ، وسأظل ظهير ذلك الجميل لدينا لك مدى الحياة ، وحتى لو
بذلت حياتي في خدمتك لما عظم ذلك جزاء على هذه المنة العظيمة



وفي هذه الأثناء كان دارتانيان وبورتوس قد وصلا بأسيريهما إلى مقرهما الخاص في
مدينة نيوكاسل . وهو منزل مزودة نوافذه الأرضية بقضبان كقضبان السجون ، على
ناصية شارع ، وبه حديقة واسطبل . فلما دخل الأربعة البيت ، استقر الجاويش الذي
أرسله موردانت وراءهم في الحديقة الصغيرة مع أتباعه ، قائلاً لآتوس :

— لقد تلقينا أمراً بمساعدتكما في حراسة السجينين

فلما أغلق الباب على الأصدقاء الأربعة راحوا يتبادلون العناق والقبلات ، وكل فريق
من الفريقين يعجب لتلك الصدفة الغريبة ، ويستغرب وجود الفريق الآخر في إنجلترا ، ثم
تبادلوا أسرار الحوادث التي دفعت بكل فريق من الفريقين في ذلك الاتجاه . وراح آتوس
وأراميس يمتنان على دارتانيان وبورتوس أنهما رضيا أن يحاربا قضية الملك وهما النبيلان
الشريفان ، وهو رأس الأشراف

ثم انقلب الحديث بعد ذلك إلى المستقبل ، وإلى وجود موردانت بن ميايدي عدوهم
اللذود معهم في مدينة واحدة ، وما في ذلك من خطر لو عرف حقيقة شخصيتهم
وفي هذه اللحظة صاح آتوس :

— ها هو موردانت مقبلاً يمدو نحونا

فخرج دارتانيان من البيت لمقابلته ، بعد أن حذر آتوس وأراميس من إظهار أي شيء
ينم على أشخاصهم أو سبق تعارفهم ، وطلب اليهم ألا يخرجوا من الغرفة إلا إذا سمعوه
ينقر بأصابعه على الباب تقرأ موسيقياً متفقاً عاياً



وجد موردانت دارتانيان واقفاً أمام البيت ، والجنود منبطحين على الأرض ، فأمر أربعة
منهم بالتأهب للسير بالأسيرين ، فنصدى له دارتانيان متنجباً من ذلك التصرف مع أن الأسيرين
أسيراه هو وصاحبه بورتوس ، فقال له موردانت إن الجنرال كرومويل قد أعم عليه بهما ،
فلم يستطع دارتانيان أن يتحدى إرادة القائد العام ، وآثر استعمال الخيلة ، فصالب موردانت
بإبراز أمر كتابي بتوقيع كرومويل ، ولمح له إلى أن الأسيرين من أغني أبناء البيوتات في
فرنسا وفديتهما ضخمة ، قد تكفي لاثراء رجل فقير مثله ، ذلك أن زميله دي فالون ترى
وقد تنازل له عن نصيبه من القديفة . فلم يمانع موردانت في العودة لاحضار أمر كتابي من

كرومويل ، وإحضار ألفي ريال تمويلاً عن فدية الأسيرين
وانصرف مورديان على أن يعود بعد نصف ساعة بعد أن شدد الأوامر على الحراس ،
فأسرع دارتانيان بتكليف بورتوس بالتوجه إلى الاسطبل حيث يجد موسكيتين فيسرجان
خسة خيول ، ويضعان عليها الذخيرة والسلاح ، ويقفان بها في الشارع الجانبي في انتظار تمام
العملية . ثم دخل دارتانيان إلى الحجر التي فيها آتوس وأراميس ، فأخبرهما أنه قد اعتم
الفرار معهما والعودة إلى فرنسا للانضمام إلى الأمرء ضد مازاران . فأخذ كل منهما سيفه ،
ثم طلب اليهما أن يكونا على تمام الأهبة ، للخروج والقفز فوق ظهور الخيل حين يطلق
الإشارة المنفق عليها « بحق السماء »

وأسرع دارتانيان بالخروج وهو يصفر بغمه ، ثم قال للجوايش قائد الحراس أنه ذاهب
لمقابلة الجنرال كرومويل ، وأوصاه بالانتباه للأسيرين . ثم خرج إلى الشارع فوجد بورتوس
وأقفاً مع موسكيتين والخيول الخمسة على أتم استعداد ، فركب جواده ثم وقف به أمام باب
البيت ، وأخرج فداحته فأشعل بها قطعة من الصوفان كبيرة ، ثم تحرى أن يقف بجواده
في وسط الجنود ، وحينئذ وضع الصوفان المشتعل في أذن الجواد ، وثبت نفسه جيداً فوق
السرّج ، فإذا بالحصان يشب على قائمتيه الخلفيتين وهو في درجة من الهياج كبيرة ، وراح
يصهّن ويرفس كالجنون ، فأسرع المسافر بالابتعاد خائفين ، وراح دارتانيان يصيح :
— أدركوني ، أغيبوني ، لقد جن الحصان ، سيقتلني الملعون ، أدركوني ، بحق السماء !
وما نطق الكلمة الأخيرة حتى انطلق الفارسان أراميس وآتوس من الباب كالثقلين وفي
يديهما السيوف مشرعة ، ورأهما الجوايش فجعل يصيح ، فأسرع الجنود إلى أسلحتهم ،
ولكن بعد فوات الأوان لأن الأسيرين كانا قد انطلقا مع صاحبيهما يسابقون الريح حتى
خرج الجميع سالبين من باب المدينة ، ومعهم جرعو الذي لقيهم في الطريق وكان ذاهباً إلى
البيت فأسرع وراءه .



توقف الفارسان الأربعة حين استشعروا الأمن إيتشاوروا في خطتهم ، فأقترح دارتانيان
أن يتجهوا إلى أقرب مرفأ كي يبحروا إلى فرنسا ، ووافق بورتوس على ذلك ، بيد أن آتوس
وأراميس رفضا العودة إلى الوطن وقررا البقاء في إنجلترا لمحاولة إنقاذ الملك ، وعبئاً على
دارتانيان وبورتوس هذا الرأي ، فان تصميه صاحبيهما على إرضاء ضميرهما والوفاء بوعدهما
الملك هنرييت كان راسخاً كالجبال ، فلم يسمع دارتانيان وبورتوس إلا أن يقررا السكن
معهما فيما انتصروا معاً أو هلكوا معاً ، وقد تأثر الصديقان لذلك الوفاء الجميل ، وعانق
آتوس دارتانيان شاكراً ، أما بورتوس فانه جعل يفرك يديه ثم قال :

— لقد اتفقنا على خطة المستقبل . ولكن الأهم أن نبعث عن شيء تقنيات به ؟
ثم اتجه العملاق إلى خادمه السمين موسكيتين الذي كان أشد الجميع عذاباً بخلاء معدته ،
فأنتى بأنه لا توجد مطاعم قريبة ، ولكنه يبع على طرف الغابة منزلاً صغيراً
ووجدوا حينما اقتربوا من البيت آثار جياد كثيرة ، مما دفعهم على أن الفرقة التي تحرس
الملك الأسير في طريقه إلى لندن قد مرت بالبيت ونزلت به ، فنشاءموا لأنهم قدروا أن الجنود
قد أتوا على كل ما يصلح للاكل . بيد أن دارتانيان قرر المدخول ، وفعلاً دخل وحده ليكتشف ،
وكان الباب مفتوحاً ولم يجب نداءه المتكرر أحد ، فراحه حين وصل إلى غرفة داخلية ، أن
يرى شخصاً غارقاً في بركة من الدماء . فصرخ دارتانيان دهشة ، وأسرع إليه زملاؤه
وارتاعوا كما ارتاع ، وانكسرتهم لم يلبثوا ان اطمأنوا حين فتحت الجري عينييه وحدث فيهم فرعاً ،
ثم هدأ واطمأن حين علم أنهم من أنصار الملك ، وصرح لهم بأنه شقيق «باري» وصيف
الملك الخامس ، وأن الملك الأسير قد نزل بالبيت للعداء بإشارة من باري ، فوضعه في هذه
الغرفة الداخلية مع وصيفه ووقفوا لحراسته في الدهليز ، كي تكون له الحرية الكاملة
أثناء الطعام

— وكان باري يعلم أن في هذه الغرفة سرداباً سرياً يضلها بالكهف في أسفل المنزل ،
فأشار إلى فذهبت إلى الكهف ودخلت السرداب السري ، حتى رفعت جزءاً من بلاط
الحجرة برأسي وأسرت إلى الملك ، بينما عمد أخى إلى الباب فأقلعه بالزلاج ، فجاء الملك
ومشيت أمامه لأدله على الطريق ، وإذا بي أفاجأ بشخص يعترضني ويضربني على أم رأسي هذه
الضربة فأغمى على ، ولما أفتت كان الجميع قد رحلوا ، ولما هم فطنوا أنى مت ، فزحفت حتى
وصلت إلى هنا ففتش على ثابتي ، إلى أن حضرتم

وأسرع جريمو فضمد جرح هذا المسكين الذي نجم عن ضربة بقبضة غدارة في مؤخرة
الجمجمة ، ثم انصرفوا بعد ذلك دون أن يصيبوا من الطعام شيئاً ، وتشااوروا مرة أخرى
فاتفق رأيهم على الذهاب إلى لندن حيث يبدلون ثيابهم فتضيع معالمهم في المدينة الكبيرة ،
وانفقوا على أن يجتهدوا في اللحاق بالسرية التي تحرس الملك ، حتى يكون السير مأموناً ،
والطعام مضموناً ، وعلى أن يتظاهروا آتوس وأراميس بأنهما أسيران في يد دارتانيان
وبورتوس ، لأن الأخيرين معروفان لدى ضباط كرومويل أنها مندوبان فوق العادة لوزير
فرنسا مازاران ، فهما لهذا السبب محل رعاية واحترام

وأسرعوا في السير حتى أدركوا ضالهم ، فرحب بهم الكولونيل هاريسون قائد الكتيبة
المسكفة بحراسة الملك ، أما الملك نفسه فلما رأى آتوس وأراميس توردت وجنتاه أنساً
نهما وهو في هذا الموقف الضناك . أما دارتانيان فإنه أسرع إلى جوار الكولونيل هاريسون

الذى رحب به كل الترحيب ، ثم لم يلبث الركب أن توقف عن السير كي يتناول الملك عشاءه .
ولكن الاحتياطات في هذه المرة كانت مشددة ، فوضعت في قاعة الطعام الكبيرة بالخان
الذى نزلوا فيه مائدة صغيرة يتناول عليها الملك طعامه ، كما وضعت أمامه مائدة كبيرة لضباط ،
ودعا الكولونيل هاريسون دارتانيان وبورتوس وأسيريهما - اللذين دعاها لشرف محتهما -
ليتناولوا الطعام معه ، بيد أن دارتانيان اعتذر بضيق المكان ، وطلب أن تعد لهم مائدة
ثالثة صغيرة في نفس الحجرة ، فأجيب إلى طلبه في الحال . وراح دارتانيان أثناء الطعام يصف
كيف نزلوا بالبيت الذى حدثت فيه محاولة الهرب ، ثم أطرى الضربة الماهرة التى وجد أثرها
في حجمة صاحب البيت فكان ذلك فاتحة للتعرف بالكابتن جروسو الذى ظن نفسه قد قتل
الرجل ، فخرس دارتانيان على أن يقول ان الرجل لم يموت وإن كان قد نجا من الموت بأعجوبة .
فكانت هذه بشرى لبارى وصيف الملك بأن أخاه نجى

وختم دارتانيان المأدبة بأن رفع كأسه وشرب نخب رئيس الحفلة معلناً انه وإخوانه
يعتبرون أنفسهم في خدمته هنا وفي لندن وإلى الأبد . وظن الكولونيل ان هذه التحية
موجهة له لكن الملك أدرك انه المقصود بها ، وان الفرسان الأربعة قد قرروا محاولة لإقاده
فلما استأنفوا السير ، راح دارتانيان يكدح ذهنه للوصول إلى وسيلة بارعة كفيلة بإقاد
الملك الأسير من بين أيدي حراسه الكثيرين

وكانت وجهة الركب بلدة تريبسك ، حيث يقضون الليلة ، فكانت هذه الليلة أقل الليالى
حظاً من النعاس بالنسبة لدارتانيان ، لانشفاله بإيجاد هذه الوسيلة التى عقد زملاؤه آمالهم
عليها ، ولكن أنوار الفجر حملت إليه الإلهام

لم يعرف دارتانيان طعم النوم ولكن ما كادت تهدو أول تباشير النهار حتى أسرع إلى
زيارة الجياد في الاسطبل واعطاء الأوامر للخدم لذلك اليوم ، حتى إذا كانت الساعة الثامنة
بدأ السير ، على نفس نظام اليوم السابق ، بيد أن دارتانيان ترك زملاءه ومضى إلى الكابتن
جروسو ليعقد معه أوامر الصداقة التى بدأت بالأمس وقد وجد أن خير طريقة لكسب
مودته أن يكيل له المديح على قوته وشجاعته ، ومعرفته للغة الفرنسية على وجه الخصوص .
فاطمأن الرجل إليه وراح يحكى له كيف عاش ست سنوات في باريس عند وكيل والده
التجارى في العاصمة الفرنسية ، ثم تطرق الكلام إلى الملك وكيف سيحاكم في لندن ثم يعدم .
فقال دارتانيان :

— ياله من صيد سمين ، لا أحسبك تغفل عنه ليلاً أو نهاراً . وإن كنت أحسب أن
الحراسة بالليل أشق ، وفرس الافلات منها أكثر
— كلا ، فالاحتياطات في الليل مضاعفة : إذ يلزم ستة رجال حجرة الملك باستمرار

— هذا عظيم . ولا شك أيضاً أن في خارج الحجرة حرساً آخر كبير العدد

— وماذا يستطيع رجلان أعزلان لثمانية رجال مسلحين ؟

— رجلان ؟

— نعم ، الملك ووصيفه هارى الذى يصر الملك على ملازمته له ، إذ يبدو أن اللوك قد

فقدوا بالعادة الدزاية باللبس والحلج بغير مساعدة كالأطفال

— ياله من عمل شاق لك . لقد كنت أنا في فرنسا قبل حضوري مباشرة إلى إنجلترا

مكلفاً بحراسة ملكنا الصغير في بعض الرحلات لمدة ثلاثة أيام . ولكنها كانت أياماً لذيذة

للافاية لم أشعر فيها بأى تعب ، ولا سيما في الليل

— لا بد إذن أن الملك كان مسامراً ظريفاً

— الملك ؟ لقد كان طفلاً ينام نوما عميقاً من أول الليل إلى آخره . فكنت أنا وزملائي

الضباط الذين ليست عليهم النوبة نتسامر ، فيأتون إلى حجرة الحرس المفضية إلى حجرة الملك ،

ويسهرون معي فنشرب ونلعب القمار ونحمن في غاية الطرب حتى الصباح ، فهل تريد ليالى

مفرحة بهيجة أكثر من هذه؟ أما أنت يا صاحبي فما أظنك الا تنفق ليالى الحراسة في التبرم والسأم

— لك حق . وأنا في الواقع أنظر بين القلق إلى اقتراب دورى في الحراسة الليلية

بفرقة الملك . فما رأيك أن تأتى لتسهر معي في نوبة حراستى ليلة غد ؟

— في حراسة الملك ؟ هذا مستحيل . ثم انى مرتبط بتسليّة زميلى دى فالون بمشاركته

اللعب ، فاننا نلعب أحيانا حتى الصباح

— هات صديقك معك

— واسيرانا ؟

— اتركهما لحراسة الخدم

— كى يهربا ؟ كلا ياسيدى

— هما إذن من ذوى الحيثية حتى انك حريص على عدم هربهما ؟

— انهما ينتسبان إلى أغنى وأعرق الأسر في فرنسا

— اذن هاتهما معك أيضاً ، فنلعب نخستنا معاً ويكون السرور أتم . وخصص من

الحراس الثمانية أربعة لحراسة أسيريك ، ويكفى لحراسة الملك الأربعة الآخرون

ولم يبادر دارتانيان بالقبول متظاهراً بأنه لا يريد احراج صديقه جروسلو ، ولم يقبل

الدعوة إلا بعد الحاح من الضابط الانجليزى ، وبعد أن اشترط عليه أن يأتى هو للسهر معه

ومع زملائه الثلاثة هذه الليلة نفسها ، لتزداد الألفة ويكون موضع ثقة جروسلو التامة

حين يذهب مع زملائه للعب معه في حجرة الملك

وكانت حفاوة دارتانيان بجروسلو في تلك الليلة عظيمة بحيث شعر بأنس بين الكاس
واللعب والنكات لم يشعر بمثله منذ غادر باريس . وقد تعمد دارتانيان أن يتأخر في الليلة
التالية عمداً عن تلبية الدعوة للسهر مع جروسلو في حجرة الملك حتى يبعث اليه خادمه يستعجله ،
لكي ينفي من ذهنه جميع شوائب الشك



واستقروا للعب في الحجرة المفضية إلى حجرة الملك ، وجلس جروسلو في مواجهة
الباب ، بحيث تقع عينه على الملك من خلال فتحة . ثم استنار دارتانيان حماسته بأن أخرج
كومة من الذهب في قبضة يده ، فقسم جروسلو الحرس بأن جعل أربعة من الثمانية داخل
حجرة الملك واثنين على الباب المتوسط بين الحجرتين والاثنين الباقين على باب الحجرة الأولى
التي جلسوا فيها للمقامرة

وأتلج صدورهم أن يروا الملك نائماً بملابسه كاملة وحنذاته الطويل ، ولحوا علام
الابتهاج الخفيف تبدو على محياه النبيل حين رآهم
وبعد أن بدأ اللعب بقليل ، وقد تجروا أن يكسب جروسلو معظم الأدوار ، سمع في
الخارج مع دقائق الساعة العاشرة صوت نوبة الطواف لتبديل الحرس والتام ، فسأل دارتانيان
بلهجة من يسأل سؤالاً عارضاً : « كم من الوقت يمضي بين النوبة والنوبة ؟ »
— ساعتان فقط

فتبادل دارتانيان الإشارة بركبته مع بورتوس وأراميس اللذين كانا إلى جانبيه ، أما
آتوس فتمز له باحدى عينيه ، وكانت العلامة المتفق عليها أن يصبح دارتانيان بكلمة (أخيراً)
وكانت حماسة اللعب قد لفتت أنظار الحراس فخرجوا من حجرة الملك وتركوا مواضعهم
ووقفوا حول المائدة يتفرجون باهتمام . فأظهر دارتانيان بعض التذمر من مخالفة الحظ للضابط
الانجليزى ، وقال وهو يخرج من جيبه عشرين ريالاً :
— لنلعب دوراً أخيراً ، بهذه العشرين ريالاً

فقبل جروسلو ، ودارت الأوراق فاذا دارتانيان يربح في هذه المرة ، فصاح : « أخيراً ! »
فنهض آتوس وأراميس وتراجع بورتوس إلى الوراء خطوة وأوشكت السيوف والخناجر
أن تخرج من أعناقها لتم المذبحة ويفلتوا بالملك من الأسر ، وفي هذه اللحظة بالضبط فتح
الباب الخارجى فجأة وبدا على عتبة الكولونيل هاريسون بنفسه وإلى جواره رجل ملفف
بعباءة فضفاضة ومن خلفه ستة جنود مسلحين بالبنادق . فنهض جروسلو مرتبكاً من منظر
زجاجات الخمر والورق وما في ذلك من اعمال في أداء الواجب . بيد أن هاريسون لم يلتفت
لشيء من ذلك بل أتجه توأماً مع مرافقه إلى حجرة الملك ، فخاطبه قائلاً :

— شارل ستيوارت . لقد وصل الآن الأمر من لندن أن تحمل إلى هناك بغير توقف ليلاً أو نهراً ، فاستعد للسفر في هذه اللحظة . وهذا هو السيد موردينت يحمل بنفسه رسالة الجنرال كرومويل التي عهد اليه بتنفيذها بنفسه

فتناقل الفرسان الأربعة النظرات ، ثم اتهمز دارتانيان فرصة الارتباك وجمع في جيبه الواسع كل ما كان على المائدة من النقود التي كان قد خسرها هو وبورتوس ، وهم الأربعة بمغادرة البيت ، لولا أن موردينت التفت وراهم فصاح :

— يا كولونيل هاريسون ، مر بمحاصرة هؤلاء الفرنسيين الأربعة ، فقد هربوا من نيوكاسل ولا شك أن نيتهم متجهة لتخليص الملك فامتشق دارتانيان حسامه وزعق فيه زعفة عظيمة قائلاً :

— أيها الشاب: هذه أوامر اسداها أسهل كثيراً من تنفيذها . أيها الرفاق. انسحاب! ثم دار بسيفه فرسم به نصف دائرة بحيث تراجع جميع العساكر مبهوتين بعيداً عن متناول هذا السيف ، وكان الباب خلفهم فتسللوا منه وقفزوا إلى ظهور الجياد ، وتبعهم بضع طلقات نارية خائبة ، ولكنهم كانوا يسابقون الريح إلى خارج منعطفة الخطر ، ثم اختفوا تحت قنطرة ريثما مر المصاردون ، فخرجوا وسلكوا طريقاً مضاداً



mersalli

اعدام الملك شارل

وفي الطريق إلى لندن زاد تصميم الفرسان الأربعة على تكرار المحاولة لاقتاد الملك البائس من مصيره المشوم ، وأن يبذلوا الجهد كذلك لتصفية الحساب مع موردانت . فلما دخلوا المدينة الكبيرة اتجهوا إلى الفندق الذي كان دارتانيان وبورتوس قد نزلا به عند حضورهما من فرنسا مع موردانت ، وهناك بدلوا ملابسهم وارتدوا ثياب التجار الانجليز ، ثم أقصوا شعورهم الطويلة لبدءوا في صورة التطهرين الانجليز (البيوريتان) ، ثم أسرعوها ليشاهدوا موكب دخول الملك إلى العاصمة . فوجدوا أنه قد سبقهم إلى دخولها بساعات ثم طاف النادون في اليوم التالي يعلنون على الملأ أن البرلمان قد حاكم شارل ستيوارت بتهمة سوء استغلال النفوذ والعبث بالسلطة ، وحكم عليه بالاعدام

وكان الملك محبوساً في الهوايت هول ، ممتداً برأسه على ذراعه ، يتغرس في صورتين لامرأته وابنته ، في انتظار وصول الأسقف جاكسون . وقد وقف بالقرب من الملك وصيفه الحاس باري الذي لم يكف من البكاء منذ صدور ذلك الحكم الجائر . وكان الليل قد خيم ولا يبدد ظلام الحجر إلا شمعتين . ثم سمعت في الدهائز الخارجي خطوات ، وفتح الباب على ضوء مشاعل يتصاعد منها الدخان ليدخل كاهن مهيب عليه شارات الأسقفية ، يتبعه حارسان ، فأشار شارل بيده إلى الحارسين فتركا الحجره بمشعلهما فعادت إلى عنتها الأول ثم صاح الملك : « جاكسون ! شكراً لك يا صديقي الأخير ، فقد وصلت في الوقت المناسب » فألقى الكاهن نظرة ارتباب على ذلك الرجل الذي وقف يبكي في الركن ، فقال الملك :

— لا تبك يا باري ، فقد جاءتنا نعمة الرب ونغزية السماء

فقال الأسقف :

— إذا كان هذا هو باري ، فلا خوف من جهته وبحق لي الآن أن أصرح بجلالكم

بمحققة شخصي والفرس من حضوري

فتنبه الملك ، وأوشك أن يصيح من فرط الدهشة ، لولا أن وضع أراميس سبابته على

شفتيه وانحنى طويلاً لتحية الملك الذي قال :

— أهذا أنت يا شيفالييه دربلاي ؟

— أجل يا مولاي أنا هو الأسقف جاكسون فارس الكنيسة المحلص وقد حضرت لحدمة جلالتم روحياً

— ولكن هل تعلم يا صديقي أنه ليس أمامكم دقيقة واحدة تضيعونها إذا كنتم مصممين على النجاح ، فوعد التنفيذ هو الساعة العاشرة من صباح الغد ؟

— اعلم هذا يا مولاي ، ولكن سيحدث في هذه الأثناء ما يجعل التنفيذ مستحيلاً

وفي هذه اللحظة حدثت ضجة شديدة تحت نافذة الملك ، فقال : « أسمع ؟ »

— مولاي ، في وسعهم أن يشيدوا منصة الاعدام ، ولكنهم لن يستطيعوا تنفيذه .

ففي هذه الساعة يا مولاي قد تم اختطاف جلاد لندن بالاتفاق معه نظير رشوة كبيرة ، ولن يجدوا له أثراً هو أو مساعده ساعة التنفيذ ، فيضطروا إلى التأجيل إلى بعد غد ، وغداً

مساء سنقوم باختطاف جلالتم

— مرحى ! ولكن خبرني كيف سيكون ذلك حتى أساعدكم بقدر طاقتي ؟

— لا أعلم لي بالتفاصيل يا مولاي ، ولكن كل ما أعلمه أن أذ كانوا فؤاداً وأنبئتنا جنائناً

وأشجعنا روحاً قال لي : « أبلغ جلالة الملك يا شيفالييه أننا سنختطف جلالته غداً في الساعة

السادسة » ، وإذا قال دارتانيان فعل



وأسرع أراميس في عربة الأسقفية إلى دار الأسقف جاكسون فطمأنه بنجاح الخيلة ،

ثم انفق معه على أن يرتدى ثياب الكاهن المساعد عندما يزور الأسقف الحقيقي الملك لتناق

اعترافه الأخير غداً صباحاً

وكان آتوس من جهته قد انفق مع ربان سفينة شراعية صغيرة يسيرها أربعة بحارة على

أن تظل يومين وليلتين في انتظارهم عند جريشش للبحار بهم وبالملك إلى فرنسا خلسة .

واسم هذه السفينة « البرق » ، والعلامة المنفق عليها منديل ممعود من أطرافه الأربعة

أما دارتانيان فتمكن من اغواء الجلاد ومساعده ، وجسبهما تحت كهف المنزل تحت

حراسة موسكيتن المسلحة . واستخرج منه ورقة بتوكيل حاملها بدل مساعد الجلاد في

تنسيق منصة الاعدام ، لأن المساعد الأصلي أصيب بشرخ في عظمة الساق

وعلى هذا صحت النية على أن يقوم آتوس بدور مساعد الجلاد وأن يقوم الزملاء الثلاثة

بدور العمال ، وبذلك يتسنى لهم اعداد الخطة اللازمة لتهرب الملك وتنفيذها



وقرب منتصف الليل سمع شارل ضجة عظيمة تحت نافذته ودقات متوالية بالمطارق

وأصوات مناشير ، الأمر الذي أزعجه كثيراً ، فأرسل وصيفه الحامس بارى إلى الديدبان

كى يتوجه بالرجاء الى العمال أن يقللوا من ضجرتهم أثناء العمل رافة بالرجل الذى كان ملكهم
ربع قرن وبعضى الآن تحت رحمتهم لينتبه الأخيرة
ولم يقبل الديدبان أن يغادر مكان حراسته ، بيد أنه سمح لبارى بالمرور للتفاهم مع العمال
من الشرفة ذات القضبان الحديدية . فقال هم :

— أيها الرفاق ، هل نسك في العرام بعض الهدوم أثناء العمل ؟ فان الملك فى حاجة إلى
نصيب من العاس فى هذه الليلة الأخيرة

فرغم رئيس العمال ، معاون الجلاد المزعوم آتوس رأسه وقال :

— قل للملك إنه إذا لم يستطع النوم هذه الليلة ، فسينام نوماً عميقاً فى الليلة الآتية !
فضج جميع العمال بالضحك لهذا النهك ، أما بارى فانسحب وهو يحسب نفسه فى حلم ،
لأنه عرف فى العمال الأربعة الفرسان الأربعة . وكان فرح الملك عظيماً بهذا النبأ ، ولاسيما
بعد أن أنباء بارى بأنه لاحظ أن آتوس يتقب الجدار من أسفل الحجره ، بعد أن أقام
المنصة من طابقين ، وقد غطيت واجهتها بستارة كبيرة تخفى ما يحدث فى الطابق الأوسط
من المنصة ، حيث يعمل آتوس وزملاؤه بمهارة عظيمة ونشاط

وكان الثقب فى الواقع يوصل إلى طابق مسجور غير مستعمل تحت الغرفة ، وكان على
بورتوس العملاق أن يجتهد فى رفع جزء من أرض الغرفة ، لىكى يتمكن الملك من المرور
منه ، حيث يلبسونه بدلة أحد العمال ، ثم ينزل كأنه واحد منهم من الطابق الأوسط لمنصة
الاعدام دون أن تلفت إليه الأنظار ، ومن هناك يسرعون إلى السفينة التى تنتظرهم فى جرينتش
وعند انبثاق أولى أشعة الصباح كان الثقب قد تم العمل فيه ، فدخل من خلاله آتوس
ومعه ملابس الملك التسكرية ، ثم قام بورتوس بتغطية الثقب بستارة تخفيه عن الأنظار .
وبقى أمام آتوس ساعتان من العمل المتواصل لرفع جزء من أرضية غرفة الملك الخشبية .
وكان مطمئناً لانساع الوقت اعتماداً على أن التنفيذ سيؤجل يوماً لاختطاف الجلاد
أما أراميس فتوجه منذ الصباح إلى دار الأسقف جاكسون واستعد للذهاب معه بدفته
مساعداً كهنتوتيا لتلقى اعتراف الملك الأخير فى هوايت هول

ووجدا الملك عند وصولهما فى حالة معنوية عالية ، وتمهد الأسقف الحقيقى جاكسون أن
يتكلم بصوت مرتفع عن مقابله الملك بالأمس ، نفيًا للشبهة عن أراميس ، وراح الملك
يجيب بأن حديث سيادة الأسقف فى اليوم السابق ملاً روحه اطمئناناً وبدد أحزانه . ثم طلب
من الحراس الانصراف لأنه يريد الادلاء باعترافه ، فلما خرجوا وأقفل الباب شرح
أراميس الملك بسرعة الحطة الرسومة . وكيف أنه لا يوجد جلاد فى أقرب مدينة من
لندن إلا فى بريستول ، وأن إحضاره من هناك يستغرق يوماً كاملاً على الأقل ، ثم طلب

إلى الملك أن ينقر أرض الغرفة بحديدة المدفأة ثلاث مرات ، ففعل الملك ، وإذا به يتلقى رد آتوس من أسفل . ثم ناول أراميس الملك خنجراً ، فأعطاه لبارى كي يساعد آتوس عند اللزوم في رفع جزء من أرض الغرفة بازاحة الأتربة المتراكمة بين الألواح الحشبية

وفيا هم آخذون في ذلك الحديث مطمئين ، سمعت أصوات أقدام ثقيلة منتظمة تصعد السلم وتقرب من باب الغرفة فتطرقه بشدة . وفتح الباب فظهر صفان من الجنود في الدهليز ثم دخل مندوب البرلمان فبسط أمامه ورقة وتلا على الملك حكم الاعداء ، كما هو متبع في ساعة التنفيذ . وتبادل الأسقف وأراميس نظرات الاستغراب ، وقال الملك في دهشة :

— اليوم إذن هو الموعد ؟

— ألم تكن تعلم ذلك يا مولاي ؟

— وهل ينفذ الحكم في كما ينفذ في المجرمين العاديين ، بيد جلاد لندن ؟

— لقد اختفى جلاد لندن يا مولاي ولم نعلم له على أثر ، ولكن تقدم ليقوم مقامه

رجل خبير بالموضوع ، وعلى هذا لن يتأخر التنفيذ إلا ريثما تتون واجباتكم الدينية ، وتناول آخر طلباتكم الدينية

وكانت بضع قطرات من العرق على جبين الملك هي كل ماظهر عليه من علامات التأثر أما أراميس فاكفهر وجهه وكاد يكف قلبه عن الحفقتان . ولاحظ الملك اضطرابه فجعل يسرى عنه ، ثم التفت إلى مندوب البرلمان وقال :

— انى على أتم استمداد ، ولا أطلب إلا شيئين لا يستغرقان كثيراً من الوقت فيما أعتقد : أولاً أن أعترف وأتناول الأسرار المقدسة ، وثانياً أن أقبل ابني وابنتي وأودعهما الوداع الأخير

— حباً وكرامة يا مولاي

وكان منظر الوداع أليماً ، حتى لقد اضطرب الأسقف جاكسون إلى انتزاع العنق من أحضان والدهما انتزاعاً فأسلههما إلى القاعين على شئونهما ، ثم فتح الباب على مصراعيه ليدخله جمع كبير من الحراس

وتذكر الملك أن السكونت دى لافير (آتوس) يربض تحت قدميه في انتظار الإشارة وخشى أن تحدث من السكونت أى حركة تدل على وجوده هناك ، لهذا سكن سكوتنا تاماً

والواقع أن آتوس كان يرصد الحركات ، فلما سمع فوق رأسه صوت كل هذه الأقدام . انتفض رعباً ، وأمثل من ستارة المنصة فرأى الليدان مزدحماً بجنود وفرسان من ورأهم جمع غفير من الشعب ، ولمح دارتانيان في الصفوف الأولى ، وقد تعافت جميع الانظار بالمنصة ، نظراً بباله أن الجلاد أقات من حراسة دارتانيان ، وتأكد لديه هذا الحاضر حين سمع دقات

الطبول في الميدان تعزف عزفا جنائزياً ، ثم سمع فوق رأسه ، في الطابق العلوي من المنصة
وقع أقدام كثيرة جداً تسير ببطء حتى لقد تقعرت الألواح الخشبية تحت هذا الثقل الهائل
وساد الصمت في الميدان ، وتعلقت جميع الأنظار بناقذة البناء ، ثم سمع صوتاً يعرفه
جيداً ، هو صوت الملك يخاطب قائد الحراس :

— أريد أيها الكولونيل أن أتحدث إلى الشعب !

فنضح العرق على جبين آتوس ، ثم رأى رجلاً ربيعة القوام على وجهه قناع أسود تبدو
منه شعرات لحية مديبة وخطها الشيب يتقدم في صمت وفي يده بلاطة الاعداء ، حتى إذا بلغ
المنطق المنصوب فوق المنصة ألقى بالبلاطة إلى جواره . ثم تقدم نحو المنطق ذلك الملك المنكود
يسير بين رجلين من رجال الدين ومن خلفهم الضباط المكافون بالاشراف على التنفيذ

وسرت بين الناس مهمة عالية عندما رأوا ذلك الرجل المقتنع ، فقد اشتاق كل منهم أن
يعرف من هو ذلك الشخص الغريب الذي تقدم فجأة ليقوم بدور الجلاد . ولكن الانتباه
لم يلبث أن تحول من الرجل المقتنع إلى الملك نفسه ، لما تميز به من هدوء في مواجهة الموت ،
وقد أتاح ذلك الصمت والانتباه أن يسمع الجميع في الميدان صوته الثابت الثبات وهو
يطلب أن يتحدث إلى الشعب الذي ظل ملكاً عليه ربع قرن من الزمان

وأجاب الكولونيل رغبة الملك بإعادة من رأسه ، فراح الملك يتحدث إلى الشعب في
هدوء مفسراً أنه مسلكه ، ومبيناً له مصالح بريطانيا العليا مطالباً الشعب بالحرس على تلك
المصالح مهما كانت الأحوال . ثم سمعت حركة خفيفة تصدر عن احتكاك البلاطة بالنطق ،
وقد راح الجلاد يديرها بين أصابعه ، فقطع الملك خطبته الهادئة ونظر إلى الرجل
المقتنع وقال : « دع البلاطة ولا تلمسها بيديك »

ثم استأنف الحديث من حيث قطعه بكل هدوء كأن شيئاً لم يحدث ، حتى أنه ،
وعندئذ أجال في الجمهور المحشد نظرة ثابتة وادعة ، ثم نزع الوشاح الذي كان يزين به
صدره فأعطاه إلى مساعد الأسقف (أراميس) ، ثم أخرج من صدره صليباً من اللباس
كان هدية من زوجته شأنه شأن الوشاح المرصع ثم قال لذلك الكاهن أيضاً :

— سأبقى هذا الصليب في يدي حتى اللحظة الأخيرة ، وعليك أن تأخذه منها بعد
أن أموت

وبعد ذلك نزع قميصه فألقاها جانباً ، ثم راح بأصابع ثابتة يفك أزرار صدره واحداً
واحداً ، ثم خامه وألقاه إلى جانب القبة وبقى بالقميص وحده . ولما كان الجو بارداً ،
وهو لا يريد أن يرتعد في لحظة الأخيرة رعدت قد تؤول على أنها رعدة الخوف ، فقد
طلب رداء الحجارة (الروب دي شامبر) فارتداه فوق القميص . ثم جمع شعره بين يديه
ورفعه إلى أعلى وذل للجلاد :

— أتمتقد أن في وسعك أن تفصل رأسي بضربة واحدة ؟

— أرجو هذا

— هذا حسن . والآن اسمع أيها الجلاد !

فتقدم الجلاد منه خطوة واعتمد على بلطته ، واستطرد الملك :

— لا أريد أن تفاجئني ، فاني سأركع وأصلي . فلا تضرب وأنا أصلي

— ومتى أضرب إذن ؟

— عندما أضغ عنقي فوق النطع وأمد ذراعي قائلاً : « تذكر » ، حينئذ اضرب

بعزم وقوة

فأوماً الرجل المقنع برأسه موافقاً ، ونظر الملك إلى أراميس نظرة خاصة ، ثم قال :

— والآن ابتمدوا جميعاً ودعوني أتلو صلاتي . وابتعد أنت أيضاً أيها الجلاد ، فلن أستمهلك إلا لحظة قصيرة ، فإني أعلم أنني لك ، ولكن إياك أن تضرب إلا عندما أقول:

تذكر

وركع الملك شارل فرسم علامة الصليب وقرب فمه من فرجة بين ألواح أرض المنصة

وقد وضع إحدى راحتيه على الأرض والأخرى فوق النطع وقال :

— كونت دي لافير . هل أنت هناك ؟ هل أستطيع أن أتكلم ؟

— أجل يا صاحب الجلالة

— أيها الصديق الخالص الكريم . لقد أراد الله ألا أتجو . وقد أضعت عرش آبائي

وميراث أولادي في الدفاع عن قضية آمنت بقديسياتها . وهناك مليون من الجنينيات الذهبية

مدفون في كهوف قلعة نيوكاسل ، ولا يعرف موضعه أحد غيرك ، فأقم نفسك على التصرف

في هذا المال في الوقت الذي تراه مناسباً لمصلحة ابني الأكبر . والآن وداعاً يا كونت

دي لافير

— وداعاً أيها الملك القديس الشهيد

وساد الصمت لحظة ، خيل لآتوس فيها أن الملك غير وضعه ، ثم سمع بعد ذلك صوتاً

رنانا واضحا طرق جميع الأسماع في الميدان ، صوت الملك يصبح :

— تذكر . . .

وهكذا ظل شارل ملكاً حتى النهاية ، وكان هو الذي ألقى أمر إعدامه



الرجل المقنع

اجتمع الرفاق الأربعة بعيد ذلك المنظر المشهود ، وأخرج أراميس من جيبه الوشاح المرصع والصليب الماسي الذي أوصى الملك أن يوصلهما إلى زوجته الملكة في فرنسا ، وأخرج آتوس حينئذ مندبلا كان قد مسح به دم الملك الذي تساقط فوق جبينه وهو كامن أسفل مكان التنفيذ وقال :

— وهاك مندبلا تضعهما فيه . واني لأتساءل ماذا سيصنعون بجثته

فقال له أراميس :

— لقد أمر كرومويل أن يؤدي جثمان الملك كل أنواع التكريم الواجبة في مراسم دفن الملوك . ومائى أراك ساكتا يادارتانيان ؟ لقد حم القضاء ونفذ السهم ، ولكن كيف باق استطاع هذا الجلاد أن يفلت من بين يديك ؟

— انه لم يفلت

وقام فصاح بموسكين في كهف المنزل وهو يلقى اليه بالفتاح :

— أطلق سراح السجين . فقد فات الوقت . لم يكن ذلك الجلاد جلاد السجين

فضحك أراميس وقال :

— أعرف هذا ، وإنما أردت دفعك إلى الكلام فهذا الجلاد ياصديقي آتوس ليس جلاد

لندن ، بل رجل تطوع للقيام بمهمة الجلاد . رجل مقنع لا نعرف من هو

فصاح دارتانيان :

— واجبنا إذن مادمننا في انجلترا هو البحث عن ذلك الرجل المقنع والاقتصاص منه

— لقد كان ربعة القوام ذا لحية وخطها الشيب

— ان من يتذكر في زى جلاد يستطيع أن يتخذ لحية مستعارة

— كم أنا نادم لأنى لم أتعقب خطواته

فقال دارتانيان :

— أما أنا فقد تذهبت لذلك وأنا في الميدان ، وكلفت جريعو بتعقب خطواته معى ، فلما

وصل الرجل المقنع إلى بيت منزلي ، أقت جريعو عند الباب ليراقبه ، وعترنا ونحن نتعقب

الرجل المضع بالأسك: لندي الجريح شقيق باري وصيف الملك فتركته للمراقبة أيضا ، وجعات موقه عند باب الدار الخلقى

وعندئذ قام الجميع فماتوا دارتانيان ، لأنهم أدركوا ان عدم مهاجمته للرجل المضع كان لأنه لم يرد أن يستأثر بذلك الصرف وحده ، ثم صاح أراميس :

— سيوفكم أيها الاخوان . سيوفكم ! ولا نضيعن دقيقة واحدة ولا وصلوا إلى البيت المهود سألو جريمو فقال :

— لم يخرج من البيت أحد ، وإن كان قد دخله منذ قليل رجل متوسط القامة ممتلي الجسم فقال أراميس :

— ربما كان في المنزل رجال آخرون من قبل

فما كان من جريمو إلا أن تساق الجدار ونظر من خلال مصراع النافذة الحشي ، ثم نزل وقال :

— رأيت رجلين ، أحدهما هو الجنرال كرومويل ، أما الآخر فكان شاباً حليقا ، هو الجلاد ولا شك ، الذي كان وقتها ساعة التنفيذ ، وهو الشخص نفسه الذي تعقبناه بتلابسه قسما ، ولسكنه الآن بغير لجة . وقد عرفناه من قبل باسم السيد موردانت

□

وايس من شأننا ماجرى بين الرجلين من حديث ، ولكن من شأننا أن نعرف أنهما حين انتهى الحديث قرر كرومويل أن يخرج من سرداب خفي يمر تحت الشارع إلى بيته ، ولذلك السرداب باب في الخائط مسحور لا يفتح إلا بضغط خاص . وترك موردانت كي يخرج من الباب العمومي ، كي يتوجه في مهمة كلفه بها كرومويل سيتضح لنا خبرها بعد حين وفي هذه الأثناء كان الفرسان الأربعة قد قرروا مهاجمة الرجلين ، وكلفوا جريمو بالتساق مرة أخرى ليرى وضعهما الحقيقي ، فإذا به لا يرى إلا موردانت وحده ، ورآه يرتدى ممطفه وقفازيه استعداداً للخروج

فلما انبأ سادته بهذا قرر دارتانيان أن يقف آتوس وأراميس على جانبي الباب ، حتى إذا فتح الباب صفقا فيهم الجيم عليه ويقبضون عليه حياً لتصفية الحساب . وبعد قليل سمعوه يهبط السلم ، ثم يفتح الباب بالفتاح ، ثم يمر في الدهليز دون أن يرى شيئاً ، وإذا به يجد نفسه وجهاً لوجه أمام دارتانيان ، بينما صفق بورتوس بيديه خرج آتوس وأراميس من مكنتهما وكانت المفاجأة تامة لموردانت ، فلم يصرخ ، وخضع الاوامر فصعد السلم بظهره ومن ورائه الفرسان الأربعة . ولم يفكر في إطلاق الرصاص ، لأن قتل أحدهم لن ينجيه من القتل بيد الثلاثة الآخرين . فلما دخلوا فاعة الجالوس أمروه أن يجلس وسطهم ، لأن الحساب بينهم وبينه سيستغرق بعض الوقت

وافتح دارتانيان الحديث بسخرته قائلاً :

— أراك أيها السيد تبدل الثياب والمظاهر كما يبدلها الممثلون في المهرج الايطالية ،

فند قليل شهدناك في ثياب القاتل ، وها نحن نراك الآن ..

— في زى الرجل الذى يوشك أن ينفذ فيه القتل . أليس ذلك ما تريد أن تقول ؟

— على رسلك ياسيدى . كيف طاولك قلبك أن تخطر لك مثل هذه الخواطر وأنت

في صحبة مختارة من أهل الشرف ، وفي جانبك سيف مثل سيوف الرجال ؟

— وهل هناك سيف ياسيدى كفه لأربعة سيوف وأربعة خناجر ؟

— لا تحسبنا ياسيدى قتلة ، وإذا كنت تشير إلى حادثة قديمة ، فاعلم أنه لم يكن في

وسعنا أن نعطي السيدة الوالدة سيفاً وندعوها للمبارزة فرداً فرداً . أما أنت ياسيدى

فالحال معك مختلف كل الاختلاف ، وقد شهدناك تدير السيف والخنجر والسدس في يدك

بمهارة تحسد عليها ، ثم رأيناك صدر هذا النهار تجيد أيضاً استعمال باطلة الاعداء ، فكما

منا لا يستنكف عن ملاقاتك ملاقة ند لد . فإذا تقول ؟

— هي المبارزة إذن ما تريدون ؟

ثم نهض وقد لمت عيناه كمن يريد أن يجيب التحدى فوراً ، فنهض بورتوس أيضاً

وعندئذ تقدم منه دارتانيان لينازع بورتوس شرف المبارزة ، واستل سيفه بعد أن هدأ

ثأرة بورتوس وقال لموردانت وهو ينحني أمامه حسب الأصول : «لاني في انتظارك ياسيدى ،

— وأنا أعجب لكم أيها السادة . فإني أراكم تتنافسون في أيكم يبارزني أولاً ،

ولا تفكرون في أخذ رأيي شخصياً في ذلك . وإني أطلب بأن يكون لي حق اختيار من

ينازلني ابتداء . فإذا أبيتهم على ذلك الحق فاقبلوني لاني لن أبارز

فوافق بورتوس وأراميس بقوة ، على رجاء أن يقع الاختيار على أحدهما ، أما آتوس

ودارتانيان فلم ينطقا ، وإن كان صمتهما يحمل معنى الازعان ، فوقف موردانت في وسطهم

وقال إنه يختار لمبارزته الكونت دى لافير . فقفز آتوس من مكانه كاللادوغ ثم جمد في

وقفته لحظة وهز رأسه قائلاً :

— إن أي مبارزة فيما بيننا مستحيلة ، فأنا أترك لسواي هذا الشرف

— هذا أول واحد قدم به الخوف

فهاج دارتانيان لهذه الكلمة وهم أن يبطش بالشاب غضباً لكرامة آتوس ، لولا أن

آتوس نفسه هدأ ثأرته في ازدراء هادىء لكل ما يقوله موردانت . فقال دارتانيان :

— إن الكونت دى لافير لا يريد أن يضفي عليك شرف مبارزتك . فتخير من بيننا

من يحمل عمله

— يستوى عندي من يبارزني منكم ما دام ليس هو ، فاقتربوا

« واقربوا فخرجت القرعة تحمل اسم دارتانيان

ونشبت المبارزة ودارتانيان يحسب أنه سيقتل الفتى في جولة أو جولتين ، ولكن المبارزة طالت ، وكلما استعمل دارتانيان فناً من الفنون التي يحسبها خافية على ذلك الشاب ، وجده يعرفه ويحتاط له . وتمت صلابته على قوة وجلد رغم نحافته ، فالتجته اليه أنظار الفرسان الثلاثة بالاهتمام والاعجاب . وبعد عدة جولات وجد الشاب نفسه وقد صار ظهره إلى الحائط ، فاعتمد على الحائط بيده اليسرى وراح يدافع عن نفسه بيده اليمنى ، فتعلقت الأنفاس لأنهم توقعوا أن تكون تلك بداية الهزيمة لصعوبة التراجع والتخاص من المأزق إلا بهجوم مضاد يكاد يكون مستحيلاً أمام دارتانيان

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد انشق الحائط عند الموضع الذي وضع عليه الشاب يده فاختفى الشاب بداخل الحائط ثم عاد الحائط سيرته الأولى ، وقد انكسر من سيف دارتانيان في داخله . فصاح أراميس كالذهول : « لقد هرب منا اللعون ! »

أما آتوس فهز رأسه ولم يشكلم ولكن بدت عليه علام الأرتياح . وتنبه بورتوس إلى جانب الحضور في الموضوع ، لأن الشاب ولاشك سيسرع بالاستجداف بفرقة كاملة من جيش كروموبل لمحاصرة البيت ، وهكذا أسرعوا جميعاً بالخروج من البيت وركبوا جيادهم وأطلقوا لها الأعنة طالين النجاة



السفينة « البرق »

لقد أصابو حين اعتقدوا أن موردرات لن يضيع وقته في الاطاحة بهم والقبض عليهم .
ولكنهم لم يصيبوا حين ظنوه سيعود اليهم في البيت بخيله ورجله . كلا . بل هو قد ذهب
إلى أقرب ثكنة فامتطى أقوى جواد وأسرع ينهب الأرض فبلغ جرينتش فيما لا يزيد على ربع
الساعة . ثم راح يمدق في عنمة المساء باحثاً بين أسماء السفن الراسية عن كلمة (البرق) .
وكان هناك رجل بين حراس الميناء يجثم منتبهاً لكل حركة ، فلما رأى صاحبنا يبحث بين
السفن وقف ، ولكنه لم يتحرك من مكانه ، فاتجه نحوه موردرات وأخرج له من جيبه
منديلا معقوداً من أطرافه الأربعة . وهي كما يذكر القارئ العلامة المتفق عليها بين
آتوس وربان السفينة البرق ليهرب فيها الفرسان إلى فرنسا ويهربوا معهم الملك اذا قدرت
له النجاة

وأخرج البجار من جيبه منديلا معقوداً على نفس الطريقة وقدمه إلى موردرات ، وبهذا
تم التعارف ، فنزل موردرات عن حصانه وأمر بإرساله إلى أقرب خان . ثم قال للبجار :
— والآن اذهب إلى السفينة

فضحك البجار ورفع طاقيته عن رأسه وقال لموردرات :

— ألم تعرفي يا كابتن موردرات ؟

— الكابتن جروسلو !

— بلحمة ودمه ، فقد تذكر الجنرال كرومويل اني كنت في أول حياتي ضابطاً في
البحرية فكلفتني بهذه المهمة السرية ، لأن ربان الباخرة الأصلي الذي اتفق معه الخونة اتصل
بالقائد العام ، وهكذا تم الاتفاق على أن أحل محله ويحل أربعة من الجنود محل البحارة ،
ونشحن المركب بيراميل من البارود بدلا من بيراميل نبيذ البرتغال

— ولكن ألا تخشى أن يتعرفوا عليك وهم من خلطائك القدماء ؟

— لاخطر من ذلك في هذا الليل البهيم ، وأنا في هذا الزى . بدليل انك أنت لم تعرفي

لأول وهلة ، ولو لا أن كشفت لك عن حقيقتي لا تعرفني

— وهل أوسقتم حمولة المركب ؟

— أجل . خمسة براميل ملاءة بالبضاعة ، وخمسون فارغا ، ووجهة الشحنة أنفوس
— هذا جبل ، والآن هيا بنا لتضعنى فى مخبئى بالسفينة ، ثم تعود ثانية لتستقبلهم
وفى السفينة اختبأ مورديانت تحت سرير الربان فى قرته الخاصة بعيداً عن قررة الركاب .
وأوصى جروسلو أن يربط فى مؤخرة السفينة قاربا للنجاة يصله بها جبل طويل . وأن يضع
فى هذا القارب مقداراً كافياً من الروم والبسكويت

وما أن رجع جروسلو إلى البر حتى سمع وقع حوافر الجياد ، ثم تم التعارف عن طريق
المنديل المعقود الأطراف ، ولكن آتوس اكتشف أن هذا الشخص ليس هو الربان الذى
اتفق معه ، فقال له :

— انه ابن عمى ، وقد سقط هذا الصباح من أعلى صارى الشراع الكبير فكسرت
ساقه ، وقد روى لى المسألة كلها وكلفنى أن أقوم بدلا عنه بالمطلوب

وتشاور الفرسان الأربعة فى هذا الكلام ، وقر قرارهم على تصديقه ، ولا سيما أنه إذا
انضح كذبه أو خيافته فى الوسع قتله بسهولة ، وفى هذه اللحظة يتولى آتوس قيادة السفينة
لأنه قضى صدر خدمته فى البحرية

وأقلعت السفينة ، وجلسوا جميعاً يحتمسون النبيذ ويتناولون العشاء ، ثم استسلموا للنعاس ،
وتركوا الخدم فى الدهليز الخارجى الملاصق للمخزن الذى فيه البراميل ، كي يتناولوا عشاءهم
وينظفوا الأحذية ، ويلبسوا السيوف ، ثم يناموا بعد ذلك

□

استغرق السادة فى النوم ، أما الخدم فلم يستطيعوا أن يناموا ، لأنهم لم يصيبوا شيئاً
من النبيذ ، ولا سيما السيد موسكيتين الذى تعود الترف فى خدمة مولاه الثرى بورتوس .
وكان جريمو قد طاف مع دارتانيان بأجزاء السفينة وأخبره أنها محملة بالنبيذ البرتغالى الفاخر .
وكانت مع جريمو دائماً أدوات لاغنى عنها ، من بينها المنشار والكماشة والمفك ، وهى
الأدوات التى استعملها الفرسان حين تنكروا فى ثياب العمال لاقامة منصة إعدام الملك شارل .
وراح جريمو ينزع المسامير فى هدوء ، ثم تسلل فى الظلام إلى القبو ، وغاب بضع دقائق لم
يلت أن عاد بيدها ، وقد اكفهر وجهه ، وفى يده الاناء مملوءاً بشئ لا يمت إلى النبيذ
بصلة ، سواء أكان هذا النبيذ برتغالياً أو غير برتغالى . لقد كان الابريق مملوءاً بالبارود ،
الأمر الذى ذعر له بقية الخدم ، ورأوا جريمو يثب وثباً إلى باب حجرة السادة فيطرقه طرقة
خفيفاً أيقظ دارتانيان ، ثم مال فوق أذنه وهمس إليه بما حدث بقاية السرعة

وما هذا الذى حدث !

لقد تسلل جريمو إلى داخل القبو الذى به البراميل وظل يبحث حتى وجد برميلاً ملاءة ،
وله صنوبر ، فخذ الله واثني عليه لوجود ذلك الصنوبر إذ وفر عليه فتج البرميل من أعلى

أو تقيه بريعة . وبعد أن ملأ الأبريق من الصنبور ألقاه بإحكام ، وهم أن يرفع الأتاه من شفتيه ليتذوقه ، حين سمع وقع أقدام تقترب ، فاخفى وراء إحدى الدعائم ، ورأى الباب يفتح ويدخل منه رجلان يحمل أحدهما فانوساً محكما من فوانيس الأمان ، وهذا الرجل هو جروسو أما الآخر فكان يحمل كرة من القليل وقد أخفى وجهه بقبعة . وقد سأل هذا الرجل الريان كم من الوقت يستغرق هذا القليل حتى يصل إلى البراميل ، فأجابه الريان انه يستغرق خمس دقائق . وقد خفق قلب جريمو عند سماع صوت الرجل القريب ، لأنه عرف فيه صوت موردانت . ثم استأنف موردانت كلامه فقال :

— نبه على رجالك أن يكونوا على استعداد دون أن تذكر لهم الغرض من ذلك الاستعداد .
و حين تعلن الساعة بدقائقها الثانية عشرة والرابع بعد منتصف الليل عليك أن تجمع رجالك وتنزل معهم في قارب النجاة

— بعد أن أشعل النار في القليل ؟

— اترك هذه المهمة لي أنا ، فاني أريد أن أستيقن من اتقاي . هل المجاذيف في القارب أيضا ؟
— أجل

فركم موردانت وركب طرف جبل القليل داخل الصنبور الذي أخذ منه جريمو ماظنه نبيذاً برتقالياً ، بحيث لا يكون أمامه في الموعد المحدد إلا أن يشعل الطرف الآخر للقليل وينزل إلى قارب النجاة . فلما أتم تركيب القليل أخرج ساعته وقال :

— في الثانية عشرة والرابع تماماً ، أي بعد عشرين دقيقة بالضبط ، وحاذروا من إحداث أي صوت قد يوقظ الركاب ، عشرون دقيقة فقط



أصغى دارتانيان لهذه التفاصيل باهتمام زائد ، ولم يترك لجريمو فرصة إتمام بقية الحديث ، فأسرع يوقظ أسدقاه ويحذرهم من إحداث أي صوت ، ثم أخبرهم بسرعة ان ريان السفينة الجديد ليس إلا السكابتين جروسو ، وأن مساعده هو موردانت ، فقررنا جميعاً أن يستولوا على قارب النجاة ما دامت السفينة ملقمة . وبالقفل قفزوا واحداً واحداً إلى البحر . فكلمهم يحسنون السباحة ماعدا موسكيتن السمين ، فأجبره سيده بورتوس الملاق على النزول إلى البحر ، ثم عام وهو يجذبه معه حتى وصلوا جميعاً إلى قارب النجاة سالمين ، ولكنهم للأسف وجدوا أنهم قد أفسدوا بارود مسدساتهم ، بيد أنهم لم يحفلوا بهذا ، وتولى آتوس قطع الحبل الذي يربطهم بالسفينة « البرق » بخنجره ذي المقبض الذهبي . ثم راحوا يجذفون بهمة ونشاط مبتعدين عن السفينة الملقمة

وفي هذه اللحظة شق صوت الليل فوق السفينة « البرق » صفير رفيع ، ثم تجمع البحارة على ظهرها ، وجذب جروسلو الحبل الذي يربط قارب النجاة فوجده سهلاً لنا ، فحذبه فاذا به فارغ ، واستولى الدعر عليه فصرخ صرخة عظيمة ، وإذا بموردانت يقفز في هذه اللحظة إلى سطح السفينة وفي يده شمعة ، يريد أن يلحق بقارب النجاة مع الباقيين قبل فوات الوقت لأنه كان قد أشعل الفتيل ، فصاح به جروسلو :

— لقد هرب أصحابنا في قارب النجاة وقطعوا الحبل

فقفز موردانت إلى القمرة وفتح بابها بركة من قدمه فألقاها فارغة ، فلم يعد إلى ظهر السفينة ، بل اختصر الطريق وقفز إلى اليم ، وفي هذه اللحظة حدث الانفجار فتلاشى كل من كان على السفينة من البحارة بقيادة جروسلو

ورأى الأصدقاء الأربعة من قاربهم هذا المنظر ، ولكنهم حسبوا أن موردانت كان بين المهالكين ، فتنفسوا الصعداء لأنهم تخلصوا منه في النهاية خلاصاً أبدأ ولم تلبث أن شقت الصمت حولهم نبرات صوت منتحب يقطع نياط القلوب :

— أدركوني . أغيثوني . الرحمة أيها السادة

وارتجف آتوس لرقعة قلبه ، أما الآخرون فوجسوا لأنهم عرفوا أن الصوت صوت موردانت ، وبعد لحظات رأوه يقترب منهم وهو يقاوم الموج مستيشاً ، فدأ آتوس يده مشيراً إليه ، بيد أن رفاقه لم يتحركوا ، فقال : « يا للمسكين » فصاح به دارتانيان :

— أظنك تشفق عليه بعد الذي فعل معنا ؟ جدف يا بورتوس لنبتعد عنه

فصرخ بورتوس مخاطباً موردانت وهو يجدف بكل قوة :

— أحسبك الآن قد وقعت يا صديقي ولا منجاة لك . وليس أمامك باب قريب للخروج

من هذا الأنزق إلا أبواب الجحيم

فصاح آتوس مؤنباً : « بورتوس ! »

— دعني يا آتوس ! فانك والله لتبدو سخيلاً خراعياً هذا الكرم المضحك ! واني

أندرك أنه إذا اقترب منا إلى أقل من عشرة أقدام ، لأفتحن رأسه بالمجداف !

— الرحمة ، لا تتركوني . ارحموني . لقد تبت على يديكم . ارحموا شبابي فانا لم أتجاوز

الثالثة والعشرين . اعذروني فالأم غالية والانتقام لها شعور طبيعي

وفي هذه اللحظة غطت رأسه موجة كبيرة ، وانطلق صوته وهو يصرخ متحسراً

فصاح آتوس : « والله ان قلبي ليشترق ! »

وصاح دارتانيان :

— ياقاتل عمه . ياجلاد الملك شارل . يا ناسف النفسن ، خير لك أن تفرق ويبتلعك اليم
والا فانك اذا اقتربت حطمت رأسك بمجدافى
وفي هذه اللحظة بذل موردانت محاولة يائسة حتى اقترب من القارب ، فرفع دارتانيان
مجدافه بين يديه ، وهم أن يهوى به فوق رأسه ، لولا أن نهض آتوس وصرخ وهو
يمنعه بيديه :

— دارتانيان يا ولدى العزيز . أرجوك ، فهذا المسكين سيموت لو تركناه ، ومن
المنجل أن ندع انساناً يموت وفي وسمننا أن نمد له أيدينا
فاستل أراميس سيفه وقال : « اذا وضع هذا النجس يده على القارب قطعتما بلا رحمة »
أما بورتوس العملاق فهض قائماً وقال : « انتظروا »
— ماذا ستفعل ؟

— سأقتى بنفسى فى اليم فأخنقه ثم أعود
فقال آتوس والدمع بكاد يظفر من عينيه :

— انظروا يا إخوانى كيف يرسم الموت على وجهه . ان قواه بدأت تخونه ، ولو تركناه
دقيقة أخرى لهلك . فلا تنزلوا شيبتي إلى القبر بهذه الحسرة الباقية إلى آخر أيام العمر ، فانه
والله لندم الحياة وخزى الأبد ، فامنحوني حياة هذا المسكين أكن مدينا لكم مدى العمر
وفي هذه اللحظة صاح الفريق بصوت متعشرج :

— سيدى السكونت دى لافير .. انى أخطب ضميرك أن ترحنى . أين أنت ياسيدى
السكونت دى لافير .. انى لا أراك ، الموت ينفسى بصرى
— هذا أنا ياسيدى . خذ هذه يدى تعلق بها

فأشاح دارتانيان بوجهه وهو يقول : « ان هذا الضعف يقززنى ولا أحب أن أراه »
وبذل موردانت مجهوداً جباراً كي يرفع نفسه ويتعلق بتلك اليد ويتشبث بها تشبه
بالأمل الأخير ، وقال له آتوس وهو يمنحه كتفه كي يتعلق به بيده الأخرى ، بحيث كادت
رأسه تمس رأس موردانت : « ضع يدك هنا واصمد على جانب القارب »
فد موردانت يده وتعلق بأصابعه بمنق آتوس ، ثم صاح والشعر يتطاير من عينيه فى
لهجة تم عن حقد لا يوصف :

— أماه ! لا أستطيع أن أقدم لك إلا ضحية واحدة . ولكنها على الأقل هى تلك
الضحية التى كنت تفضلينها لو كان لك الخيار !

وبينا وقف دارتانيان يصرخ ورفع بورتوس المجداف ، وبحت أراميس عن موضع يضرب
فيه اهتز القارب هزة عنيفة وسقط آتوس فى اليم ، وأطلق موردانت صيحة فرح وحشى ،

وهو يشدد الضغط على قبضة فريسته كي يشل حركات يديه ورجليه وكل جسمه
وساد الصمت لحظة من جهة آتوس ، فلم يصرخ ولم يستجد ، بل حاول أن يحتفظ
بتوازنه فوق سطح الماء ، بيد أنه غاص بعد لحظة فلم يظهر له أثر إلا شعره الطويل ،
الذي لم يلبث أن اختفى أيضا ، وحلت محله على وجه الماء دوامة كبيرة
وألجم الرعب الفرسان الثلاثة فظلوا فاغرى الغم مفتوحى القراعين محدقين في البحر ،
وكان بورتوس أول من تاب منهم إلى رشده فراح يشد شعر رأسه كاللجنون وهو يصرخ
بصوت تخنقه المبرات ، وهو العملاق الذي لانهزه النوازل :

— آتوس . آتوس . ليتنا متنا قبل أن نتركك تموت يا أنبل الرجال

وفي هذه اللحظة ظهرت على بعد خمسة أذرع دوامة أخرى كبيرة وقد طفا في وسطها
شعر ثم وجه شاحب مفتوح العينين ، ثم جسم رخو وقد غرس في صدره إلى القبض الذهبي
اللامع خنجر ، فصاح الثلاثة : « موردانت .. موردانت »
فصاح دارتانيان : « وآتوس ! »

وفي هذه اللحظة مال القارب من الناحية الأخرى تحت ثقل جديد غير منتظر ، وأطلق جريمو
صرخة فرح ، فالتفتوا كلهم ورأوا آتوس مرتعد الأوصال يريح رأسه على جانب القارب وقد
علا وجهه شجوب ، فأسرعت ثمانية أذرع مضطربة فرفته من اليم إلى القارب حيث عادت
إليه حرارة الدفء بقبلات أصدقائه الذين أسكروهم السرور العظيم بنجاته بعد أن يتسوا منه
وصاح دارتانيان : « هل جرحت ؟ »

— كلا . لكن هو ؟

— أما هذه المرة فإنه قد انتهى والله الحمد
وأرغمه دارتانيان على النظر إلى حيث أشار له إلى الجثة الطافية ، والأمواج تنقل بها ،
فكأن هذا الشيطان لا يزال مصراً على تعقبهم حتى بعد موته
وبعد لحظة أخرى غاصت الجثة وابتلعها اليم ، فتمتم آتوس قائلاً :

— لست أنا الذي قتلته ، وإنما هو حكم القدر . فإني كنت راغباً كل الرغبة عن
تلويث يدي بدمه . ولكنه حكم القدر



العودة

مرت بهم في عرض البحر ليلة هائلة ، بيد أن أنوار الفجر طلعت عليهم بالأمن والطمأنينة فقد تراءت لهم على الأفق سفينة كبيرة لوحوا لها فأخذتهم ، وكانت سفينة فرنسية متجهة من دنكرك إلى بولوني . وهكذا قدر للأربعة أن ينجوا من المهالك ويصلوا إلى أرض الوطن سالمين . وعلى أرض الوطن وقفوا يتدبرون أمر المستقبل ، فرأوا أن اجتماعهم معاً سيعرضهم لنضب الكردينال مازاران لأنه بث اثنين منهم ليحاربوا الملك فاتصروا له وحاولوا اتقاذه أما الاثنان الآخران فقد كانا حربا عليه مع عدوه منذ البداية . فن الحير أن يتجه إلى الكردينال صاحبا الأملين ليحاولا التماس مما ينسب اليهما متظاهرين بالبراءة ، محتالين عليها بالسذاجة حيناً وبالتفيق والاختلاق حيناً آخر

وهكذا اتجه بورتوس ودارتانيان إلى باريس ، بعد أن تمهدا بالبحث عن راؤول ، واتجه آتوس وأراميس إلى نورمانديا مغفل الأبراه المعارضين لمازاران . وتمهد دارتانيان بأن يكتب على حائط كل فندق يمر به ما يبدل على ذلك المرور وتاريخه حتى إذا خطر للصاحبين الآخرين أن يفتشا عنهما إذا كانا قد فرأوا من باريس بعد بأس من عفو الكردينال ، فسيجدان الطريق للثور عليهما ممهداً

وكانت قد مرت بفرنسا في هذه الأسابيع الستة أحداث على جانب كبير من الخطوره . فقد انسحب البلاط الى سان جيرمان واستمد لمهاجرة باريس التمردة ، وكان على رأس جيش الثوار في باريس الأمير كورني والدفوق دي بوفور . أما جيش الملكة فكان بقيادة الأمير كوندبه . وبدأت المناوشات بين الجيشين . وهكذا كانت الحال حين وصل الفرسان الأربعة الى فرنسا ، وعلم أراميس وآتوس بالأمر وهما في طريقهما الى نورمانديا ، فذهبا الى باريس للاضمام لجيش الأبراه الثوار

وعند ضواحي باريس وجد آتوس وأراميس صعوبة في الدخول ، فان الحراس كانوا يتشددون خوفا من الحيانة . فقادهما الديديبان الى مركز الطليعة ، وهناك أبصرا ثلاثة أشخاص يطلبون المرور لمقابلة ملكة انجلترا التي كانت منضمة بطبيعة الحال للأبراه الثوار . واستطاع أراميس أن يلدح وجه أحد هؤلاء الثلاثة مع أنه كان يخفيه بقبعته العريضة . فقد كان هذا

الشخص هو الكرد دینال مازاران متنكراً . أما الضابط المكاف بفحص جوازات المرور في ذلك المركز فقد اتضح أنه بلانشيه . ودخل الفارسان بفضل معرفة الملازم بلانشيه لهما ، فقد حصل بلانشيه في جيش الثورة على رتبة الملازم فأضحى مثل سيده القديم دارتانيان ، بل انه وعد بترقية قريبة الى رتبة اليوزباشي

وظل أراميس يلج على آتوس في تعقب السادة الثلاثة ، لاعتقاده أن مازاران بينهم ، بيد أن آتوس تناه عن ذلك لوجوب الاهتمام أولاً بمقابلة الملكة هنرييت وتقديم التقرير المحزن اليها عن مهمتها وعن ساعات زوجها الأخيرة

ووجدنا عندها رسولين من قبل ملكة فرنسا هما الدوق شاتيون والدوق دي فلانمارنس ومن يجب أنهما كانا يبلغانها أن الشعب الانجليزي غضب واستطاع في الاحظة الأخيرة أن يتخذ الملك من فوق منصة الاعدام

وقد دهش الفارسان بطبيعة الحال لهذه الأنباء المكذوبة ، ولاحظت الملكة ذلك فسألتها عما وراءها من أنباء رأياها رأي العيان ، فقال آتوس :

— لا أريد أن أقول ما عندي قبل أن يعترف السيدان بأنهما أخطأ

فصرخت الملكة مذعورة . وقال دوق فلانمارنس :

— إذا كان هناك خطأ ، فهو من جانب جلالة ملكة فرنسا ، ولا أعتقد أنك تجسر على تكذيب جلالتها

ولما كان هذا السيدان هما اللذان كان نالتهما مازاران ، فقد قال آتوس :

— هل مصدر هذا الخطأ الملكة حقاً أم الشخص الذي كان معكما منذ قليل حين دخلتما

باريس ؟ لقد رأيتم أنا والشيفالبييه در بلاي هذا الذي يجانبي تدخلون . مركز الطليعة الأمامي ثلاثة لا اثنين

فانتفض السيدان ، وصاحت ملكة انجلترا وقد استبد بها الدعاء :

— وضح ياسيدي . أين . لاني أقرأ على وجهك أخباراً توقع في اليأس حتى ان لسانك

يردد في الانطلاق بها ، قل لي بالله ماذا حدث ؟

وصاح الدوق دي شاتيون :

— إذا كنت تحمل ياسيدي إلى الملكة نبأ فاجعاً ، فما أقساک إذ تبلفه لها

فنهض أراميس من مكانه واتجه حتى كاد يلامس الدوق دي شاتيون وقال :

— سيدي ، لا أظنك تتجاسر على إلقاء درس في الرحمة أو البر على الكونت دي لانفير

أو على ، فنحن أدري بما ينبغي أن يقال

وفي هذه الأثناء تقدم آتوس من الملكة ويده على صدره ، غضيض الطرف ، خفيض

الصوت ، وقال :

— سيدتى . ان الله الذى رفع الأمراء فوق السوق جعل لهم قلوباً تحمل من المصائب
مالا يتحملون . وقد رفعك الله ياسيدتى فوقنا ، فادخر لك عبثاً أثقل مما نستطيع احتماله
لقد ادخر لك الله ياسيدتى الملكة ما ادخره للأصفوة المختارة من رجاله فى هذه الأرض ، ألا
وهى الشهادة ، وتلك ياسيدتى هى خلاصة البعثة التى شرفتنا بتوجيهنا إليها

ثم ركب آتوس أمام الملكة التى جددت جمود تمثال من النلج ، وأخرج من فوق قلبه
الوشاح المرصع وخاتم الزواج والصليب الساسى وقدمها إلى الملكة . فتناولت الملكة هذه
الأشياء واحداً واحداً ، أما خاتم الزواج فرفعته إلى شفيتها وقبلته ، وهنا لم تستطع كتمان
زفرة حرى ، أعقبها انتفاضة انتظمت كيانها كله من قبة الرأس إلى أخمص القدم ، ثم تهالكت
بين ذراعى وصيفاتها وابتها ، فأنحنى آتوس وقبل هدب ثوبها ثم انتصب واقفاً فى مهابة
ووفار وقال :

— أشهد أنا الكونت دى لافير ، الرجل الشريف الحر ، الذى لم يكذب فى حياته
قط ، وأقسم أمام الله أولاً ، ثم أمام هذه الملكة المسكينة ثانياً ، اننا فعلنا كل ما كان فى
الوسم عمله لانقاذ الملك فوق أرض بريطانيا . والآن يا شيفالييه دربلاي قد انتهت مهمتنا ،
فهبنا بنا نمضى فى سلام

— بل بقى شىء يا كونت . فأنى أرجو أن يتفضل هذان السيدان بالخروج معنا لحظة
واحدة ، كي أسمعهما تلك الكلمة التى لا يلبق أن أقولها أمام الملكة

فأنحنى شاتيون دون أن يجيب إشارة بالموافقة ، وهكذا خرج الأربعة . حتى إذا ابتعدوا
فى الدهليز وقفوا بجوار نافذة كبيرة ، وهناك قال لهما أراميس أنهما قد أقدمتا على نقل رواية
من ملكة إلى ملكة ومصدرها رجل كذاب . وهكذا انطلق التجدى الذى انتهى بدعوة
أراميس لشاتيون إلى المبارزة ، فتدخل دى فلانارس واعتذر بضيق الوقت على وعدبثلية
الدعوة للمبارزة فى فرصة أخرى ، لأن أمامهما مهمة تتعلق بمصالح الدولة العليا يجب أداءها
غداً صباحاً . وقال شاتيون :

— ان هذه المهمة تقم على أبواب مدينة شارنيتون ، حيث يمكن أن تدور رحى
الحرب بين الجيشين . فاذا جئت إلى هناك فسيكون لى مزيد العرف بأفانك غداً
واتجه الفارسان بعد ذلك إلى الفندق لاجت عن راؤول ، فوجدنا أنه قد ذهب ومعه
خادمه أوليفان لمقابلة الأمير كونديه بدعوة منه على وجه الاستمجال فى مقر قيادته بسان كاو
وأعضيا الأيلة فى باريس على عزم التوجه منذ الصباح إلى أبواب شارنيتون لمبارزة دى
شاتيون وفلانارس . وأيضاً على أمل مقابلة راؤول فى حاشية الأمير كونديه ، والثور
على دارتانيان وبورتوس فى الفريق الذى يحارب مع الملكة والكردينال مازاران

وفي الصباح أعلن أن المفاوضات قد فشلت ، فبدأ الاشتباك بين الفريقين ، واشترك أراميس وآتوس مع الثوار في الهجوم . وتصدى لها من المعسكر المقابل فارسان عليهما دروع مذهبة أحدهما شاتيون . فقد عرفه أراميس ، وهاجمه بمسدسه ، فصرعه من فوق جواده . فانحني فوقه أراميس يسأله ان كانت له رغبة أخيرة . وإذا به يتلقى ضربة في جانبه من سيف ، ولكن الدرع ردت هذه الضربة القوية ، فالتفت ليرى راؤول وقد هجم عليه . فلما عرف راؤول أراميس ثم عرف صوت والده وهو يناديه سقط السيف من يده ، فهجم عليه عدة فرسان من جيش باريس بيد أن أراميس بسط فوقه حمايته وقال إنه أسيره . أما آتوس فأمسك بزمام جواد راؤول وقاده بعيداً عن المعركة .

وسأله آتوس ماذا أتى به الى خط القتال فقال :

— لقد كنت مكلفاً بحمل رسالة إلى الكردينال في « ريال » ولكني رأيت في طريق الدوق دي شاتيون يهجم هذه الهجمة فهاجت معه فقال أراميس : « انت أسيرى ، فهات الرسالة »

وإذا بالرسالة موجهة من الأمير ، يبشر فيها الكردينال بأنه سيبحث إليه بعشرة فرسان شجعان يستطيعون الصمود للفارسين الذين يخشاهم الكردينال كثيراً

ولهذا قرر أراميس وآتوس البحث عن صديقيهما لتجديتهما من كيد الكردينال وقد بدأ طوافهما بالبحث في أركان باريس ، مستعينين ببلانشيه الذي يخوله مركزه الجديد أن يساعدهما مساعدة جدية . بيد أن هذا البحث لم يسفر عن شيء فخرجا يبحثان في أنحاء الريف ، ويتبعان الآثار التي وعد دارتانيان أن يتركها على جدران كل خان يمر به وبعد طواف مجهد في القرى وجدا في مدينة « ريال » ما دلها على أن كتيبة من الجنود قد قبضت عليهما وساقتهما إلى سجن الكردينال . فقرر أراميس العودة إلى باريس ، أما آتوس فتوجه لمقابلة الملكة في قصرها « بريال » ليطلب منها حرية صديقيه وخادميها



لم يجد آتوس صعوبة كبيرة في مقابلة الملكة آن . فان نسبة الشريف يرخس له في تلك المقابلة الصباحية . ولهذا أعلن اسمه أمام الملكة ، ودخل وهو يعلم انها لا يمكن ألا تذكره ، وهو بطل الرحلة التي تمت منذ عشرين سنة لاسترداد عقدها الثمين من دوق باكنجهام استنقاذاً لشرفها . بيد انها اكتفت بأن وجهت اليه نظرة ثابتة لاتتعلق بشيء . فلما طال صمته قالت له : « هل جئت تعرض علينا خدمة يا كونت ؟ »

— أجل ياسيدتى ، خدمة أخرى

فقدت حاجيتها لأنها أدركت انه يذكرها بالخدمة الأولى ، وقالت : « تكلم »

— سيدتي ، لي صديقان من أخلص خدام جلالتك هما السيدان دارتانيان ودي فالون أرسلهما الكردينال إلى إنجلترا ، وقد اختفى أثرهما منذ عادا إلى فرنسا — وبعد ؟

— وبعد ، فاني أتوجه إلى مكارم جلالتك لمعرفة ما حدث لهذين السيدين ، محتفظاً لنفسي عند اللزوم ، بالاتجاه إلى القضاء — وهل هذه هي الخدمة التي جئت تؤديها لنا ؟ أفي هذه الظروف المضطربة تشغل وقتنا بمسألة بوليس ؟

— لا أظن جلالتك بحاجة إلى سؤال البوليس عنهما ، ويكفي سؤال نيافة الكردينال الواقف هنا إلى جوارك ، فهو يستطيع الجواب من الذاكرة — أراك ياسيدي تكاد تستجوبنا — وان لي الحق في ذلك ، لأن الأمر يتعلق بدارتانيان وهنا رأى الكردينال انه أن له أن يتدخل في الحديث فقال : — أظنك آتياً أيضاً من إنجلترا ؟

— أجل . وقد حضرت الاحتفالات الأخيرة للملك شارل الأول . ذلك الملك المسكين الذي كان أقصى ذنبه انه كان ضعيفاً فعاقبه رعاياه عقاب القساة ، فالعروش في أيامنا هذه كثيرة الاهتزاز . ولا يجمل بالقلوب الصادقة أن تنفاني في خدمة الأمراء . فقد كانت هذه هي المرة الثانية التي يذهب فيها دارتانيان إلى إنجلترا ، فقد ذهب في المرة الأولى من أجل شرف ملكة عظيمة وسمتها . وأما في المرة الثانية فذهب من أجل حياة ملك عظيم وهنا قالت الملكة وهي تضغط على الكلمات :

— اصنع شيئاً يا كردينال للسيدتين ، ودع الكونت يراهما ، وافعل له كل ما يريد فشكر آتوس وانصرف إلى غرفة الانتظار ، حتى يأتيه الكردينال بصديقيه وينطلق بهما ، ولكنه لم يكذب فقاد الحجر حتى قالت الملكة للكردينال : — اقبض على هذا الوقع قبل أن يخرج من البلاط وفي هذه الأثناء كان آتوس يتسلى بالنظر من النافذة المحيطة على القساء ، فرأى وفد الباريسيين يدخل لانعام مفاوضات الصلح ، وكان يضم مستشارين في البرلمان ومحامين وبعض رجال اليف ، وخيل اليه انه عرف بينهم بعض الناس . وفي هذه اللحظة تقدم منه قائد الحرس وطلب منه سيفه

وفتح آتوس النافذة وصاح بأعلى صوته : « أراهم ! انهم يقبضون على »

غادر مازاران القصر في عربته متجهاً إلى قصره في « ريال » وكان يقبعه عنى بعد
آتوس بمجرداً من سيفه وحوله حرس شديد . أما جريمو فقد التقى به أراميس وأخبره
باعتقال سيده . وأما أعضاء وفد باريس فعادوا إلى مدينتهم بعد انتهاء المقابلة ، فكان
ركبهم يسبق ركب الكردينال بمسافة بسيطة لا تتجاوز الخمسمائة خطوة
فلما وصل مازاران إلى قصره ، سأله قائد الحرس أين يضع آتوس ، فقال :
— في الجناح المطل على حدائق البرتقال ، تجاه الجناح الذى يشغله المخفر . وأريد أن
تسلموا الكونت بكل رعاية ، لأنه سجين المكبة !

— ولكنه يطلب أن يوضع مع صديقيه دارتانيان ودى فالون
— ان وجود هؤلاء الثلاثة معاً خطر على الأمن ولو كان الحراس من السويسريين
الألمان . ولكن عاملوه برفق فيما عدا ذلك . وسأزوره في غرفته الليلة بنفسى
وأفضى قائد الحرس إلى الكونت بهذه النتيجة ، فاكتفى برجائه أن يبلغ صديقيه
تحياته وأنه موجود في البناء المقابل لحبسهما . وأن يبلغهما أيضاً الرغبة التى أبداهما
الكردينال في زيارته في سجنه هذه الليلة ، فقام الضابط بهذه الخدمة التى لم يجد فيها
خروجاً عن حدود الجمالة
ولما وصل آتوس إلى غرفته وجد أمامه في الزاوية نوافذ البناء الآخر مزودة بقضبان
من الحديد ، وبينهما حديقة واسعة الأرجاء مزروعة بأشجار البرتقال . فسأل عن ذلك
البناء المقابل فعرف أنه البناء الذى يقيم فيه صديقه



ولنتقل الآن عبر حديقة البرتقال إلى جناح المخفر الذى فيه دارتانيان وبورتوس ،
فانتا نجدهما محبوسين في الطابق الأرضى . وفي الحجرة نافذة كبيرة ذات قضبان تطل على
الفناء الداخلى ، وكان الفيض يأكل قلب دارتانيان على الحصوص . وأخذ يقدم زناد فكره
بمخناً عن طريقة لاجازة . وفي هذه اللحظة دخل قائد الحرس وأبلغهما رسالة آتوس ،
فكان فرحهما بها عظيماً ، لاسيما أن آتوس كان مشهوراً بسعة الحيلة ، فهو لن يتقاعد
عن تخليصهما وتخليص نفسه . بيد أن دارتانيان استغرب خبر زيارة الكردينال للكونت
فأكد له الضابط ، لأن الكردينال من عادته أن يبتزه كل ليلة في حديقة البرتقال ،
فمن السهل أن يدخل لزيارة الكونت في الطابق الأرضى بضع دقائق

— أرجو أن يأخذ الكردينال حذره فلا يدخل بمفرده حجرة الكونت
— ان الكونت رجل مهذب جداً ، ثم هو مجرد من كل سلاح ، يضاف إلى هذا
انه عند سماع أول صرخة تصدر من الكردينال فان الجنديين السويسريين اللذين يرافقانه
باستمرار في مثل هذه التهمة يسرعان لتجديته

عندئذ تذكر دارتانيان أنه في موعد معين من كل ليلة يسمع نداء على الحارسين
الذويين ، ثم يراهما يتزهران في الحديقة جيئة وذهاباً مدة نصف ساعة ، في انتظار الكردينال
— أرجوك لاذن ياسيدي الضابط أن تحمل تحياتي إلى الكونت حين تزوره غداً
صباحاً ، وأن تطلب إليه أن يحرس على التماس حريتنا حرصه على التماس حريته

وخرج قائد الحرس وأغلق الباب فراح دارتانيان يعانق بورتوس ، وبورتوس لا يفهم
السبب ، وأخيراً تولى دارتانيان الشرح ، فقال :

— اقترب من هذه النافذة واستعمل قوتك البدنية في نفي قضيبين من التضببان بعيداً
أحدهما عن الآخر ، ولكن بعد أن أظني أنا المصباح . والآن هيا
— هاك يا عزيزي ما طلبت . وهو أمر عسير على رجل كالكردينال مع عبقريته ! ان

هذه المسافة تسمح بمرور رجل

— والآن أخرج ذراعك من النافذة . لا تردد ، وأظني بغير سؤال . سترى بعد قليل
باب الخفر المقابل يفتح ، وسيخرج منه الحارسان اللذان سيصبحان الكردينال عندما ينزل
للترهة في حديقة البرتقال

وتقدم الحارسان السويسريان في الظلام ومرا من أمام النافذة وهما يفركان أيديهما لأن
الجو كان بارداً ، وفي هذه اللحظة ففتح باب الخفر ونودي على أحدهما فلبى النداء وترك
الآخر وحده . فقال دارتانيان هامساً :

— سأنادي هذا الجندي كما ناديت زميله بالأمس لأتسامر معه وأعطيه قليلاً من النبيذ .
وسأجعل نفسي على يسارك ، بحيث يكون من خلال النافذة في متناول يمينك ، ثم أدعوه
للمصعود فوق المقعد الموجود أسفل النافذة في الفناء ليتناول من يدي زجاجة النبيذ ، فبجرد
صعوده عليك أن تقبض على رقبته بيديك لتمعه من الصراخ ، ثم تدخله من الفتحة وتضعه على
القراش حيث أتول تكيمه وتقييده ، وهكذا يتيسر لنا سلاح وبدلة عسكرية

واختبأ بورتوس تحت مستوى النافذة في انتظار الإشارة ، ثم تمت العملية الأولى بنجاح .
وبعد دقيقة تكررت العملية . وخرج الصديقان فوقاً في الفناء في انتظار الأوامر ، وإذا
بباب يفتح ويخرج منه حاجب الكردينال ويأمرهما أن يتبعاه ، إلى أن فتح باباً يفضي إلى
دهليز ، ثم باباً آخر وجدا وراءه مقعدين ، أشار إليهما وقال :

— التعليمات ألا تدعوا أي إنسان يدخل ما عدا السيد الذي سيأتي الآن ، وعليكما بطاعته
في كل شيء ، أما المودة ، فاني سأدبرها بأن آتي لآخذكما بنفسى
وانصرف الحاجب ، ثم بعد لحظات أقبل رجل في ملابس القرسان عليه معطف بني
اللون وقبعة عريضة وفي يده فانوس ، فقدم إلى بورتوس الفانوس وقال له :

— أشعل مصباح السقف

ثم تقدم إلى الباب المواجه لباب الدخول فخرج منه ثم أغلقه وراه .
فقال بورتوس : « ماذا نصنع الآن ؟ »

— إذا كان هذا الباب مغلقاً فعلى كتفيك الهائلين مؤونة فتحة ، ولكن لنحصن أولاً باب الدخول ، ثم بعد ذلك نتبع فريستنا ونطاردها

وشرع الاثنان يحصنان الباب بكل ما وجداه تحت أيديهما من الأثاث ، ثم اتجها بعد ذلك إلى الباب الذى اختفى وراءه مازاران ، فحاول دارتانيان فتحه عبثاً . أما بورتوس فاستطاع أن يباعد مابين المصراعين بكتفه الضخم ، ثم أدخل دارتانيان طرف خنجره بينهما ودفع اللسان فانفتح الباب بهدوء تام

ودخل الصديقان من الباب فوجد المصباح موضوعاً على الأرض ، ثم أبصرا من وراء الدهليز صفوف أشجار البرتقال ولا أثر للكردينال . فذهبا يتسللان بين الأشجار ، إلى أن وقع نظرهما على صندوق خارج على الصف المنتظم ، وفي مكان هذا الصندوق من الصف فتحة كبيرة من داخلها سلم حلزوني ، وكان الصندوق ثقيل جداً لا يتحرك إلا بلولب آلى

ووقف الرجلان مبهوتين ، فهنا إذن يرقد كنز مازاران المشهور ، وقال دارتانيان متحسراً :
— لو كنا لانطمع إلا فى الذهب ، لكان فى وسعنا الآن أن ننزل فنفرغ خزانة أو خزانتين فى جيوبنا ، ثم نقفل الكنز على الكردينال المحترم ونخلص منه البشرية

— معك حق يا صديقي ، ولكن الذهب ليس هو كل ما نشتد

وفى هذه اللحظة سمع صليل معدني آتياً من الحفرة ، ثم ظهر الكردينال وهو يداعب يده صرة من النقود ، وفى يده الأخرى شمعة مضاءة ، وهو يخاطب نفسه

— هذا مبلغ يكفى لشراء خمسة مستشارين فى البرلمان ، أو جنرالين فى جيش باريس .

وأنا أيضاً جنرال عظيم ، ولكنى أحارب على طريقي الخاصة

واختبأ دارتانيان وبورتوس حتى أبصراه يتجه إلى السور فيضغط على موضع معين ، فينتقل الصندوق الضخم الذى فيه شجرة البرتقال فيغطى مدخل الحفرة ، ثم يطفى الشمعة ويضعها فى جيبه وهو يقول : « هيا الآن لزيارة الكونت دى لافير »

وتبعه دارتانيان وبورتوس ، إلى أن وقف أمام باب زجاجى فتحه ودخل ، ثم انحرف فى الدهليز إلى اليسار ، ووقف عند باب معين وأوشك أن يفتحه ، ولكنه قال لنفسه :

— يا للشيطان . لقد نسيت أن آتى بالحارسين لأضعهما على الباب منى لا أكون تحت رحمة هذا العفريت

ودار على عقبيه ليعود من حيث آتى ليحضر الحارسين ، وهنا تقدم دارتانيان وقال فى ابتسامة ساخرة :

— لا تنب نفسك يا صاحب النيافة ، فقد تبعناك من تلقاء أنفسنا
ثم خلع الاثنان قبعتيهما وانحنيا باحترام عظيم ، فوق المصباح من يد الكردينال ، فالتقطه
دارتانيان وأعطاه إياه وهو يقول :

— لا تدعه يقع من يدي ، وإلا تعرضت للسقوط في حفر الحديقة . ولما كنت ياسيدي
تريد مثلنا زيارة الكونت ، فأرجو أن ترشدنا إلى الطريق

— هل ... هل ... هل لكما مدة طويلة في حديقة البرتقال ؟

— أي حديقة ؟ لقد وصلنا الآن فقط

فتنفس مازاران الصعداء اطمئنانا على سلامة الكنز وقال :

— لقد كسبنا هذه الجولة ، وإذا كنتما تريدان حريتكما فهي لكما

— يا صاحب النيافة ، انك لكريم ! ولكن حريتنا في يدنا فعلا ، وإنما نحن نطلب
من نيافتكم شيئا آخر

— حريتكما في يدكما ؟

— أجل ، ان حريتك أنت يا صاحب النيافة هي التي ايمت في يدك الآن ، ونريد منك
أن تفتديها

— وما مبلغ هذه الفدية ياسيد دارتانيان ؟

— لا أدري في الوقت الحاضر . ولكننا في الطريق إلى الكونت دي لافير ، وسنسأله
زأبه الناقب دائما في مثل هذه الأمور . فلتفضل يا صاحب النيافة بفتح الباب واعلم أنك إذا
أحدثت أي صوت فسنضطر إلى عمل ما نكره

— اطمئنا ، فلن يصدر عننا ما يريكم

وفتح مازاران الباب ، ودخل الثلاثة حجرة آتوس

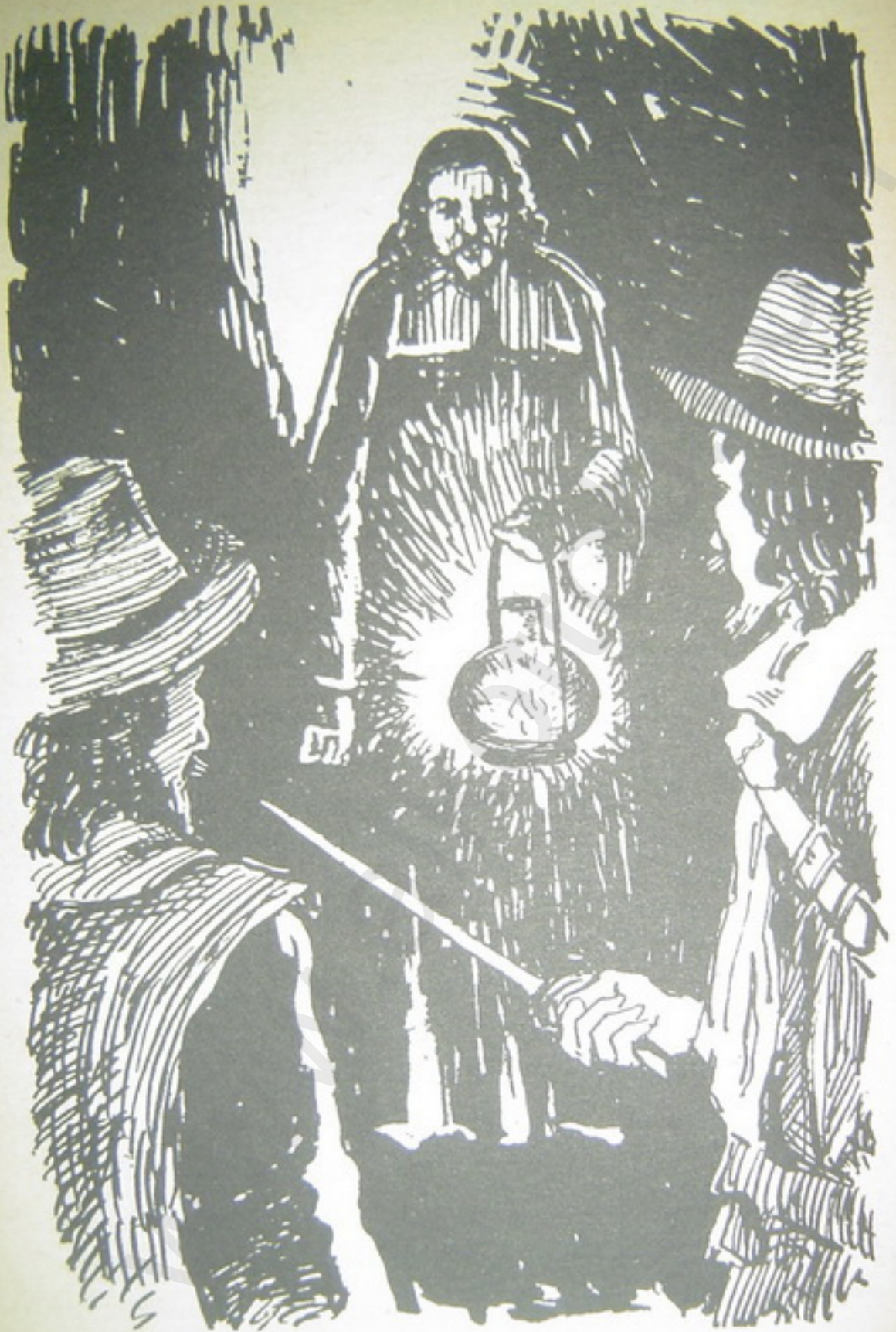
□

وما وقت عينا آتوس على الكردينال ومن ورائه الحارسان ، حتى انحنى بأدبه الجم
الذي عهد فيه وقال :

— كان في وسع نيافتكم أن تتحرروا من قيود الحراسة ، فان الشرف العظيم الذي
أتلقاه الآن أكبر من أن أتناساه لأي سبب من الأسباب

فتكلم دارتانيان من خلف الكردينال قائلا بلهجته الفسوقية :

— واها لك يا عزيزي الكونت ! صدقني أن صاحب النيافة لم يكن راغبا في صحبتنا
أي رغبة ، ولكن صاحبك دي فالون وأنا ألحنا عليه في صحبتته ، وربما نكون قد تجاوزنا
في الالحاح حدود الاياقة ، ولكن عذرنا الآن أن الدافع لنا هو شوقنا الشديد إلى
اجتلاء عينك



« . . . اعلّم أنك إذا أحدثت أي صوت فننظفرك إلى عمل ما نكره »

فغلق آتوس لحظة ، ثم قفز من مكانه مرحباً بصديقيه العزيزين مستفهماً ، فعرض
مازاران على شفته محاولاً الابتسام ، ثم قال :
— المسألة أننا تبادلنا الأدوار ، فأصبح السجين سجاناً والسجان سجيناً ، فأنت ترانى
الآن يا كونت أسيراً يتقبل الشروط بدلا من أن يعملها . بيد أنى أحذر كما أيها السيدان ، بأن
انتصار كما ان يطول

فصاح دارتانيان :

— اياك يا صاحب النيافة أن تعتمد على التهديد ، فنتلك قدوة سيئة لنا ، وأنت ترانا فى
غاية اللياقة والوداعة مع نيافتك . فلندع الحقد جانبا ولننتحدث بهدوء
— ليس أحب إلى من هذا . ولكنى أريد أن أقول لكما لاني إذا كنت فى الفخ ،
فأنتما فى الفخ معى . انظرا إلى الفضيلان وخبرانى كيف ستخرجان . ولكنى مع هذا أعرض
عليكما الحرية

— ولكن فى استطاعة صاحب النيافة أن يرجع فى وعده ، وفى هذه الحالة نكون
قد خسرنا كل شئ .

— أقسم لكم أننى سأطلق سراح ثلاثتكم ، وأقسم على ذلك بشرف ما زاران ، بشرف
الوزير . هذا وعد رسمى

— انك لم تعد وزيراً يا صاحب النيافة ، لأنك أسير

— سأعطيك المفتاح كي تخرجوا إلى الحديقة ، وهناك تقفزون من فوق السور ، وحينما
تصيرون فى الحلاء فأنا واثق من قدرتكم على الهرب وعلى مقاومة أى عقبة مسلحة تعترض
طريقكم

— وأين هذا المفتاح يا صاحب النيافة ؟

— هذا هو

— أفضل أن تتولى ارشادنا إلى للطريق على سبيل الاحتياط

— بكل سرور

ومشى الكردينال معهم إلى الحديقة ، ثم فى طرقاتها لغاية السور ، وهناك هم مازاران
أن يعود أدراجه ، لولا أن دارتانيان استوقفه :

— يا له من حظ سعيد أن يتولى توصيلنا إلى الطريق نحن الرجال الفقراء المتواضعون

أمير جليل المقام من أمراء الكنيسة . ولكن — على فكرة — الكونت ليس معه سلاح ،
وقد تقابلنا داورية مسلحة ، فهل لنيافتكم أن تعيروه سيفكم الذى لا فائدة لكم منه وأنتم
رجل دين لا رجل حرب

— بكل سرور ، بل لاني أرجو الكونت فى التفضل بقبوله تذكراً منى

— واني أعد صاحب النيافة ألا أفرط في هذا التذكار

فقال دارتانيان حيثئذ :

— ليس في الوقت متسع للمجاملات المؤثرة أكثر من هذا . والآن يا آتوس عليك أن تقفز إلى الخارج وبسرعة

فتولى بورتوس رفع آتوس فوق السور ، ومن هناك قفز إلى الشارع . وقال دارتانيان بعد ذلك لبورتوس :

— عليك الآن أن تراقب الكردينال جيداً ربنا أصدقنا أيضاً ولكن بدون مساعدتك . فلا تدع الكردينال يتحرك

فقبض بورتوس على ذراع الكردينال ، ثم حتى ظهره فارتفع فوقه دارتانيان حتى ركب السور ، وأمر بورتوس بعد ذلك قائلاً :

— والآن يا عزيزي بورتوس ناولني من فضلك نيافة الكردينال ، وإذا قاوم أو صرخ . فأنت حر في أن تكتم أنفاسه وتخنقه !

فرفع بورتوس الكردينال المسكين ، فتلغفه دارتانيان وهو ينتفض ، وقال :

— والآن فلتقفز النيافة إلى الشارع بجوار الكونت ، والافاني قاتلك

— سيدى . لقد حثت بالمهد

— أى عهد ؟ لقد كان عهداً من جانب واحد ، جانبك أنت

— لقد دفعت حريبتكم ثمناً لحريتي وفدية عنها

— هذا صحيح . ولكن ما رأيك في الفدية الضخمة المستحقة عن الكثر المدفون

في الحديقة ؟ ألا تحتاج هذه المسألة لشيء من التفاهم والتحميس ؟

فلطم الكردينال خديه وصاح :

— يا يسوع ! لقد هلكت وضاع مالي ..

فتناول دارتانيان من خناقه ودلاه من السور حيث تلغفه الكونت دي لافير ، ثم تناول يد العملاق بورتوس ورفعه إلى أعلى السور رفعة اهتز لها الجدار هزة هائلة ، ثم قفز الاثنان إلى عرض الطريق ، وتقدم دارتانيان ليكون بصفة كشاف ، وسيفه في يده، ملترماً حذاء الجدار ، فاذا بهم يسيرون على جياد ، ولكن حارس الجياد زعق فيهم :

— ارفع يدك !

فاذا هذا الحارس هو جريمو . وقد جاء يحرس هذه الخيل بأمر من أراميس الذى قضى الوقت في التجسس وتسقط الأخبار على رأس ستين من رجال جيش باريس ، على أمل تخليص

أصدقائه من الاعتقال

وبعد ، سر دقائق كان جريمو قد عاد بأراميس مبتهجاً ، فتعلق برفاب أصدقائه ،

وراح يقول :

— لقد كنت بسبيل إجراء اللازم ، مستعيناً بهؤلاء الرجال الذين أعطاني إياهم نائب المطران . وقد أفادت هذه الحطة في اقتناس رسالتين سريتين من مازاران إلى الملكة ، فتحتهما لأجده يقول في إحداها إن خزائن الدولة قد فرغ ما فيها من المال ، وفي الأخرى يقول إنه سينقل المساجين إلى مكان آخر أوفى بالأمن . وقد علفت الآمال على هذه الرسالة الأخيرة ، مستخيراً الله في اختطافكم أثناء نقلكم من هذا القصر ، وأعددت هذه الجياد لتكبوها حين تم الاختطاف . ولكن أخبروني كيف أفتم من بدهذا الوغد الزنيم مازاران؟ لا بد أنه سامكم بالعذاب

- بالمعكس . لقد هربنا بواسطته ، فهو الذي تولى الأمر ، مكلفاً حاجبه الخاص أن يرشدنا إلى الطريق حتى باب الحديقة ، ثم زاد في تفضله فأوصلنا بنفسه إلى السور — هذا والله صليح جميل يغير رأي فيه ، ولو فابته لقلت له إنني لم أكن أظنه أهلاً لمثل هذه الأريحية

وعندئذ لم يطلق دارتانيان كلمان الضحك فالتفت إلى مازاران قائلاً :

— يسرني أن أقدم إليك الشيفالييه در بلاي . صديقنا الرابع

وصاح أراميس :

— هل هذا هو الكردينال ؟ صيد سمين وقنيصة طيبة ، فالي الخيل إلى الخيل . ولكن وأسفاه ، لا بد لي من الانتظار بضع دقائق ، حتى يلحق بنا ريب آتوس ، الشاب راؤول دي براجيلون

وبعد لحظات أقبل الفيكونت فعلاً ، وكان لقاء جليلاً بينه وبين آتوس ، ثم تشاور الأصدقاء الأربعة في الحطة ، وقر قرارهم على أن يتوجهوا بالكردينال إلى قصر من قصور بورتوس ، في ضيعة بيرفون ، لأن هذا القصر ليس بعيداً عن باريس ، وليس قريباً منها قريباً خطيراً



mersalli

ويل للمغلوب

اضطر مازاران إلى الاستسلام ، فاستمر الركوب طول الليل بتلك السرعة الحارقة التي تعودها هؤلاء الذين ولدوا فوق سهوات الجياد ، حتى إذا بزغ الفجر كانت جياد الخدم قد كلت ، بيد أن جريمو استطاع الحصول من اسطبل قريب على جياد جديدة ، واستأنفوا السير حتى وصلوا قرب الظهر إلى قصر بورتوس ، وهنا أسرع موسكيتن يتقدم الموكب ليعلن إلى الخدم والأتباع وصول دى فالون وأصدقائه ، وأيضاً كي يبدأ الاستعداد في المطبخ لما اشتاق إليه من الأطعمة الدسمة . أما دارتانيان ، فراح يرسم خطة الإقامة . قال :

— نحن أربعة ، فلنتبادل السهر على حراسة صاحب النيافة ، فيسهر كل واحد منا ثلاث ساعات . وعلى صديقنا آتوس أن يتفقد منافذ القصر كي يقوم بتحصينه بحيث يصمد لكل مقاومة في حالة الحصار . وعلى أراميس أن يدبر تسليح الأتباع وتخزين المؤونة ووضعوا مازاران في أحسن حجرة بالقصر . وحينئذ أخذ يراوغهم محاولاً إيهامهم أن اقتضاح أمر وجوده بين أيديهم ، كقيل أن يجمل الملكة تجرد عليهم جيشاً جراراً يحاصر القصر ، وربما حضر الأمير كونديه بنفسه ليتقدم لهجوم . فأجابه دارتانيان بأن جيش باريس سيبره في هذه الحالة أن يتعقب جيش الأمير كونديه ويحصره بين نارين . ثم إن في الوسع عند اقتراب الجيوش تهريب السكردينال إلى قصر آخر من قصور بورتوس ، ولدى بورتوس ثلاثة قصور من هذا النوع . فاضطر مازاران إلى ترك المراوغة ، وطلب شروط الصلح ، فقال آتوس :

- أما أنا يا صاحب النيافة ، فلا أريد شيئاً لنفسى ، وإذا طلبت شيئاً لفرنسا فسيكون باهظاً ، ولذلك أكتفي بالسكوت وأترك الكلمة للشيفالييه دربلاي
- تكلم يا شيفالييه ، وقل ماذا تريد بوضوح وإيجاز
- في جيبى يا صاحب النيافة ملخص شروط أهالى باريس التي حضر الوفد أول أمس لتقديمها إليكم ، ولهذا أطلب الموافقة على هذه الشروط
- هذه شروط عامة كدنا نتفق عليها ، فلننتقل إلى الشروط الخاصة
- أريد يا صاحب النيافة أن تمنح حكومة نورمانديا إلى الدوق دى لنجفيل ، مع هدية

مقدارها نصف مليون جنيهه للدوقة . وأتشم أن يقنازل جلالة الملك بأن يكون شين
ابنها ، كما أرجو من نيافتكم بعد حضور حفلة العاد أن تفضلوا بالسفر إلى روما للتماس
بركات الحبر الأعظم

— وبعبارة أخرى تريدني على الاستغناء من مناصبي وأن أتق نفسي خارج حدود فرنسا ؟
وأنت ياسيد دارتانيان ؟

— أما أنا ياساحب النيافة فطلباتي هي طلبات ناشيفالييه در بلاي ، ماعدا الفقرة الأخيرة ،
فأني أريد أن تظلوا في دست الوزارة ، لأن عبقريتكم السياسية يجب ألا تحرم منها فرنسا .
ولكن بشرط أن تعلق بذاكرة نيافتكم خدمات رجال الملك المخلصين ، وأن يرقى إلى قيادة
الفرسان العامة شخص موجود في هذه القاعة لا يغيب عن فطنتكم
— وأنت ياسيد دي فالون ؟

فقال بورتوس وهو يهز جسمه الضخم :

— أما أنا ياسيدي الكردينال فأعني مادام نيافتكم قد شرفت هذا المنزل الذي آواكم
وأكرم مثواكم ، أن تأمروا برفع هذه الضيعة إلى طبقة البارونية ، وأن يصدر جلالة الملك
في أول فرصة أمراً بتولية صديق لي قيادة هامة

— ولكنك تعمن ان هذا تلزم له خدمة سابقة بشروط معينة

— هذا الصديق حائز لهذه الشروط

— لا أدري كيف أوفق بين شروطكم المختلفة أيها السادة . فإني لا أملك وحدي ترقية
دارتانيان إلى رتبة الكابتن ، ولا الانعام على دي فالون بلقب بارون . ثم اني لا أرى وجها
لاشتغالكم بمصالح فرنسا العمومية ، بل الأولى أن تهتموا بمصالحكم الشخصية
فصاح اراميس نائراً :

— لا بد من امضاء المعاهدة أولاً ، وفي هذه اللحظة ، مع التمهيد بالحصول على موافقة

الملكة عليها

— والسكنى لا أملك إلا رأيي الشخصي ، فلا أضمن إرادة الملكة

— على رسلك ، فأنت تعلم جيداً أن الملكة لا ترفض لك طلباً . هذه هي الشروط
وهذا هو القلم ، ففضل بالقرائة ثم تنازل بالتوقيع

— ألا تعلمون أن التوقيع في هذه الحالة يعتبر باطلاً لأنه تم تحت تأثير وبضغط ؟

— ولكن نيافتكم سوف لا تعترفون أنكم أكرهتم على التوقيع . ثم أرجو ألا يطول
الحلاف بيننا ، حتى لا يعرف العالم كله أن الكردينال قد اختطف من قصره ، وتصور
ياساحب النيافة الفضيحة الكبيرة التي ستدوي في الآفاق ، وقلق الملكة ، وسخرية الناس ،

وشماعة الباريسيين الملايين ، وكرامتهم لنيافتكم معروفة
— هذا فظيع . ولكنى أخشى إذا وقعت أن ترفض الملكة إقرار المعاهدة
فقال دارتانيان :

- أنا أتعهد بمقابلة الملكة والحصول على توقيعها إذا أنت وقعت
— ولكن حاذر ، فقد يكون استقبالك في بلاط سان جيرمان على خلاف ما تنتظر
— خل عنك ! فاني سأدبر الأمر بحيث أستقبل أحسن استقبال
— وكيف ؟
— سأحل إلى الملكة رسالة الكردينال التي يخبرها فيها ان الخزانة خاوية ، حتى إذا
رأيت الملكة وقد استولى عليها اليأس والارتباك ، ذهبت معها إلى حديقة البرتقال وضغطت
على زر معين ، فيتحرك لولب معين ، إلى آخر القصيدة المعروفة
— كنى ياسيدي كنى . أين هذه المعاهدة ؟
وتناول القلم فوق مشروع المعاهدة ، وحمله دارتانيان إلى بلاط سان جيرمان



لدى الملكة

سافر دارتانيان في مهمته الخطيرة حاملاً مشروع المعاهدة ، وخطاباً خاصاً من مازاران إلى الملكة ، وكان في سفره هذا وحيداً لا يؤنسه إلا سيفه وتصرّح بالمرور من النقط الأمامية بامضاء الكردينال . ولم تستغرق الرحلة إلا ست ساعات من السير الخيبيث وكان اختفاء الكردينال لا يزال مجهولاً بين عامة الناس . ولكن الملكة علمت به واستطاعت أن تخفي قلقها عن أقرب المقربين إليها . وقد أدى الكشف عن الحارسين المكمنين في غرفة دارتانيان وبورتوس إلى تخيل ما حدث بصورة مشوشة ، فلم يكن يخطر ببال أحد كيفية دخول الجنود إلى الرنزانة . ولم يعرف أحد أين ذهب السجناء الثلاثة بالكردينال بعد خروجهم . وكان حاجب الكردينال أول من اكتشف غيابه ، فراح يتعقب آثار الأقدام في أرض الحديقة حتى وصل إلى السور . وقد أوصته الملكة بالتزام الصمت التام ، ثم بعثت إلى الأمير كوندنيه فأخبرته بتفاصيل الموضوع ، فكاف خمسمائة فارس بالبحث والتنقيب والقبض على العصابات المشتبه في أمرها

ولما كان دارتانيان فرداً وليس عصابة ، فإنه لم يناه شيء من جانب هذه الاجراءات ، واستناع المرور من جميع الكرذونات ، إلى أن دخل القصر . وعرفه حاجب مازاران بطبيعة الحال ، بحكم عمله في حرس الفرسان ووجوده كثيراً من الأحيان في حجرة الانتظار أمام مكتب الوزير الكردينال . وكان الحاجب يعلم أيضاً أن دارتانيان أحد الثلاثة الذين اختطفوا صاحب النيافة ، لهذا ظن الرجل نفسه في حلم ، وراح يفرك عينيه ، ثم صرخ كمن يفيق من كابوس مزعج :

— السيد دارتانيان . السيد دارتانيان

— بلحمه ودمه أيها الصديق

— وماذا أتيت تصنع هنا ؟

— جئت أحمل أنباء من الكردينال مازاران ، أنباء أخيرة وخطيرة

— ماذا حدث له ؟

— كل خير . فهو في خير حال ، مثلي ومثلك

— إذن لماذا ترك القصر ؟

— لقد نبتت في رأسه رغبة مفاجئة لتبديل الهواء في الأرياف ، ولهذا رجاني ورجبا الكونت دي لافير والسيد دي فالون أن نصعبه . ولما كنا من أهل الكرم والأدب فإنا لم نتردد في إجابته إلى طلبه ، فخرجنا معه أمس مساء . وهذا كل ما هناك . ولكن لما كانت هناك أشياء عاجلة يريد نيافته أن يفضى بها إلى مسامع صاحبة الجلالة ، فقد اقتضت ارادته أن يكلف بهذه المهمة شخصاً موثقاً به ، ووقع اختياره على شخصي الضعيف لحل هذه الرسالة . فأرجو أن تتفضل إذا كنت حريصاً على خدمة مولاي بإبلاغ صاحبة الجلالة نبأ وصولي والغرض منه

وأسرع الحاجب فأخبر الملكة بهذه السفارة الغريبة ، فأمرت الملكة أن يدخل دارتانيان عليها فوراً . ودخل دارتانيان على ملكته بكل احترام وخضوع واجبين لغفامها السامي . حتى إذا صار على بعد ثلاث خطوات منها ، ركع على إحدى ركبتيه وقدم إليها الخطاب . وكان خطاباً عادياً لتقديم دارتانيان والتوصية به ، فقراءته الملكة وعرفت خط الكردينال على الفور ، وإن كان مضطرباً بعض الاضطراب . ولما كان الخطاب لا يفيد ما علم شيء . تجهله ، فقد التفتت إلى دارتانيان وطالبت بتفاصيل ما حدث . فقص عليها كل شيء بطريقته البسيطة التي يعرف كيف يستعملها في بعض الأحيان لترخص له في الاجترار والسخرية

وكانت الملكة تنظر إليه وهو يتكلم نظرة دهشة أخذت تزداد شيئاً فشيئاً ، لأنها لم تصور كيف يجرؤ رجل على رسم مثل هذه الحطة أولاً ، ثم على تنفيذها بعد ذلك ، وأكثر من هذا وذلك كيف يجترئ . بعد ذلك على روايتها بكل صراحة على مسامع تلك التي من مصلحتها ، بل يكاد يكون من واجبها أن تعاقبه عليها ، فصاحت عند ما انتهى :

— كيف تجرؤ ياسيدي على الاعتراف أمامي بجريمتك وخيانتك !؟

— عفوك ياسيدي . إذ يظهر انني أسأت التعبير ، أو أن جلالتك أسأت الفهم فليس فيما قلت الآن جريمة أو خيانة . فكل ما هناك أن السيد مازاران كان قد حبسنا ، أنا ودي فالون ، لأننا لم نصدق انه أرسلنا إلى إنجلترا كي نتفرج ببرود على قطع رأس الملك شارل الأول ، زوج أخت المرحوم زوجك ، وزوج الملكة هنرييت ضيفتك ، فرأينا من واجبنا أن نعمل كل ما في وسعنا لنجاة الملك المسكين ، واثقين اننا نؤدى خدمة طبيعية للكردينال وولجلالتك . ولما كان لا بد من تصفية سوء التفاهم بيننا وبين الكردينال بالحسنى ، وفي جو هادي . لهذا قررنا استضافة صاحب النيافة في قصر صديقي ، وهناك تم التفاهم ؟ انتهى السهولة ، وانضح لنا صدق حدسنا من أن هناك خطأ في فهم موقفنا ، إذ حسب نيافته اننا خدمنا الجنرال كرومويل فعاقبتنا ، ولما اتضح له العكس أظهر رضاه عنا ، لأننا

كنا ممثلين لتاج جلالته ، وأى تصرف خلاف تصرفنا كان حرياً أن يُلطخ تاج فرنسا بعار
لا يحى أمام التاريخ . ولهذا رأى الكردينال لزاماً عليه أن يصلح خطأه في حقنا ، فأرسلني
إلى جلالته لأتحدث اليك في الترضيات الطبيعية المناسبة لرد اعتبار فرسين شريفين أسىء
إلى شرفهما بغير قصد حيث كانا يستحقان المكافأة

— انى أصفى اليك أيها السيد بكل إعجاب . فأنا لم أر في الواقع طول حياتي مثالا
للجراءة الواقعة كهذا المثال

— أرى أن جلالته أخطأت فهمي كما سبق أن أخطأ صاحب النياقة

— لم أخطئ ، وسنرى أنك بعد عشر دقائق سيكون مقبوضاً عليك ، وأننى سأتحرك
بعد ساعة على رأس جيش لتخليص وزيرى

— أنا واثق أن حصافة جلالته لن تسمح لها بهذا . لأن الكردينال سيمرض للقتل

بمجرد وصول الجيش

— سأكتفى إذن بالقبض عليك

— وهذا أيضاً قد حسبت حسابيه . فاذا لم أصل إلى أصدقائى غداً ، سيتم تسليم صاحب

النياقة إلى أصدقائه الألداء أهل باريس

— أرى ياسيدى أنك تتجاسر على تهديد والدة مولاك الملك

— مولاتى . انى أهدد مضطراً ، ولكن تقي أن هذا القلب الذى فى صدرى لا يمكن

لك إلا التفديس . وأنت أول من يعلم هذا جيداً بإصاحبة الجلالة . بل إننا احتفظنا بالأسرار
التي نعرفها وتحملنا مرارة الاعمال عشرين سنة كاملة . فانظري إلى يامولاتى واسألى نفسك
من أنا ، أنا لست إلا ضابطاً فقيراً بغير مال ولا مأوى ولا مستقبل ، ومع هذا لا أرى نظري
ملكى يتجه إلى بعد أن كانت طوال السنين قبلة أنظارى . ثم سلى نفسك عن زملائي
الثلاثة ، وهل لقوا ما يستحقون من جزاء الأريحية والبطولة . اننا خير مثال لشعبك الذى
يحبك ، ولكنك تقابلين حبه بتجويمه ، فنى يامولاتى ينصرف تقديرك إلى من هم أهل له
لا إلى الجبناء أصدقاء الرخاء وإخوان الصفاء الذين يقبلون في السراء ويذوبون عند الضراء ؟
فقوليتها يامولاتى كلمة واحدة ، يحل الوثام محل الحصام ، وتنتهى حالة الحرب التي زلزلت
كيان الأمة

ونظرت الملكة اليه بدهشة ، ثم قالت :

— لماذا لم تقل هذا الكلام قبل أن تقدم على العمل ؟

— لأنه كان ينبغي يامولاتى أن نثبت لجلالته أمراً كان المظنون أنك لا تؤمنين به ، وهو
أنا قوم يقام لهم وزن ، ويجب أن نكون محل التقدير

— قوم لا يتراجعون أمام شيء فيما يبدو

— اننا لم نتراجع أمام شيء فيما مضى ، فلماذا نتراجع الآن ؟

— ويصل بكم الأمر إلى خطف وزيرى ، وربما خطفى أنا أيضاً وتسليمى لأعدائى ؟

— هذا لم يخطر لنا حتى الآن بيال

— بالكم من رجال من فولاذ . أين هذه المعاهدة ؟

فقدم إليها دارتانيان المعاهدة فأجالت فيها بصرها . ثم سألت :

— هذه شروط عامة ، فأين شروطكم الشخصية ؟

— لقد تركنا هذا لمكارم جلالتك ، ولا أظن أن جلالتك تضنين على الرجل الذى

يرد اليك وزيرك الكردينال بترقيته إلى قيادة حرس الفرسان العامة

فتناولت براءة وملاصها ثم قدمتها إليه ، فأخذها باسمياً وقال :

— هذه وظيفة تمنحني إياها ، ومن يملك المنح يملك المنع . وأخشى أن أفضل من

الخدمة بعد عودة الكردينال

— فإذا تريد إذن ؟

— نصاً بسيطاً على دفع مائة ألف جنيه لفوائد الحرس المسكين فى حالة الاستغناء عن

خدماته

— مائة ألف ؟ هذا كثير

— وما رأيك فى إعلان الباريسيين عن استعدادهم لدفع ستمائة ألف لمن يأتيهم بصاحب

النيافة حياً أو ميتاً ؟ ألا ترينهم لوصفا ؟

— انت إذن سدس لس فقط ، وهذه مزية . هاك النص كما طلبت ، وبعد ؟

— لى صديق غنى جداً وقد رأى صاحب النيافة بعد أن نزل ضيفاً مكرماً معززا فى

قصره أن يرفع ضيعته إلى طبقة البارونية . فأرجو أن تقر جلالتك وعد صاحب النيافة

وتنعم على دى فالون بلقب بارون

— وهاك البارونية . وبعد ؟

— بقى صاحبى الشيفالييه دربلاى . وهو راهب

— أيريد رتبة الأسقفية الجليلة ؟

— بل أقل من هذا ، وهو أن يتطوع جلالة الملك بأن يكون شبيهاً لابن الدوقة

دى لنجفيل . وأن يمنح جلالة الملك الدوق دى لنجفيل ولاية نورمانديا ، وأن يهدى الدوقة

نصف مليون بمناسبة عماد ابنها

— كله مقبول إلا النصف مليون ، فالكردينال لا يفتأ يكرر أن خزانة الدولة خاوية

— أعتقد أنه سيراجع نفسه في هذا الفرار ويستعمل كراماته في إيجاد المال !

— أليس لك زميل رابع ؟

— أجل يامولاتي ، الكونت دي لافير

— وماذا يطلب ؟

— لا شيء

— أليس له ولد ، أو قريب ، أو ربيب ؟ رأيت ذات مرة موفدا من قبل الأمير

كونديه حاملا إلى ألوية النصر في موقعة ليترمع الدوق دي شانيون

— له فعلا ربيب شاب يدعى الفيكونت دي فالون

— ما رأي الكونت في أن نمنح ريبه قيادة فرقة في جيشنا ؟

— ربما قبل إذا فاتحته جلالتك في الأمر

— ياله من رجل غريب ، سنرى على كل حال . فهل أنت مسرور الآن ياسيدي ؟

— تقريبا . ولكن بقي شيء واحد لم توقعه جلالتك ، وهو معاهدة الصلح بالشروط

التي اقترحها أهل باريس

فوقعت الملكة وهي تغالب غيظها ، وما وضعت القلم حتى انفجر غضبها كالبركان وراحت

تنشج بالبكاء ، فركع دارتانيان وقال لها بصوت مضطرب :

— مولاتي ، انظري إلى هذا المسكين الراكع عند قدميك . إنه يؤمن بنفسه وبأصدقائه

ويريد أيضاً أن يؤمن بك . وإليك الدليل : فقدأ سيرد اليك السيد مازاران بلا قيد

ولا شرط ، وهذه توقعاتك يامولاتي على جميع البراهات الأخرى والمعاهدة ، خذها ، وإذا

شئت بعد ذلك أن تمنحها بمحض اختيارك فالأمر لك

ثم قدم إلى الملكة تلك الأوراق التي انتزعها منها بكل مشقة واحدة واحدة ، فتأثرت

الملكة كثيراً وشعرت أن كرامتها قد ردت إليها اعتبارها ، فكفت عن البكاء وقالت له :

— صدقت ياسيدي ، فاني قد أسأت فهمك وتقديرك ، هذه هي الوثائق أعطيها

اليك بملء حريتي ، فاذهب وعد إلى بالكردينال

— بقي لي مطلب واحد يامولاتي : فنذ عشرين سنة قبلت يد ملكة عظيمة خلف

ستارة في بلدية باريس . وأشتهى الآن أن أقبل اليد الأخرى من هاتين اليدين الجميلتين

— هاك الأخرى حتى لا تكون اليد اليسرى أقل سخاء من أختها اليمنى ، واحتفظ

بهذا الحاتم الذي فيها تذكراً مني

□

وبعد خمس عشرة ساعة كان بورتوس يرقص في حجرات القصر وفي يده براءة

البارونية . وكان دارتانيان مشغولا بوضع علامات القيادة فوق سترته العسكرية . وكانت

باريس كلها تهيم الأفراح باعلان المعاهدة

القصص العالمية للجميع

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

چون شتاينبك

سومرست موم

مارسيل موريت

جورج سيمنون

بيرك بلك

سير والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيغو

بيوهان جوته

اراست مهنفواي

اجاتا كريستي

جيمس ميلتون

الفرسان الثلاثة " مزين "

الكونت دي مونت كريستو

ذهاب مع الريح " مزين "

رجال ونساء .. وحب

ليلة غرام

كنت جاسوسا

غادة الظالميا

جريمة في الريف

الأرض الطيبة

عذارى المعبد

ايقان هو " أرفارس "

رافيد كوبر فياس

أهدأ بسبب نور

الاسم قرتر

البحر والجزر

سوف تشرق الشمس

الكأس الأهدية

عدالة السماء

القاتل الخفي

الرجل الفاضل

غارة طيبة

عذارى وثلاثة رجال